ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

ذكر عصيان حبشي بن معز الدولة على أخيه بختيار بالبصرة وأخذه قهرا

في هذه السنة عصى حبشي بن معز الدولة على أخيه بختيار، وكان بالبصرة لما مات والده فحسن له من عنده من أصحابه الاستبداد بالبصرة ، وذكروا له أن أخاه بختيار لا يقدر على قصده فشرع في ذلك ، فانتهى الخبر إلى أخيه ، فسير وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين إليه ، وأمره بأخذه كيف أمكن ، فأظهر الوزير أنه يريد الانحدار إلى الأهواز. ولما بلغ واسط أقام بها ليصلح أمرها وكتب إلى حبشي يعده أنه يسلم إليه البصرة سلما، ويصالحه عليها ويقول له : " إنني قد لزمني مال على الوزارة ، ولا بد من مساعدتي " ، فنفذ إليه حبشي مائتي ألف درهم ، وتيقن حصول البصرة له . وأرسل الوزير إلى عسكر الأهواز يأمرهم بقصد الأبلة في يوم ذكره لهم . وسار هو من واسط نحو البصرة ، فوصلها هو وعسكر الأهواز لميعادهم ، فلم يتمكن حبشي من إصلاح شانه وما يحتاج إليه ، فظفروا به وأخذوه أسيرا وحبسوه برامهرمز فأرسل عمه ركن الدولة وخلصه ، فسار إلى عضد الدولة فأقطعه إقطاعاً وافراً ، وأقام عنده إلى أن مات وفى آخر سنة تسع وستين وثلاثمائة . وأخذ الوزير من أمواله بالبصرة شيئاً كثيراً . ومن جملة ما أخذ له خمسة عشرة ألف مجلد سوي الأجزاء والمسرس (ا) وما ليس له جلد .

ذكر البيعة لمحمد بن المستكفي

في هذه السنة ظهر ببغداد بين الخاص والعام دعوة إلى رجل من أهل البيت اسمه محمد بن عبد الله ، وقيل : إنه الدجال الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه يأمر بالمعروف

(1) قال صاحب تاج العروس : يقال : مصحف مشرز ومسرس ،المشرز المشدود بعضه الى بعض

وينهى عن المنكر، ويجدد ما عفا من أمور الدين ، فمن كان من أهل السنة قيل له : إنه عباسي ومن كان من أهل الشيعة قيل له : إنه علوي . فكثرت الدعاة اليه والبيعة له . وكان الرجل بمصر وقد أكرمه كافور الإخشيدي ، وأحسن إليه ؛ وكان في جملة من بايع له سبكتكين العجمي – وهو من أكابر قواد معز الدولة وكان يتشيع – فظنه علويا وكتب إليه يستدعيه من مصر فصار إلى الأنبار وخرج سبكتكين إلى طريق الفرات ، وكان يتولى حمايته ، فلقي ابن المستكفي وترجل له ، وخدمه ، وأخذه وعاد إلى بغداد، وهو لا يشك في حصول الأمر له ، ثم ظهر لسبكتكين أن الرجل عباسي فعاد عن ذلك الرأي ، ففطن ابن المستكفي وخاف هو وأصحابه فهربوا ، وتفرقوا فاخذ ابن المستكفي ومعه أخ له ، وأحضرا عند بختيار فأعطاهما الأمان . ثم أن المطيع تسلمه من بختيار، فجدع أنفه ثم خفي خبره.

ذكر استيلاء عضد الدولة على كرمان

في هذه السنة ملك عضد الدولة بلاد كرمان ، وكان سبب ذلك أن أبا علي بن إلياس كان صاحبها مدة طويلة على ما ذكرناه ، ثم إنه أصابه فالج خاف منه على نفسه فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة ، اليسع ، وإلياس ، وسليمان فاعتذر إلى اليسع من جفوة كانت منه له قديما وولاه الأمر ثم بعده أخاه إلياس . وأمر سليمان بالعود إلى بلادهم وهي بلاد الصغد ، وأمره بأخذ أموال له هناك ، وقصد إبعاده عن اليسع ، لعداوة كانت بينهما ، فسار من عند أبيه واستولى على السيرجان .

فلما بلغ أباه ذلك أنفذ إليه اليسع في جيش ، وأمره بمحاربته وإجلائه عن البلاد ولا يمكنه من قصد الصغد إن طلب ذلك . فسار إليه وحصره ، واستظهر عليه، فلما رأى سليمان ذلك ، جمع أمواله وسار نحو خراسان ؛ واستقر أمر اليسع بالسيرجان وملكها ، وأمر بنهبها فنهبت ، فسأله القاضي وأعيان البلد العفو عنهم فعفا- ثم إن جماعة من أصحاب والده خافوه ، فسعوا به إلى أبيه فقبض عليه وسجنه في قلعة له ، فمشت والدته إلى والدة أخيه إلياس ، وقالت لها : "إن صاحبنا قد فسخ ما كان عقده لولدي ، وبعده يفعل بولدك مثله ويخرج الملك عن آل إلياس ، والرأي أن تساعديني على تخليص ولدي ليعود الأمر إلى ما كان عليه " ، وكان والده أبو علي تأخذه غشية في بعض الأوقات ، فيمكث زماناً طويلا لاً يعقل . فاتفقت المرأتان وجمعتا الجواري في وقت غشيته ، وأخرجن اليسع من

حبسه ودلينه من ظهر القلعة إلى الأرض ، فكسر قيده ، وقصد العسكر، فاستبشروا به وأطاعوه وهرب منه من كان أفسد حاله مع أبيه ، وأخذ بعضهم ونجا بعضهم ، وتقدم إلى القلعة ليحصرها . فلما أفاق والده وعرف الصورة راسل ولده ، وسأله أن يكف عنه ويؤمنه على ماله وأهله ، حتى يسلم إليه القلعة ، وجميع أعمال كرمان ، ويرحل إلى خراسان ويكون عونا له هناك فأجابه إلى ذلك ، وسلم إليه القلعة وكثيرا من المال ، وأخذ معه ما أراد ، وسار إلى خراسان وقصد بخارى فأكرمه الأمير منصور بن نوح ، وأحسن إليه وقربه منه فحمل منصوراً على تجهيز العساكر إلى الري وقصد بني بويه على ما ذكرناه ، وأقام عنده إلى أن توفي في سنة ست وخمسين وثلاثمائة بعلة الفالج على ما ذكرناه . وكان ابنه سليمان ببخارى أيضاً، وأما اليسع فإنه صفت له كرمان ، فحمله ترف الشباب وجهله على مغالبة عضد الدولة على بعض حدود عمله ، وأتاه جماعة من أصحاب عضد الدولة ، وأحسن إليهم ، ثم عاد بعضهم إلى عضد الدولة ، فاتهم اليسع الباقين فعاقب بهم ومثل ، مجم .

ثم إن جماعة من أصحابه ، استأمنوا إلى عضد الدولة فأحسن إليهم وأكرمهم ووصلهم . فلما رأى أصحابه تباعد ما بين الحالين تألبوا عليه وفارقوه متسللين إلى عضد الدولة وأتاه منهم في دفعة واحدة نحو ألف رجل من وجوه أصحابه فبقي في خاصته ، وفارقه معظم عسكره .

فلما رأى ذلك ، أخذ أمواله وأهله ، وسار بهم نحو بخارى لا يلوي .على شيء وسار عضد الدولة إلى كرمان ، فاستولى عليها وملكها ، وأخذ ما بها من أموال ان إلياس ، وكان ذلك في شهر رمضان ، وأقطعها ولده أبا الفوارس - وهو الذي لقب بعد ذلك شرف الدولة - وملك العراق .، واستخلف عليها كورتكين بن جستان ، وعاد إلى فارس وراسله صاحب سجستان ، وخطب له بها . وكان هذا أيضاً من الوهن علن بني سامان ، ومما طرق الطمع فيهم .

وأما اليسع ، فإنه لما وصل إلى بخارى أكرسه ، وأحسن إليه ، وصار يذم أهل سامان في قعودهم عن نصره ، وإعادته إلى ملكه . فنفي عن بخارى إلى خوارزم . وبلغ أبا علي بن سيمجور خبره ، فقصد ماله وأثقاله ، وكان خلفها ببعض نواحي خراسان ، فاستولى على ذلك جميعه . وأصاب اليسع رمد شديد بخوارزم ، فأقلقه ، فحمله الضجر

وعدم السعادة إلى أن قلع عينه الرمدة بيده . وكان ذلك سبب هلاكه . ولم يعد لآل إلياس بكرمان دولة، وكان الذي أصابه لشؤم عصيان والده ، وثمرة عقوقه .

ذكر قتل أبي فراس بن حمدان

في هذه السنة في ربيع الآخر، قتل أبو فراس بن أبي العلاء سعيد بن حمدان .

وسبب ذلك أنه كان مقيما بحمص ، فجرى بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان وحشة ، فطلبه أبو المعالي ، فانحاز أبو فراس إلى صدد - وهي قرية في طرف البرية عند حمص - فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم ، وسيرهم في طلبه مع قرعويه ، فأدركه بصدد، فكبسوه . فاستأمن أصحابه واختلط هو بمن استأمن منهم . فقال قرعويه لغلام له : " اقتله ". فقتله وأخذ رأسه وتركت حثته في البرية حتى دفنها بعض الأعراب . وأبو فراس هو خال أبي المعالي بن سيف الدولة ، ولقد صدق من قال : إن الملك عقيم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة منتصف شعبان مات المتقي لله إبراهيم بن المقتدر في داره ، ودفن فيها(1).

وفيها في ذي القعدة وصلت سرية كثيرة من الروم إلى انطاكية ، فقتلوا في سوادها وغنموا وسبوا اثني عشر ألفاً من المسلمين .

وفيها كان بين هبة الرفعاي وبين أسد بن وزير الغبري حرب ، فاستمد أسد خزر اليشكري الذي مع عمران بن شاهين صاحب البطائح، وأوقع بها وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، وهزمه واستولى على جنبلاء، وقسين (3) من أرض العراق . فسار سبكتكين العجمي إلى خزر وضيق عليه ، فمضى إلى البصرة ، واستأمن إلى الوزير أبي الفضل .

(1) المتقى لله أبو اسحاق ابراهيم بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله احمد بن الموفق العباسي المخلوع . انظر شذرات الذهب 2/3 2 . والبداية والنهاية 11 /283 ط. دار الكتب العلمية بيروت .

(2) جنبلاء : كورة وبليدة ، وهو منزل بين واسط والكوفة . وقيسين . كورة من نواحي الكوفة

وفيها عمل أهل بغداد يوم عاشوراء ، وغدير خم . كما جرت به عادتهم من إظهار الحزن يوم عاشوراء والسرور يوم الغدير، وتوفي علي بن بندار بن الحسين ، أبو الحسن الصوفي ، المعروف بالصيرفي النيسابوري .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

ذكر ملك المعز العلوي مصر

في هذه السنة سير المعز لدين الله أبو تميم معد بن إسماعيل المنصور بالله ، القائد أبا الحسن جوهرا غلام والده المنصور- وهو روقي -(ا) في جيش كثيف إلى الديار المصرية، فاستولى عليها . وكان سبب ذلك أنه لما مات كافور الإخشيدي صاحب مصر اختلفت القلوب فيها، ووقع بها غلاء شديد، حتى بلغ الخبز كل رطل بدرهمين ، والحنطة كل ويبة(2) بدينار وسدس مصري.

فلما بلغ الخبر بهذه الأحوال إلى المعز- وهو بافريقية - سير جوهرا إليها . فلما اتصل خبر مسيره إلى العساكر الإخشيدية بمصر، هربوا عنها جميعهم قبل وصوله ، ثم إنه قدمها سابع عشر شعبان ، وأقيمت الدعوة للمعز بمصر في الجامع العتيق في شوال . وكان الخطيب أبا محمد عبد الله بن الحسين الشمشاطي .

وفي جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين ، سار جوهر إلى جامع ابن طولون

(1) قال ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة : هو ابو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعزي المعروف بالكاتب مولى المعز لدين الله أبي تميم معد العبيدي الفاطمي . كان خصيصاً عند استاذه المعز وكان من كبار قواده ثم جهزه أستاذه المعز إلى أخذ مصر بعد موت الاستاذ كافور الاخشيدي وأرسل معه العساكر وهو المقدم على الجميع ، وكان رحيله من افريقية يوم السبت رابع غر شهر ربيع الأول من هذه السنة وتسلم مصر يوم الثلاثاء ثامن غر شعبان من السنة، ولما دخل مصر صعد المنبر يوم الجمعة خطيباً وخطب ودعا لمولاه المعز بافريقية . وذلك في نصف شهر رمضان ، وكان المعز لما ندب جوهراً هذا إلى التوجه الى الديار المصرية اصحبه من الأموال والخزائن ما لا يحصى وأطلق يده في جميع ذلك وأفرغ الذهب في صور الارجاء وحملها على الجمال لعظم ذلك في قلوب الناس . وقد جاء في البداية والنهاية 284/11 : " أبو الحسين ."

(2) الويبة : اثنان وعشرون أو أربعة وعشرون مداً .

وأمر المؤذن فأذن بحيّ على خير العمل - وهو أول ما أذن بمصر- ثم أذن بعده في الجامع العتيق ، وجهر في الصلاة . " ببسم الله الرحمن الرحيم " ولما استقر جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة .

ذكر ملك عسكر المعز دمشق وغيرها من بلاد الشام

لما استقر جوهر بمصر، وثبت قدمه ، سير جعفر بن فلاح الكتامي إلى الشام في جمع كبير، فبلغ الرملة، وبها أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طغج ، فقاتله في ذي الحجة من السنة وجرت بينهما حروب كان الظفر فيها لجعفر بن فلاح ، وأسر ابن طغج وغيره من القواد ، فسيرهم إلى جوهر ، وسيرهم جوهر إلى المعز بافريقية ، ودخل ابن فلاح البلد عنوة فقتل كثيرا من أهله ، ثم أمن من بقي وجبى الخراج ، وسار إلى طبرية فرأى ابن ملهم قد أقام الدعوة للمعز لدين الله ، فسار عنها إلى دمشق فقاتله أهلها فظفر بهم . وملك البلد ونهب بعضه وكف عن الباقي ، وأقام الخطبة للمعز يوم الجمعة لأيام خلت من المحرم ، سنة تسع وخمسين ، وقطعت الخطبة العباسية .

وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي ، وكان جليل القدر نافذ الحكم في أهلها، فجمع أحداثها ومن يريد الفتنة . فثار بهم في الجمعة الثانية، وأبطل الخطبة للمعز لدين الله ، وأعاد خطبة المطيع لد ، ولبس السواد وعاد إلى داره ، فقاتله جعفر بن فلاح ، ومن معه قتالا شديدا وصبر أهل دمشق ثم افترقوا آخر النهار، فلما كان الغد تزاحف الفريقان واقتتلوا ونشبت الحرب بينهما، وكثر القتلى من الجانبين ، ودام القتال . فعاد عسكر دمشق منهزمين والشريف بن أبي يعلى مقيم على باب البلد يحرض الناس على القتال ، ويأمرهم بالصبر .

وواصل المغاربة الحملات على الدماشقة حتى ألجؤوهم إلى باب البلد ، ووصل المغاربة إلى قصر حجاج ونهبوا ما وجدوا . فلما رأى ابن أبي يعلى الهاشمي ، والأحداث ما لقي الناس من المغاربة ، خرجوا من البلد ليلا، فأصبح الناس حيارى .

فدخل الشريف الجعفري ، وكان خرج من البلد إلى جعفر بن فلاح في الصلح ، فأعاده وأمره بتسكين الناس ، وتطييب قلوبهم ، ووعدهم بالجميل ، ففعل ما أمره . وتقدم إلى الجند والعامة بلزوم منازلهم ، وأن لا يخرجوا منها إلى أن يدخل جعفر بن

فلاح البلد ويطوف فيه ويعود إلى عسكره ، ففعلوا ذلك . فلما دخل المغاربة البلد عاثوا فيه ونهبوا قطراً منه ، فثار الناس وحملوا عليهم ، ووضعوا السيف فيهم فقتلوا منهم جماعة ، وشرعوا في تحصين البلد ، وحفر الخنادق وعزموا على إصطلاء الحرب ، وبذل النفوس في الحفظ ، واحجمت المغاربة عنهم . ومشى الناس إلى الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى، فطلبوا منه أن يسعى فيما يعود بصلاح الحال ففعل . ودبر الحال إلى أن تقرر الصلح يوم الخميس لست عشرة خلت من ذي الحجة سنة تسيم وخمسين وثلاثمائة. وكان الحريق قد أتى على عدة كثيرة من الدور وقت الحرب ، ودخل صاحب الشرطة جعفر بن فلاح البلد يوم الجمعة فصلى مع الناس ، وسكنهم وطيب قلوبهم ، وقبض على جماعة من الأحداث في المحرم سنة ستين وثلاثمائة، وقبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي المذكور، وسيره إلى مصر، واستقر أمر دمشق ، وكان ينبغي أن يؤخر ملك ابن فلاح دمشق إلى آخر السنة، وإنما قدمته ليتصل خبر المغاربة بعض ببعض .

ذكر اختلاف أولاد ناصر الدولة وموت أبيهم

كان سبب اختلاف أولاد ناصر الدولة، أنه كان قد اقطع ولده حمدان مدينة الرحبة ، وماردين ، وغيرهما . وكان أبو تغلب ، وأبو البركات ، وأختهما جميلة أولاد ناصر الدولة، من زوجته فاطمة بنت أحمد الكردية . وكانت مالكة أمر ناصر الدولة . فاتفقت مع ابنها أبي تغلب ، وقبضوا ناصر الدولة على ما ذكرناه ، فابتدأ ناصر الدولة يدبر في القبض عليهم ؛ فكاتب ابنه حمدان يستدعيه ليتقوى به عليهم ، فظفر أولاده بالكتاب فلم ينفذوه ، وخافوا أباهم وحذروه ، فحملهم خوفه على نقله إلى قلعة كواشي ، واتصل ذلك بحمدان فعظم عليه ، وصار عدواً مبايناً وكان أشجعهم . وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة إلى الرقة فملكها، وسار إلى نصيبين وجمع من أطاعه ، وطالب إخوته بالإفراج عن والده ، وإعادته إلى منزلته . فسار أبو تغلب إليه ليحاربه ، فانهزم حمدان قبل اللقاء إلى الرقة . فنازله أبو تغلب وحصره ، ثم اصطلحا على دخن ، وعاد كل واحد منهما إلى موضعه . وعاش ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي شهورا ومات في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . ودفن بتل توبة شرقي الموصل. وقبض ابو تغلب أملاك أخيه حمدان ، وسير أخاه أبا

البركات إلى حمدان ، فلما قرب من الرحبة استأمن إليه كثير من أصحاب حمدان ، فانهزم ، حينئذ وقصد العراق مستأمناً إلى بختيار، فوصل بغداد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فأكرمه بختيار وعظمه وحمل إليه هدية كثيرة جليلة المقدار، ومعها كل ما يحتاج إليه مثله . وارسل إلى أبي تغلب النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي في الصلح مع أخيه ، فاصطلحوا . وعاد حمدان إلى الرحبة، وكان مسيره من بغداد في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، فلما سمع أبو البركات بمسير أخيه حمدان على هذه الصورة فارق الرحبة ، ودخلها حمدان . وراسله أخوه ابو تغلب في الاجتماع ، فامتنع من ذلك . فعاد أبو تغلب وستر إليه أخاه أبا البركات . فلما علم حمدان بذلك فارقها فاستولى أبو البركات عليها واستناب بها من يحفظها في طائفة من الجيش ، وعاد إلى الرقة، ثم منها إلى عربان (1) .

فلما سمع حمدان بعوده عنها وكان ببرية تدمر، عاد إليها في شعبان ، فوافاها ليلا فاصد جماعة من غلمانه السور، وفتحوا له باب البلد، فدخله ولا يعلم من به من الجند بذلك . فلما صار في البلد وأصبح أمر بضرب البوق ، فبادر من بالرحبة من الجند منقطعين يظنون أن صوت البوق من خارج البلد. وكل من وصل إلى حمدان أسره حتى أخذهم جميعهم فقتل بعضا واستبقى بعضاً.

فلما سمع أبو البركات بذلك عاد إلى قرقيسيا، واجتمع هو وأخوه حمدان منفردين ، فلم يستقر بينهما قاعدة فقال أبو البركات لحمدان : " أنا أعود إلى عربان ، وأرسل إلى أبي تغلب لعله يجيب إلى ما تلتمسه منه " . فسار عائدا إلى عربان ، وعبر حمدان الفرات من مخاضة بها ، وسار في أثر أخيه أبي البركات ، فأدركه بعربان - وهو آمن - فلقيهم ابو البركات بغير جنة ولا سلاح ، فقاتلهم واشتد القتال بينهم ، وحمل ابو البركات بنفسه في وسطهم ، فضربه أخوه حمدان فألقاه ، وأخذه أسيراً فمات من يومه وهو ثالث رمضان فحمل في تابوت إلى الموصل ودفن بتل توبة عند أبيه . وتجهز أبو تغلب ليسير إلى حمدان ، وقدم بين يديه أخاه أبا الفوارس محمدا إلى نصيبين. فلما وصلها كاتب أخاه حمدان ومالا على أبي تغلب . فبلغ الخبر أبا تغلب ، فأرسل إليه يستدعيه ليزيد في إقطاعه . فلما حضر عنده قبض عليه وسيره إلى قلعة كواشي من بلد (1) عربان ؟إ: وهي بليدة بالخابور من أرض الجزيرة .

الموصل ، وأخذ أمواله ، وكانت قيمتها خمسمائة ألف دينار.

فلما قبض عليه سار إبراهيم والحسين ابنا ناصر الدولة إلى اخيهما حمدان .خوفاً من أبي تغلب ، فاجتمعا معه وساروا إلى سنجار. فسار أبو تغلب إليهم من الموصل في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة ولم يكن لهم بلقائه طاقة فراسله أخواه إبراهيم ، والحسين يطلبان العود إليه خديعة منهما ليأمنهما ، ويفتكا به فأجابهما إلى ذلك . فهربا إليه وتبعهما كثير من اصحاب حمدان ، فعاد حمدان حينئذ من سنجار إلى عربان ، واستأمن إلى أبي تغلب صاحب حمدان ، وأطلعه على حيلة أخويه عليه - وهما إبراهيم ، والحسين - فأراد القبض عليهما فحذرا وهربا. ثم إن نما غلام حمدان ونائبه بالرحبة أخذ جميع ماله بها، وهرب إلى أصحاب أبي تغلب بحران ، وكانوا مع صاحبه سلامة البرقعيدي ، فاضطر حمدان إلى العود إلى الرحبة ، وسار أبو تغلب إلى قرقيسية وارسل سرية عبروا الفرات ، وكبسوا حمدان بالرحبة - وهو لا يشعر - فنجا هاربا ، واستولى أبو تغلب عليها، وعقر سورها، وعاد إلى الموصل ودخلها في ذي الحجة سنة ستين وثلاثمائة . وسار حمدان إلى بغداد فدخلها آخر ذي الحجة سنة ستين ملتجئا إلى بختيار، ومعه أخوه إبراهيم . وكان أخوهما الحسين قد عاد إلى أخيه أبي تغلب مستأمنا . وحمل بختيار إلى حمدان ، وأخيه إبراهيم هدايا جليلة كثيرة المقدار، وأكرمهما واحترمهما .

ذكر ما فعله الروم بالشام والجزيرة

وفي هذه السنة دخل ملك الروم الشام ، ولم يمنعه أحد ولا قاتله . فسار في البلاد إلى طرابلس وأحرق بلدها. وحصر قلعة عرقة، فملكها ونهبها وسبى من فيها. وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها لشدة ظلمه ، فقصد عرقة ، فأخذه الروم وجميع ماله وكان كثيرا . وقصد ملك الروم حمص وكان أهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها فاحرقها ملك الروم ، ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها نهبا ، وتخريبا وملك ثمانية عشر منبراً. فأما القرى فكثير لا يحصى . وأقام في الشام شهرين يقصد أي موضع شاء، ويخرب ما شاء، ولا يمنعه أحد إلا أن بعض العرب كانوا يغيرون على أطرافهم . فاتاه جماعة منهم ، وتنصروا وكادوا المسلمين من العرب ، وغيرهم . فامتنعت العرب من قصدهم ، وصار للروم الهيبة العظيمة في قلوب المسلمين . فأراد أن يحصر انطاكية وحلب ، فبلغه

أن أهلها قد أعدوا الذخائر والسلاح وما يحتاجون إليه ، فامتنع من ذلك وعاد ومعه من السبي نحو مائة ألف رأس ، ولم يأخذ إلا الصبيان ، والصبايا ، والشبان . فأما الكهول ، والشيوخ ، والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من أطلقه . وكان بحلب قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان وقد أخرج أبا المعالي بن سيف الدولة منها على ما نذكره ، فصانع الروم عليها فعادوا إلى بلادهم فقيل : كان سبب عودهم كثرة الأمراض والموت . وقيل : ضجروا من طول السفر والغيبة عن بلادهم ، فعادوا على عزم العود . وسير ملك الروم سرية كثيرة إلى الجزيرة ، فبلغوا كفرتوثا ، ونهبوا وسبوا وأحرقوا وعادوا . ولم يكن من أبي تغلب بن حمدان في ذلك نكير ولا أثر.

ذكر استيلاء قرعويه على حلب وإخراج أبي المعالي بن حمدان منها(1)

في هذه السنة أيضاً استولى قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان على حلب ، وأخرج منها أبا المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان . فسار أبو المعالي إلى حران فمنعه أهلها من الدخول إليهم ، فطلب منهم أن يأذنوا لأصحابه أن يدخلوا يتزودوا منها يومين ، فأذنوا لهم . ودخل إلى والدته بميافارقين - وهي ابنة سعيد بن حمدان - وتفرق عنه أكثر أصحابه ، ومضوا إلى أبي تغلب بن حمدان . فلما وصل إلى والدته بلغها أن غلمانه وكتابه قد عملوا على القبض عليها وحبسها، كما فعل أبو تغلب بابيه ناصر الدولة ، فأغلقت أبواب المدينة ، أو منعت ابنها من دخولها ثلاثة أيام ، حتى أبعدت من تحب إبعاده ، واستوثقت لنفسها، وأذنت له ولمن بقي معه في دخول البلد، وأطلقت لهم الأرزاق . وبقيت حران لا أمير عليها، ولكن الخطبة فيها لأبي المعالي بن سيف الدولة، وفيها جماعة من مقدمي أهلها يحكمون فيها، ويصلحون من أمور الناس . ثم إن أبا المعالي عبر الفرات إلى الشام وقصد حماة، فأقام بها على ما نذكره سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة .

ذكر خروج أبي خزر بأفريقية

في هذه السنة خرج بافريقية أبو خزر الزناتي واجتمع إليه جموع عظيمة من البربر

(1) تاريخ ابن خلدون 4 / 312 .

والنكار، فخرج المعز إليه بنفسه يريد قتاله حتى بلغ مدينة باغاية(1) : وكان أبو خرز قريباً منها وهو يقاتل نائب المعز عليها، فلما سمع أبو خزر بقرب المعز تفرقت عنه جموعه ، وسار المعز في طلبه ، فسلك الأوعار فعاد المعز. وأمر أبا الفتوح يوسف بلكين بن زيري بالمسير في طلبه أين سلك ، فسار في اثره حتى خفي عليه خبره ، ووصل المعز إلى مستقره بالمنصورية . فلما كان ربيع الآخر من سنة تسع وخمسين وصل أبو خزر الخارجي إلى المعز مستأمناً ويطلب الدخول في طاعته ، فقبل منه المعز ذلك وفرح به وأجرى عليه رزقا كثيرا ، ووصله . عقيب هذه الحال كتب جوهز بإقامة الدعوة له في مصر، والشام ويدعوه إلى المسير إليه ، ففرح المعز فرحا شديدا! أظهره لكافة الناس ومدحه الشعراء . فممن ذكر ذلك محمد بن هانىء الأندلسي فقال :

يقول بنو العباس قد فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الأمر

ذكر قصد أبي البركات بن حمدان ميافارقين وانهزامه

في هذه السنة، في ذي القعدة سار أبو البركات بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكره ، إلى ميافارقين فأغلقت زوجة سيف الدولة أبواب البلد في وجهه ، ومنعته من دخوله . فأرسل إليها يقول : إنني ما قصدت إلا الغزاة. ولطلب منها ما يستعين به ، فاستقر بينهما أن تحمل إليه مائتي ألف درهم وتسلم إليه قرايا كانت لسيف الدولة بالقرب من نصيبين . ثم ظهر لها أنه يعمل سرا في دخول البلد، فأرسلت إلى من معه من غلمان سيف الدولة تقول لهم : " ما من حق مولاكم أن تفعلوا بحرمه وأولاده هذا" . فنكلوا عن القتال والقصد لها. ثم جمعت رجاله ، وكبست أبا البركات ليلاً، فانهزم ونهب سواده وعسكره وقتا، جماعة من أصحابه وغلمانه . فراسلها : اننى لم أقصد لسوء. فردت رداً جميلاً، وأعادت إليه بعض ما نهب منه ، وحملت إليه مائة ألف درهم . وأطلقت الأسرى فعاد عنها . وكان ابنها أبو المعالي بن سيف الدولة على حلب يقاتل قرعويه غلام أبيه .

(ا) باغاية : مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة الهواء.

في هذه السنة عاشر المحرم عمل أهل بغداد، ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعايش وإظهار النوح ، والمأتم بسبب الحسين بن ش له ب رضوان الله عليهما.

وفيها أرسل القرامطة رسلا إلى بني نمير وغيرهم من العرب يدعونهم إلي طاعتهم ، فأجابوا إلى ذلك ، وأخذت عليهم الأيمان بالطاعة . وأرسل أبو تغلب بن حمدان إلى القرامطة بهجر هدايا جميلة قيمتها خمسون ألف درهم .

وفيها طلب سابور بن أبي طاهر القرمطي من أعمامه أن يسلموا الأمر إليه والجيش ، وذكر أن أباه عهد إليه بذلك ، فحبسوه في داره ، ووكلوا به ، ثم أخرج ميتا في نصف رمضان ، فدفن ومنع أهله من البكاء عليه . ثم أذن لهم بعد أسبوع أن يعملوا ما يريدون .

وفيها ليلة الخميس رابع عشر رجب ، انخسف القمر جميعه وغاب منخسفاً .

وفيها في شعبان وقعت حرب بين أبي عبد الله بن الداعي العلوي ، وبين علوي آخر يعرف بأميرك – وهو أبو جعفر الثائر في الله - قتل فيها خلق كثير من الديلم والجيل . وأسر أبو عبد الله بن الداعي ، وسجن في قلعة ثم أطلق في المحرم سنة تسع وخمسين ، وعاد إلى رياسته ، وصار أبو جعفر صاحب جيشه .

وفيها قبض بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين ، وعلى جميع أصحابه وقبض أموالهم وأملاكهم ، واستوزر أبا الفرج محمد بن العباس ، ثم عزل أبا الفرج ، وأعاد أبا الفضل .

وفيها اشتد الغلاء بالعراق ، واضطرب الناس ، فسعر السلطان الطعام ، فاشتد البلاء فدعته الضرورة إلى إزالة التسعير،فسهل الأمر، وخرج الناس من العراق إلى الموصل والشام وخراسان من الغلاء .

وفيها نفي شيرزاد، وكان قد غلب على أمر بختيار، وصار يحكم على الوزير والجند وغيرهم ، فأوحش الأجناد وعزم الأتراك على قتله فمنعهم سبكتكين ، وقال لهم :

خوفوه ليهرب ، فهرب من بغداد وعهد إلى بختيار ليحفظ ماله وملكه . فلما سار عن بغداد قبض بختيار أمواله وأملاكه ودوره . وكان هذا مما يعاب به بختيار. ثم إن شيرزاد سار إلى ركن الدولة ليصلح أمره مع بختيار فتوفي بالري عند وصوله إليها .

وفيها توفي عبيد الله بن أحمد بن محمد أبو الفتح النحوي المعروف بخجخج (ا). وفيها مات عيسى الطبيب ، الذي كان طبيب القاهر بالله والحاكم في دولته . وكان قد عمي قبل موته بسنتين ، وكان مولده سنة إحدى وسبعين ومائتين .

(1)ضبطه السيوطي في بغية الوعاة بجيم ثم خاء ثم جيم حاء وفي الاصل بخاء ثم جيم خاء نم جيم قال ياقوت : سمع البغوي . وابن دريد وكان ثقة صحيح الكتابة صنف مجالسات العلماء ، العزلة والانفراد، اخبار جحظة وغير ذلك . .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

ذكر ملك الروم مدينة أنطاكية

في هذه السنة في المحرم ملك الروم مدينة أنطاكية . وسبب ذلك أنهم حصروا حصناً بالقرب من أنطاكية يقال له : حصن لوقا ،وانهم وافقوا أهله - وهم نصارى - على أن يرتحلوا منه إلى أنطاكية ، ويظهروا أنهم إنما انتقلوا منه خوفاً من الروم ، فإذا صاروا بأنطاكية أعانوهم على فتحها ، وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك وانتقل أهل الحصن ، ونزلوا بانطاكية بالقرب من الجبل الذي بها . فلما كان بعد انتقالهم بشهرين وافى الروم مع أخي تقفور الملك ، وكانوا نحو أربعين الف رجل ، فأحاطوا بسور أنطاكية وصدوا الجبل إلى الناحية التي بها أهل حصن لوقا،فلما رآهم أهل البلد قد ملكوا تلك الناحية طرحوا أنفسهم من السور وملك الروم البلد ووضعوا في أهله السيف ، ثم أخرجوا المشايخ ، والعجائز، والأطفال من البلد وقالوا لهم : اذهبوا حيث شئتم ، فأخذوا الشباب من الرجال ، والنساء ، والصبيان ، والصبايا فحملوهم إلى بلاد الروم سبيا، وكانوا يزيدون على عشرين ألف إنسان . وكان حصرهم له في ذي الحجة .

ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها

لما ملك الروم أنطاكية أنفذوا جيشاً كثيفاً إلى حلب ، وكان أبو المعالي شريف برت سيف الدولة محاصرا لها، وبها قرعويه السيفي متغلباً عليها . فلما سمو، أبو المعالي خبرهم ، فارق حلب وقصد البرية ليبعد عنهم ، وحصروا البلد وفيه قرعويه ، وأهل البلد قد تحصنوا بالقلعة . فملك الروم المدينة وحصروا القلعة ، فخرج إليهم جماعة من أهل حلب ، وتوسطوا بينهم وبين قرعويه ، وترددت الرسل ، فاستقر الأمر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه اليهم ، وأن يكون الروم إذا أرادوا الغزاة لا يمكن قرعويه

أهل القرايا من الجلاء عنها، ليبتاع الروم ما يحتاجون إليه منها . وكان مع حلب حماة، وحمص ، وكفرطاب ، والمعرة ، وأفامية ، وشيزر،وما بين ذلك من الحصون والقرايا . وسلموا الرهائن إلى الروم ، وعادوا عن حلب وتسلمها المسلمون .

ذكر ملك الروم ملازكرد

وفيها أرسل ملك الروم جيشا إلى ملازكرد من أعمال ارمينية فحصروها وضيقوا على من بها من المسلمين وملكوها عنوة وقهرا وعظمت شوكتهم وخافهم المسلمون في أقطار البلاد وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون أيها شاؤوا.

ذكر مسير ابن العميد إلى حسنويه

وفي هذه السنة جهز ركن الدولة وزيره أبا الفضل بن العميد في جيش كثيف ، وسيرهم إلى بلد حسنويه. وكان سبب ذلك أن حسنويه بن الحسين الكردي ، كان قد قوي واستفحل أمره لاشتغال ركن الدولة بما هو أهم منه ، ولأنه كان يعين الديلم على جيوش خراسان إذا قصدتهم فكان ركن الدولة يراعيه لذلك ، ويغضي على ما يبدو منه . وكان يتعرض إلى القوافل وغيرها بخفارة، فبلغ ذلك ركن الدولة فسكت عنه. فلما كان الآن وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف أدى إلى أن قصده سهلان ، وحاربه وهزمه حسنويه . فانحاز هو وأصحابه إلى مكان اجتمعوا فيه فقصدهم حسنويه وحصرهم فيه . ثم إنه جمع من الشوك والنبات وغيره شيئا كثيرا وفرقه في نواحي أصحاب سهلان ، وألقى فيه النار - وكان الزمان صيفا - فاشتد عليهم الأمر حتى كادوا يهلكون . فلما عاينوا الهلاك طلبوا الأمان ، فأمنهم فأخذهم عن آخرهم . وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمله له؛ فحينئذ أمر ابن العميد بالمسير إليه ، فتجهز وسار في المحرم ، ومعه ولده أبو الفتح . وكان شابا مرحا قد أبطره الشباب والأمر والنهي وكان يظهر منه ما يغضب بسببه والده ، وازدادت علته ، وكان به نقرس وغيره من الأمراض . فلما وصل إلى همذان توفي بها، وقام ولده مقامه . فصالح حسنويه على مال أخذه منه ، وعاد إلى الري إلى خدمة ركن الدولة . وكان والده يقول عند موته : " ما قتلني إلا ولدي وما أخاف على بيت العميد أن يخرب ويهلكوا إلا منه ". فكان على ما ظن .

وكان أبو الفضل بن العميد من محاسن الدنيا قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره

من حسن التدبير، وسياسة الملك والكتابة التي أتي فيها بكل بديع . وكان عالما في عدة فنون منها الأدب فإنه كان من العلماء به ، ومنها حفظ أشعار العرب ، فإنه حفظ منها ما لم يحفظ غيره مثله ، ومنها علوم الأوائل فإنه كان ماهرا فيها مع سلامة اعتقاد إلى غير ذلك من الفضائل ومع حسن خلق ، ولين عشرة مع أصحابه وجلسائه ، وشجاعة تامة ، ومعرفة بأمور الحرب والمحاصرات ، وبه تخرج عضد الدولة ، ومنه تعلم ساسية الملك ومحبة العلم والعلماء . وكان عمر ابن العميد قد زاد على ستين سنة يسيرا ، وكانت وزارته أربعا وعشرين سنة .

ذكر قتل تقفور ملك الروم (ا)

في هذه السنة قتل تقفور ملك الروم ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، وإنما كان دمستقا. والدمستق عندهم الذي كان يلي بلاد الروم التي هي شرقي خليج القسطنطينية ، وأكثرها اليوم بيد أولاد قلج أرسلان . وكان كل من يليها يلقب بالدمستق . وكان هذا تقفور شديدا على المسلمين ، وهو الذي أخذ حلب أيام سيف الدولة فعظم شانه عند الروم . وهو أيضاً الذي فتح طرسوس ، والمصيصة ، وأذنة ، وعين زربى ، وغيرها . ولم يكن نصراني الأصل ، وإنما هو من ولد رجل مسلم من أهل طرسوس -يعرف بابن الفقاس -تنصر، وكان ابنه هذا شهما شجاعاً حسن التدبير لما يتولاه. فلما عظم أمره وقوي شانه ، قتل الملك الذي كان قبله وملك الروم بعده وقد ذكرنا هذا جميعه .

فلما ملك تزوج امرأة الملك المقتول على كره منها، وكان لها من الملك المقتول ابنان . وجعل تقفور همته قصد بلاد الإسلام ، والإستيلاء عليها وتم له ما أراد باشتغال ملوك الإسلام بعضهم ببعض فدوخ البلاد . وكان قد بنى أمره على أن يقصد سواد البلاد فينهبه ، ويخربه فيضعف البلاد فيملكها . وغلب على الثغور الجزرية والشامية، وسبا وأسر ما يخرج عن الحصر، وهابه المسلمون هيبة عظيمة ولم يشكوا في أنه يملك جميع الشام ، ومصر، والجزيرة ، وديار بكر لخلو الجميع من مانع . فلما استفحل أمره ، أتاه أمر الله من حيث لم يحتسب . وذلك أنه عزم على أن يخصي ابني الملك المقتول لينقطع نسملهما، ولا يعارض أحد أولاده في الملك . فلما علمت أمهما ذلك قلقت منه ،

(1) ذكر المصنف موته سنة 356 راجع صفحة 24 وانظر تاريخ ابن خلدون 4 /314، وتد أورد اسمه "يعفور".

واحتالت على قتله فأرسلت إلى ابن الشمشقيق - وهو الدمستق حينئذ - ووافقته على أن يصير إليها في زي النساء، ومعه جماعة وقالت لزوجها : إن نسوة من أهلها قد زاروها . فلما صار إليها هو ومن معه جعلتهم في بيعة تتصل بدار الملك ، وكان ابن الشمشقيق شديد الخوف منه لعظم هيبته ، فاستجاب للمرأة إلى ما دعته إليه . فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة نام تقفور، واستثقل في نومه ففتحت امرأته الباب ، ودخلوا إليه فقتلوه. وثار بهم جماعة من أهله وخاصته ، فقتل منهم نيف وسبعون رجلا. وأجلس في الملك الأكبر من ولدي الملك المقتول ، وصار المدبر له ابن الشمشقيق. ويقال : إن تقفور ما بات قط إلا بسلاح إلا تلك الليلة لما يريده الله تعالى من قتله وفناء أجله .

ذكر ملك أبي تغلب مدينة حران

في هذه السنة في الثاني والعشرين من جمادي الأولى ، سار أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان إلى حران ، فرأى أهلها قد أغلقوا أبوابها وامتنعوا صنه فنازلهم وحصرهم ، فرعى أصحابه زروع تلك الأعمال ، وكان الغلاء في العسكر كثيرا فبقي كذلك إلى ثالث عشر جمادى الآخرة ، فخرج إليه نفران من أعيان أهلها ليلاً ،وصالحاه وأخذا الأمان لأهل البلد وعادا فلما أصبحا أعلما أهل حران ما فعلاه ، فاضطربوا وحملوا السلاح ، وأرادوا قتلهما . فسكنهم بعض أهلها فسكنوا . واتفقوا على إتمام الصلح ، وخرجوا جميعهم إلى أبي تغلب ، وفتحوا أبواب البلد . ودخله أبو تغلب لاخوته وجماعة من أصحابه . وصلوا به الجمعة وخرجوا إلى معسكرهم ، واستعمل عليهم سلامة البرقعيدي ، لأنه طلبه أهله لحسن سيرته ، وكان إليه أيضاً عمل الرقة - وهو من أكابر أصحاب بني حمدان - وعاد أبو تغلب إلى الموصل ، ومعه جماعة من أحداث سران . وسبب سرعة عوده أن بني نمير عاثوا في بلد الموصل ، وقتلوا العامل ببرقعيد، فعاد إليهم ليكفهم .

ذكر قتل سليمان بن أبي علي بن إلياس

في هذه السنة قتل سليمان بن أبي علي بن إلياس ، الذي كان والده صاحب كرمان. وسبب ذلك أنه ذكر للأمير منصور بن نوح صاحب خراسان أن أهل كرمان من القفص ، والبلوص معه وفي طاعته ، وأطمعه في كرمان فسير معه عسكرا إليها .

فلما وصل إليها وافقه القفص ، والبلوص ، وغيرهما من الأمم المفارقة لطاعة عضد الدولة . فاستفحل أمره وعظم جمعه . فلقيه كوركير بن جستان خليفة عضد الدولة بكرمان وحاربه . فقتل سليمان وابنا أخيه اليسع وهما بكر ، والحسين ، وعدد كثير من القواد والخراسانية ،وحملت رؤوسهم إلى عضد الدولة بشيراز، فسيرها إلى أبيه ركن الدولة، فأخذ منهم جماعة كثيرة أسرى .

ذكر الفتنة بصقلية

وفي هذه السنة استعمل المعز لدين الله الخليفة العلوي على جزيرة صقلية يعيش مولى الحسن بن علي بن أبي الحسين ، فجمع القبائل في دار الصناعة، فوقع الشر بين موالي كتامة والقبائل ، فاقتتلوا . فقتل من موالي كتامة كثير، وقتل من الموالي بناحية سرقوسة جماعة، وازداد الشر بينهم ، وتمكنت العداوة، وسعى يعيش في الصلح ، فلم يوافقوه . وتطاول أهل الشر من كل ناحية، ونهبوا وأفسدوا، واستطالوا على أهل المراعي واستطالوا على أهل القلاع المستأمنة . فبلغ الخبر إلى المعز فعزل يعيش ، واستعمل أبا القاسم بن الحسن بن علي بن أبي الحسين نيابة عن أخيه أحمد. فسار إليها ، فلما وصل فرح به الناس ، وزال الشر من بينهم ، واتفقوا على طاعته .

ذكر حصر عمران بن شاهين

في هذه السنة في شوال انحدر بختيار إلى البطيحة لمحاصرة عمران بن شاهين ، فأقام بواسط يتصيد شهراً . ثم أمر وزيره أبا الفضل أن ينحدر إلى الجامدة، وطفوف البطيحة وبنى أمره على أن يسد أفواه الأنهار ومجاري المياه إلى البطيحة ، ويردها إلى دجلة والفاروث (1) وربع طير. فبنى المسنيات التي يمكن السلوك عليها إلى العراق ،فطالت الأيام وزادت دجلة ، فخربت ما عملوه . وانتقل عمران إلى معقل آخر من معاقل البطيحة ، ونقل كل ماله إليه ، فلما نقصت المياه واستقامت الطرق ، وجدوا مكان عمران بن شاهين فارغاً . فطالت الأيام وضجر الناس من المقام ، وكرهوا تلك الأرض من الحر والبق والضفادع ،وإنقطاع المواد التي ألفوها، وشغب الجند على الوزير وشتموه وأبوا أن يقيموا . فاضطر بختيار إلى مصالحة عمران على مال يأخذه منه . وكان

(1) الفاروث : قرية كبيرة ذات سوق على شاطىء دجلة بين واسط والمذار أهلها كلهم روافض .

عمران قد خافه في الأول ، وبذل له خمسة آلاف ألف درهم . فلما رأى اضطراب أمر بختيار بذل الفي ألف درهم في نجوم ولم يسلم إليهم رهائن ولا حلف لهم على تأدية المال . ولما رحل العسكر تخطف عمران أطراف الناس ، فغنم منهم وفسد عسكر بختيار، وزالت عنهم الطاعة والهيبة . ووصل بختيار إلى بغداد في رجب سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأخر إصطلح قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان ، وأبو المعالي بن سيف الدولة، وخطب لأبي المعالي بحلب ، وكان بحمص ، وخطب هو وقرعويه في أعمالهما للمعز لدين الله العلوي صاحب المغرب ومصر.

وفيها في رمضان وقع حريق عظيم ببغداد في سوق الثلاثاء، فاحترق جماعة رجال ونساء، وأما الرحال وغيرها فكثير. ووقع الحريق أيضاً في أربع مواضع من الجانب الغربي فيها أيضاً .

وفيها كانت الخطبة بمكة للمطيع لله ، وللقرامطة الهجريين ، وخطب بالمدينة للمعز لدين الله العلوي . وخطب أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي خارج المدينة للمطيع لله .

وفيها مات عبيد بن عمر بن أحمد أبو القاسم العبسي المقري الشافعي بقرطبة ، وله تصانيف كثيرة . وكان مولده ببغداد سنة خمس وتسعين ومائتين (ا) . وأبو بكر محمد بن داود الدينوي الصوفي المعروف بالرقي (2)، وهو من مشاهير

(ا) قال في طبقات الشافعية : عبيد مصغر وغير مضاف. وربما قيل عبيدالله مضافاً وإياه أورد ابن باطيش في الطبقات هو عبيد بن عمر أحمد بن محمد أبو القاسم القيسي البغدادي نزيل قرطبة وهو المشهور بعبيد الفقيه أخذ عن الأصطخري . وسمع من ابي القاسم البغوي ، والطحاوي . وابن صاعد وغيرهم . وكان صاحب الأندلس الملقب بالمستنصر يجله ويعظمه كثيراً توفي بقرطبة في ذي الحجة . وقد وقع في الاصول " العبسي " بالعين المهملة والباء الموحدة، وفي طبقات القراء للجزري 1 /489 . القيسي).

(2) هو من رجال الرسالة القشيرية قال أبو القاسم القشيري : المعروف بالدقي - هكذا وقع بالدال المهملة - وأقام بالشام وعاش اكثر من مائة سنة مات بدفق بعد الخمسين والثلاثمائة صحب ابن الجلاء والزقاق قال =

مشايخهم . وقيل : مات سنة اثنتي وستين .

وفيها توفي القاضي أبو العلاء محارب بن محمد بن محارب (1) الفقيه الشافعي ،في جمادى الآخرة ،وكان عالماً بالفقه والكلام .

= أبو بكر الدقي المذكور : المعدة مرضع يجمع الاطعمة فاذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق الى الله وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب .

(1)هو من ذرية محارب بن دثار. كان ثقة روى عن جعفر الفريابي وغيره .

ثم دخلت سنة ستين وثلاثمائة

ذكر عصيان أهل كرمان على عضد الدولة

لما ملك عضد الدولة كرمان كما ذكرناه ، اجتمع القفص ، والبلوص ، وفيهم أبو سعيد البلوصي وأولاده ، على كلمة واحدة في الخلاف وتحالفوا على الثبات والإجتهاد، فضم عضد الدولة إلى كوركير بن جستان عابد بن علي . فسارا إلى جيرفت (ا) فيمن معهما من العساكر، فالتقوا عاشر صفر، فاقتتلوا وصبر الفريقان . ثم انهزم القفص ومن معهم فقتل منهم خمسة آلاف من شجعانهم ووجوههم ، وقتل ابنان لأبي سعيد ثم سار عابد بن علي يقص آثارهم ليستأصلهم ، فأوقع بهم عدة وقائع وأثخن فيهم .

وانتهى إلى هرموز فملكها واستولى على بلاد التين ، ومكران (2). وأسر الفي أسير وطلب الباقون الأمان ، وبذلوا تسليم معاقلهم وجبالهم على أن يدخلوا في السلم ، وينزعوا شعار الحرب ، ويقيموا حدود الإسلام من الصلاة والزكاة والصوم . ثم سار عابد الى طوائف أخر يعرفون بالجرومية والحاسكية(3) يخيفون السبيل في البحر والبر، وكانوا قد أعانوا سليمان بن أبي علي بن إلياس - وقد تقدم ذكرهم - فأوقع بهم وقتل كثيرا منهم ، وأنفذهم إلى عضد الدولة ، فاستقامت تلك الأرض مدة من الزمان ثم لم يلبث البلوص أن عادوا إلى ما كانوا عليه ، من سفك الدم وقطع الطريق . فلما فعلوا ذلك تجهز عضد الدولة وسار إلى كرمان في ذي القعدة، فلما وصل إلى السيرجان (4)، رأى

(1) جيرفت : مدينة بكرمان في الإقليم الثالث . وهي مدينة كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان وأنزهها وأوسعها .

(2) مكران : ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى. وهي بين كرمان وسجستان . والبحر والهند.

(3) الجرومية والحاسكية : لم أجدهما في معجم البلدان .

(4) السيرجان : مدينة بين كرمان وفارس .

فسادهم وما فعلوه من قطع الطريق بكرمان ، وسجستان ، وخراسان ، فجرد عابد بن علي في عسكر كثيف ، وأمره باتباعهم . فلما أحسوا به ، أوغلوا في الهرب إلى مضايق ، ظنوا أن العسكر لا يتوغلها ،فأقاموا آمنين . فسار في آثارهم فلم يشعروا إلا وقد أطل عليهم ، فلم يمكنهم الهرب ، فصبروا يومهم وهو تاسع عشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وثلاثمائة . ثم انهزموا آخر النهار، وقتل أكثر رجالهم المقاتلة وسبى الذراري ، والنساء وبقي القليل . وطلبوا الأمان فأجيبوا إليه ، ونقلوا عن تلك الجبال . وأسكن عضد الدولة مكانهم الأكرة، والزراعين حتى طبقوا تلك الأرض بالعمل . وتتبع عابد تلك الطوائف براً وبحراً حتى أتى عليهم وبدد شملهم .

ذكر ملك القرامطة دمشق

في هذه السنة في ذي القعدة وصل القرامطة إلى دمشق فملكوها، وقتلوا جعفر بن فلاح (1). وسبب ذلك أنهم لما بلغهم استيلاء جعفر بن فلاح على الشام أهمهم وأزعجهم ، وقلقوا لأنهم كان قد تقرر بينهم وبين ابن طغج (2) أن يحمل إليهم كل سنة ثلاثمائة ألف دينار. فلما ملكها جعفر، علموا أن المال يفوتهم ، فعزموا على قصد الشام وصاحبهم حينئذ الحسين بن أحمد ج ت بهرام القرمطي ، فأرسل إلى عز الدولة بختيار، يطلب منه المساعدة بالسلاح والمال . فأجابه إلى ذلك . واستقر الحال أنهم إذا وصلوا إلى الكوفة سائرين إلى الشام حمل الذي استقر، فلما وصلوا إلى الكوفة أوصل إليهم ذلك وساروا إلى دمشق ، وبلغ خبرهم إلى جعفر بن فلاح ، فاستهان بهم ولم يحترز منهم ، فلم يشعر بهم ، حتى كبسوه بظاهر دمشق وقتلوه ، وأخذوا ماله وسلاحه ودوابه وملكوا دمشق وأمنوا أهلها . وساروا إلى الرملة واستولوا على جميع ما بينهما ، فلما سمع من بها من المغاربة خبرهم ساروا عنها إلى يافا فتحصنوا بها، وملك القرامطة الرملة . وساروا إلى مصر وتركوا على يافا من يحصرها . فلما وصلوا إلى مصر اجتمع معهم خلق كثير من العرب ، والجند ، والإخشيدية ، والكافورية فاجتمعوا بعين شمس عند مصر، واجتمع عساكر جوهر وخرجوا إليهم . فاقتتلوا في مرة الظفر في

(1) البداية والنهاية 11 /287 ط . دار الكتب العلمية بيروت . شذرات الذهب 3/ 29 ووفيات الاعلام 1 / 361 - 362 - 378 .

(2) الحسن بن عبيد الله بن طغج .

جميع تلك الأيام للقرامطة ، وحصروا المغاربة حصرا شديدا .ثم إن المغاربة خرجوا في بعض الأيام من مصر، وحملوا على ميمنة القرامطة . فانهزم من بها من العرب وفي س هم وقصدوا سواد القرامطة ، فنهبوه فاضطروا إلى الرحيل ، فعادوا إلى الشام فنزلوا الرملة . ثم حصروا يافا حصرا شديدا وضيقوا على من بها. فسير جوهر من مصر نجدة إلى أصحابه المحصورين بيافا ومعهم ميرة في خمسة عشر مركبا فأرسل القرامطة مراكبهم !ليها فأخذوا مراكب جوهر، ولم ينج منها غير مركبين ، فغنمهما مراكب الروم (1) . وللحسين بن بهرام مقدم القرامطة شعر، فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله .

¬ زعمت رجال الغرب أني هبتها فدمي إذا ما بينهم مطلول

¬ يا مصر إن لم أسق أرضك من دم يروي ثراك فلا سقاني النيل

ذكر قتل محمد بن الحسين الزناتي

في هذه السنة قتل يوسف بلكين بن زيري محمد بن الحسين بن خزر الزناتي ، وجماعة من أهله ، وبني عمه . وكان قد عصى على المعز لدين الله بأفريقية، وكثر جمعه من زناتة، والبربر. فأهم المعز أمره لأنه أراد الخروج إلى مصر، فخاف أن يخلف محمدا في البلاد عاصيا . وكان جبارا عاتيا طاغيا . وأما كيفية قتله ، فإنه كان يشرب هو وجماعة من أهله وأصحابه ، فعلم يوسف به فسار إليه جريدة متخفيا فلم يشعر به محمد حتى دخل عليه ، فلما رآه محمد قتل نفسه بسيف ، وقتل يوسف الباقين ، وأسر منهم ، فحل ذلك عند المعز محلاً عظيماً، وقعد للهناء به ثلاثة أيام .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبض عضد الدولة على كوكير بن ،جستان قبضا فيه إبقاء، وموضع للصلح .

وفيها تزوج أبو تغلب بن حمدان ابنة عز الدولة بختيار وعمرها ثلاث سنين على صداق مائة ألف دينار. وكان الوكيل في قبول العقد أبا الحسن علي بن عمرو بن ميمون

(1) في البداية والنهاية 11 /287 : " فأخذتها القرامطة سرى مركبين أخذتها الافرنج " .

صاحب أبي تغلب بن حمدان ، ووقع في صفر.

وفيها قتل رجلان بمسجد دير مار ميخاييل بظاهر الموصل ، فصادر أبو تغلب جماعة من النصارى .

وفيها استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة الصاحب أبا القاسم بن عباد وأصلح أموره كلها .

وفيها مات أبو القاسم سليمان بن أيوب الطبراني ا(ا) صاحب المعاجم الثلاثة بأصبهان ،وكان عمره مائة سنة، وأبو بكر محمد بن الحسين الآجري (2) بمكة، وهما من حفاظ المحدثين .

وفيها توفي السري بن أحمد بن السري أبو الحسن الكندي الرفاء الشاعر الموصلي ببغداد (3) .

(1) سليمان بن أحمد بن ايوب بن مطير اللخمي . وقد ورد في ابن عسكر " مطر " والصواب مطير على ما في الأنساب والوفيات . شذرات الذهب 3/ 30 والبداية والنهاية 11 /287 - 288 .

(2) شذرات الذهب 3/ 35 ، البداية والنهاية 11/ 288 ، الاعلام 6 / 328 .

(3) كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بالموصل . ومع ذلك يتولع بالادب وينظم الشعر حتى جاد شعره ومهر فيه ، وله مدائح في سيف الدولة بن حمدان وغيره من الملوك والامراء ، قال ابن خلكان : وللسري الرفا هذا ديوان كبير جداً .

ثم دخلت سنة احدى وستين وثلاثمائة

ذكر ما فعله الروم بالجزيرة(1)

في هذه السنة في المحرم أغار ملك الروم على الرها ونواحيها، وساروا في ديار الجزيرة ، حتى بلغوا نصيبين فغنموا وسبوا وأحرقوا وخربوا البلاد، وفعلوا مثل ذلك بديار بكر، ولم يكن من أبي تغلب بن حمدان في ذلك حركة، ولا سعى في دفعه لكنه حمل إليه مالا كفه به ، عن نفسه . فسار جماعة من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنفرين ، وقاموا في الجوامع والمشاهد ، واستنفروا المسلمين ، وذكروا ما فعله الروم من النهب ، والقتل ، والأسر، والسبي ، فاستعظمه الناس وخوفهم أهل الجزيرة من انفتاح الطريق ، وطمع الروم ، وأنهم لا مانع لهم عندهم . فاجتمع معهم ،أهل بغداد، وقصدوا دار الخليفة الطائع لله ، وأرادوا الهجوم عليه فمنعوا من ذلك وأغلقت الأبواب فأسمعوا ما يقبح ذكره . وكان بختيار حينئذ يتصيد بنواحي الكوفة، فخرج إليه وجوه أهل بغداد(2) مستغيثين منكرين عليه اشتغاله بالصيد، وقتال عمران بن شاهين - وهو مسلم - وترك جهاد الروم ، ومنعهم عن بلاد الإسلام حتى توغلوها، فوعدهم التجهز للغزاة، وأرسل إلى الحاجب سبكتكين يأمره بالتجهز للغزو، وأن يستنفر العامة . ففعل سبكتكين ذلك ، فاجتمع من العامة عدد كثير لا يحصون كثرة . وكتب بختيار إلى أبي تغلب بن حمدان صاحب الموصل ، يأمره بإعداد الميرة والعلوفات ، ويعرفه عزمه على الغزاة فأجابه بإظهار الفرح ، وإعداد ما طلب منه .

(1) ابن خلدون 4 / 5 31 . وتاريخ الاسلام 3/ 149 .

(2)قال في تاريخ الاسلام : وفيهم أبو بكر الرازي الفقيه ، وابو الحسن علي بن عيسى النحوي . وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه .

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة، وقعت ببغداد فتنة عظيمة، وأظهروا العصبية الزائدة، وتحزب الناس ، وظهر العيارون وأظهروا الفساد ، وأخذوا أموال الناس ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه ، من استنفار العامة للغزاة، فاجتمعوا وكثروا فتولد بينهم من أصناف البنوية،والفتيان ، والسنية ، والشيعة ، والعيارين. فنهبت الأموال وقتل الرجال ، وأحرقت الدور . وفي جملة ما احترق محلة الكرخ ، وكانت معدن التجار والشيعة . وجرى بسبب ذلك فتنة بين النقيب أبي أحمد الموسوي ، والوزير أبي الفضل الشيرازي وعداوة .

ثم إن بختيار أنفذ إلى المطيع لله يطلب منه مالا يخرجه في الغزاة. فقال المطيع : " إن الغزاة والنفقة عليها وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني ، إذا كانت الدنيا في يدي وتجبى إلي الأموال ، وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك ، وإنما يلزم من البلاد في يده وليس لي إلا الخطبة فان شئتم أن اعتزل فعلت " . وترددت الرسائل بينهما حتى بلغوا إلى التهديد ، فبذل المطيع لله أربعمائة ألف درهم ، فاحتاج إلى بيع ثيابه وأنقاض داره وغير ذلك ، وشاع بين الناس من ا لعراقيين ، وحجاج خراسان ، وغيرها أن الخليفة قد صودر. فلما قبض بختيار المال صرفه في مصالحه وبطل حديث ا لغزاة .

ذكر مسير المعز لدين الله العلوي من الغرب إلى مصر

في هذه السنة سار المعز لدين الله العلوي من أفريقية يريد الديار المصرية . وكان أول مسيره أواخر شوال من سنة إحدى وستين وثلاثمائة . وكان أول رحيله من المنصورية ، فأقام بسردانية (1) - وهي قرية قريبة من القيروان -ولحقه بها رجاله ،وعماله وأهل بيته وجمع ما كان له في فصره من أموال وأمتعة وغير ذلك ، حتى أن الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين ، وحمل كل طاحونتين على جمل وسار عنها . واستعمل على بلاد أفريقية يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الجميري ، إلا أنه لنم يجعل له حكما على جزيرة صقلية، ولا على مدينة طرابلس الغرب ولا علما أجدابية،

(1)سردانية : جزيرة في بحر المغرب كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية وأقريطش أكبر منها، تعرف اليوم باسم سردينية .

وسرت (ا). وجعل على صقلية حسن بن علي بن أبي الحسين على ما قدمنا ذكره . وجعل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي ، وكان أسيرا عنده . وجعل على جباية أموال أفريقية زيادة الله بن القديم . وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني ، وحسين بن خلف الموصدي وأمرهم بالانقياد ليوسف بن زيري .

فأقام بسردانية أربعة أشهر حتى فرغ من جميع ما يريد، ثم رحل عنها ومعه يوسف بلكين ، وهو يوصيه بما يفعله ، ونحن نذكر آنفا من سلف ، يوسف بلكين وأهله ما تمس الحاجة إليه . ورد يوسف إلى أعماله ، وسار إلى طرابلس ومعه جيوشه وحواشيه ، فهرب منه بهما جمع من عسكره إلى جبال نفوسة فطلبهم فلم يقدر عليهم . ثم سار إلى مصر، فلما وصل إلى برقة ومعه محمد بن هانىء الشاعر الأندلسي (2) قتل غيلة، فرؤي فلقي على جانب البحر قتيلا لا يدري من قتله . وكان قتله أواخر رجب من سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وكان من الشعراء المجيدين إلا أنه غالى في مدح المعز، حتى كفره العلماء . فمن ذلك قوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم ، فأنت الواحد القهار

(1)أجدابية : بلد بين برقة وطرابلس الغرب . وسرت : مدينة على ساحل البحر بين برقة وطرابلس الغرب .

(2) هو محمد بن هانىء أبو القاسم . وقيل : أبو الحسن الازدي الأندلسي قيل : إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة،وقيل : بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم ، وكان أبوه هانىء من قرية من ترى المهدية بافريقية وكان شاعراً أديبا كان ماهرا في الأدب حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم . واتصل بصاحب اشبيلية وحظي عنده وكان كثير الانهماك في اللذات متهما بمذهب الفلاسفة . ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل أشبيلية واتهم الملك بمذهبه فأشار عليه الملك بالغيبة عن البلد مدة -ينسى فيها خبره - فانفصل وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة فخرج إلى عدوة المغرب ولقي جوهر القائد ثم رحل إلى جعفر ويحيى ابني علي كانا بالمسيلة - وهي مدينة الزاب - وكانا واليها فبالغا في اكرامه والاحسان إليه . ونس خبره إلى معز أبي تميم معد بن المنصور العبيدي ، وطلبه منهما فلما انتهى إليه بالغ في الإنعام عليه ،ثم توجه المعز إلى الديار المصرية فشيعه ابن هانىء ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز

وتبعه فلما دخل إلى برقة إلى آخر ما حكاه المؤلف ، ومن شعره قصيدته النونية ني مدح المعز لدين الله منها:

- بيض وما ضحك الصباح وأنها بالمسك من طرر الحسان لجون
- ادمى لها المرجان صفحة خده وبكى عليها اللؤلؤ المكنون

وكان ابن هانىء هذا بالمغرب مثل المتنبي في المشرق .

وقوله : ولطالما زاحمت تحت ركابه جبريلا

ومن ذلك ما ينسب إليه ولم أجدها في ديوانه قوله :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح (1)

حل بها الله ذو المعالي فكل شيء سواه ريح

ورقادة اسم مدينة بالقرب من القيروان إلى غير ذلك . وقد تأول ذلك من يتعصب له والله أعلم . وبالجملة فقد جاوز حد المديح . ثم سار المعز حتى وصل إلى الإسكندرية أواخر شعبان من السنة ، وأتاه أهل مصر وأعيانها فلقيهم وأكرمهم وأحسن إليهم . وسار فدخل القاهرة خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وأنزل عساكره مصر والقاهرة في الديار، وبقي كثير منهم في الخيام ، وأما يوسف بلكين فإنه لما عاد من وداع المعز، أقام بالمنصورية يعقد الولايات للعمال على البلاد ، ثم سار في البلاد وباشر الأعمال وطيب قلوب الناس . فوثب أهل باغاية على عامله فقاتلوه ، فهزموه فسير إليهم يوسف جيشا فقاتلهم ، فلم يقدر عليهم ، فأرسل إلى يوسف يعرفه الحال ، فتأهب يوسف وجمع العساكر ليسير إليهم . فبينما هو في التجهز أتاه الخبر عن تاهرت ،أن أهلها قد عصوا وخالفوا وأخرجوا عامله . فرحل إلى تاهرت فقاتلها فظفر باهلة وخربها . فاتاه الخبر بها أن زناتة قد نزلوا على تلمسان ، فرحل إليهم فهربوا منه ، وأقام على تلمسان فحصرها مدة ثم نزلوا على حكمه فعفا عنهم ،إلا أنه نقلهم إلى مدينة أشير، فبنوا عندها مدينة سموها تلمسان .

ثم إن زيادة الله بن القديم جرى بينه وبين عامل آخر كان معه اسمه عبد الله بن لم محمد الكاتب منافسة ، صارت إلى محاربة ، واجتمع مع كل واحد منهما جماعة ، وكان بينهما حروب عدة دفعات ، وكان يوسف بلكين مائلاً مع عبد الله لصحبة قديمة بينهما. ثم إن أبا عبد الله قبض على ابن القديم وسجنه واستبد بالأمور بعده . وبقي ابن القديم

(1)

حل بزيادة حل المسيح بها وحل آدم ونوح

حل بها الله ذو المعالي فكل شيء سواه ريح

رجل : عظم ، واليت غير مستقيم الوزن . هكذا وردت في البداية والنهاية 11 /292 .

محبوساً حتى توفي المعز بمصر،وقوي أمر يوسف بلكين .

وفي سنة أربع وستين طلع خلف بن حسين إلى قلعة منيعة، فاجتمع إليه خلق كثير، من البربر وغيرهم ، وكان من أصحاب ابن القديم المساعدين له . فسمع يوسف بذلك فسار إليه ، ونازل القلعة وحاربه . فقتل بينهما عدة قتلى وافتتحها . وهرب خلف بن حسين ، وقتل ممن كان بها خلق كثير، وبعث إلى القيروان من رؤوسهم سبعة آلاف رأس. ثم أخذ خلف وأمر به ، فطيف به على جمل ، ثم صلب وسير رأسه إلى مصر، فلما سمع أهل باغاية بذلك ، خافوا فصالحوا يوسف ونزلوا على حكمه ، فأخرجهم من باغاية وخرب سورها .

ذكر خبر يوسف بلكين بن زيري بن مناد وأهل بيته

هو يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري اجتمعت صنهاجة ومن والاها بالمغرب على طاعته قبل أن يقدمه المنصور، وكان أبوه مناد كبيرا في قومه ، كثير المال والولد حسن الضيافة لمن يمر به . وتقدم ابنه زيري في أيامه ، وقاد كثيراً من صنهاجة ، وأغاربهم وسبى . فحسدته زناتة وجمعت له لتسير إليه وتحاربه . فسار إليهم مجداً فكبسهم ليلا- وهم غارون - بأرض مغيلة فقتل منهم كثيراً، وغنم ما معهم فكثر تبعه ، فضاقت بهم أرضهم فقالوا له : لو اتخذت لنا بلدا غير هذا . فسار بهم إلى موضع مدينة أشير، فرأى ما فيه من العيون ، فاستحسنه وبنى فيه مدينة أشير وسكنها . هو وأصحابه ، وكان ذلك سنة أربع وستين وثلاثمائة . وكانت زناتة تفسد في البلاد فإذا طلبوا احتموا بالجبال والبراري . فلما بنيت أشير، صارت صنهاجة بين البلاد وبين زناتة والبربر، فسر بذلك القائم .

وسمع زيري بغمارة وفسادهم ت استحلالهم المحرمات ، وإنهم قد ظهر فيهم نبي فسار إليهم ، وغزاهم وظفر بهم ، وأخذ الذي كان يدعي النبوة أسيراً ، وأحضر الفقهاء فقتله . ثم كان له أثر حسن في حادثة أبي يزيد الخارجي ، وحمل الميرة إلى القائم بالمهدية، فحسن موقعها منه . ثم إن زناتة حصرت مدينة أشير فجمع لهم زيري جموعا كثيرة وجرى بينهم عدة وقعات ، قتل فيها كثير من الفريقين ، ثم ظفر بهم واستباحهم ،ثم ظهر بجبل أوراس رجل ، وخالف على المنصور، وكثر جمعه يقال له : سعيد بن يوسف . فسير إليه زيري ولده بلكين في جيش كثيف ، فلقيه عند باغاية واقتتلوا فقتل

الخارجي ومن معه من هوارة وغيرهم ، فزاد محله عند المنصور. وكان له في فتح مدينة فاس أثر عظيم على ما ذكرناه ، ثم أن بلكين بن زيري قصد محمد بن الحسين بن خزر الزناتي وقد خرج عن طاعة المعز وكثر جمعه وعظم شانه فظفر به يوسف بلكين وأكثر القتل في أصحابه فسر المعز بذلك سرورا عظيما لأنه كا يريد أن يستخلف يوسف بلكين على الغرب لقوته وكثرة أتباعه ، وكان يخاف أن يتغلب على البلاد بعد مسيره عنها إلى مصر، فلما استحكمت الوحشة بينه وبين زناتة أمن تغلبه على البلاد، ثم إن جعفر بن علي صاحب مدينة مسيلة وأعمال الزاب ، كان بينه وبين زيري محاسدة. فلما كثر تقدم زيري عند المعز ساء ذلك جعفرا، ففارق بلاده ولحق بزناتة فقبلوه قبولاً عظيماً وملكوه عليهم عداوة لزيري. وعصى على المعز فسار زيري إليه في جمع كثير من صنهاجة وغيرهم ، فالتقوا في شهر رمضان ، واشتد القتال بينهم فكبا بزيري فرسه ، فوقع فقتل ، ورأى جعفر من زناتة تغيراً عن طاعته ، وندما على قتل زيري فقال لهم : إن ابنه يوسف بلكين لا يترك ثار ابيه ، ولا يرضى بمن قتل منكم . والرأي أن نتحصن بالجبال المنيعة، والأوعار فأجابوه إلى ذلك . فحمل ماله وأهله في المراكب وبقي هو مع الزناتيين ، وأمر عبيده في المراكب أن يعملوا في المراكب فتنة ففعلوا - وهو يشاهدهم من البر- فقال لزناتة : "أريد أنظر ما سبب هذا الشر. فصعد المركب ونجا معهم ، وسار إلى الأندلس ، إلى الحاكم الأموي فأكرمه وأحسن إليه . وندمت زناتة كيف لم يقتلوه ، ويغنموا ما معه ، ثم إن يوسف بلكين جمع فاكثر، وقصد زناتة وأكثر القتل فيهم ، وسبى نساءهم وغنم أولادهم وأمر أن يجعل القدور على رؤوسهم ويطبخ فيها . ولما سمع المعز بذلك سره أيضاً وزاد في إقطاع بلكين المسيلة، وأعمالها وعظم شأنه ، ونذكر باقي أحواله بعد ملكه أفريقية .

ذكر الصلح بين الأمير منصور بن نوح وبين ركن الدولة وعضد الدولة

في هذه السنة تم الصلح بين الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان ،وما وراء النهر وبين ركن الدولة ، وابنه عضد الدولة على أن يحما، ركن الدولة وعضد الدولة إليه كل سنة مائة ألف وخمسين م لف دينار. وتزوج نوح بابنة عضد الدولة وحمل إليه من الهدأيا، والتحف ما لم يحمل مثله . وكتب بينهم كتاب صلح وشهد فيه أعيان خراسان ، وفارس ، والعراق ، وكان الذي سعى في هذا الصلح ، وقرره محمد بن إبراهيم بن سيمجور صاحب جيوش خراسان ، من جهة الأمير منصور .

في هذه السنة في صفر انقض كوكب عظيم ، وله نور كثير، وسمع له عند انقضاضه صوت كالرعد، وبقي ضوؤه .

وفي شوال منها ملك أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين ، سلمها إليه نائب أخيه حمدان فأخذ أبو تغلب كل ما كان لأخيه فيها من أهل ، ومال ، وأثاث ، وسلاح وحمل الجميع إلى الموصل .

ثم دخلت سنة إثنتين وستين وثلاثمائة

ذكر انهزام الروم وأسر الدمستق (1)

في هذه السنة كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، وبين الدمستق بناحية ميافارقين . وكان سببها ما ذكرناه ، عن غزو الدمستق بلاد الإسلام ، ونهبه ديار ربيعة ، وديار بكر . فلما رأى الدمستق أنه لا مانع له عن مراده قوي طمعه على أخذ آمد، فسار إليها وبها هزار مرد غلام أبي الهيجاء بن حمدان ، فكتب إلى أبي تغلب يستصرخه ، ويستنجده ويعلمه الحال . فسير إليه أخاه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة ، واجتمعا على حرب الدمستق ، وسارا إليه ، فلقياه سلخ رمضان . وكان الدمستق في كثرة،لكنهما لقياه في مضيق لا تجول فيه الخيل - والروم على غير أهبة - فانهزموا وأخذ المسلمون الدمستق أسيرا. ولم يزل محبوسا إلى أن مرض سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . فبالغ أبو تغلب في علاجه ، وجمع الأطباء له فلم ينفعه ذلك ومات .

ذكر حريق الكرخ (2)

في هذه السنة في شعبان احترق الكرخ حريقاً عظيماً. وسبب ذلك أن صاحب المعونة قتل عاميا . فثار به العامة والأتراك ، فهرب ودخل دار بعض الأتراك ، فأخرج منها مسحوبا وقتل وأحرق ، وفتحت السجون فأخرج من فيها ، فركب الوزير أبو الفضل لأخذ الجناة وأرسل لمط جبا له - يسمى صافياً - في جمع لقتال العامة بالكرخ ، وكان شديد العصبية للسنية،فألقى النار في عدة أماكن من الكرخ ، فاحترق حريقاً عظيماً . وكان

(1) تاريخ ابن خلدون 4 / 316 ، وقد أورد اسمه (الدمشق)

.

(2) فى البداية والنهاية 11 /293 - 4 29 ، قال ابن كثير: إن إحراق الكرخ كان في سنة 363 هـ .

عدة من احترق فيه سبعة عشر ألف إنسان وثلاثمائة دكان ، وكثير من الدور، وثلاثة وثلاثين مسجدا ومن الأموال ما لا يحصى .

ذكر عزل أبي الفضل من وزارة عز الدولة ووزارة ابن بقية

وفيها أيضاً عزل الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين من وزارة عز الدولة بختيار في ذي الحجة .

واستوزر محمد بن بقية فعجب الناس لذلك لأنه كان وضيعا في نفسه من أهل أوانا . وكان أبوه أحد الزراعين ، لكنه كان قريبا من بختيار، وكان يتولى له المطبخ ، ويقدم إليه الطعام ، ومنديل الخوان على كتفه إلى أن استوزر، وحبس الوزير ابو الفضل فمات عن قريب فقيل : إنه مات مسموما،(ا) وكان في ولايته مضيعا لجانب الله ، فمن ذلك أنه أحرق الكرخ ببغداد، فهلك فيه من الناس والأموال ما لا يحصى ، ومن ذلك أنه ظلم الرعية وأخذ الأموال ليفرقها على الجند ليسلم فما سلمه الله تعالى ولا نفعه ذلك . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : " من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس " وكان ما فعله من ذلك أبلغ الطرق التي سلكها أعداؤه من الوقيعة فيه والسعي به ، وتمشى لهم ما أرادوا لما كان عليه من تفريطه في أمر دينه وظلم رعيته ، وعقب ذلك أن زوجته ماتت - وهو محبوس - وحاجبه وكاتبه . فخربت داره وعفا أثرها نعوذ بالله من سؤ الأقدار، ونساله أن يختم بخير أعمالنا، فإن الدنيا إلى زوال ما هي . وأما ابن بقية فإنه استقامت أموره ، ومشت الأحوال بين يديه بما أخذه من أموال أبي الفضل ،وأموال أصحابه ، فلما فني ذلك عاد إلى ظلم الرعية . فانتشرت الأمور على يده ، وخربت النواحي وظهر العيارون ، وعملوا ما أرادوا . وزاد الاختلاف بين الأتراك وبين بختيار، فشرع ابن بقية في اصلاح الحال مع بختيار، وسبكتكين ، فاصطلحوا وكانت هدنة على دخن .

وركب سبكتكين إلى بختيار ومعه الأتراك ، فاجتمع به ثم عاد الحال إلى ما كان عليه من الفساد . وسبب ذلك أن ديلمياً اجتاز بدار سبكتكين - وهو سكران - فرمى الروشن بزوبين في يده ، فأثبته فيه وأحس به سبكتكين فصاح بغلمانه فأخذوه ، وظن

(ا) قال صاحب التكملة : إنه شقي ذراريح في سكنجبين فتقرحت مثانته ومات من ذلك .

سبكتكين أنه قد وضع على قتله ، فقرره فلم يعترف وأنفذه إلى بختيار، وعرفه الحال فأمر به فقتل فقوي ظن سبكتكين أنه كان وضعه عليه وإنما قتله لئلا يفشي ذلك . وتحرك الديلم لقتله وحملوا السلاح ، ثم أرضاهم بختيار فرجعوا .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ذي الحجة أرسل عز الدولة بختيار الشريف أبا أحمد الموسوي والد الرضي ، والمرتضى في رسالة إلى أبي تغلب بن حمدان بالموصل ، فمض إليه وعاد في المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

وفيها توفي أبو العباس محمد بن الحسن بن سعيد المخرمي الصوفي صاحب الشبلي بمكة(1).

(1) وممن توفي هذه السنة من الاعيان ابراهيم بن محمد بن شجنونة بن عبد الله المزكي احد الحفاظ انفق على الحديث وأهله أموالا جزيلة واسمع الناس بتخريجه وعقد له مجلس للاملاء بنيسابور. ورحل وسمع من المشايخ غرباً وشرقاً، ومن مشايخه ابن جرير. وابن أبي حاتم . وكان يحضر مجلسه خلق كثير من كبار المحدثين منهم أبو العباس الاصم واضرابه توفي بعد خروجه من بغداد ونقل إلى نيسابور فدفن بها عن سبع وستين سنة، ومحمد بن الحسن بن كوثر بن علي أبو بحر البربهاري - نسبة إلى بيع البربهار وهو ما يجلب من الهند- قال الدارقطني : اقتصروا على ما خرجته له فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده ، ومحمد بن عبد بن محمد ابو جعفر البلخي الهندواني الذي كان من براعته في الفقه يقال له : ابو حنيفة الصغير توفي ببخارى وكان شيخ تلك الديار في زمانه ، والهندواني - بكسر الهاء وضم الدال المهملة - نسبة إلى باب هندوان محلة ببلخ (ومن حوادث هذه السنة) أن الرافضة لم تعمل المأتم ببغداد على الحسين بن علي رضوان الله عليهما بسبب ما جرى على المسلمين من الروم ، وكان عز

الدولة بختيار بن بويه بواسط والحاجب سبكتكين ببغداد، وكان سبكتكين المذكور يميل إلى السنة فمنعهم من ذلك ، وفيها حج بالناس النقيب أبو أحمد الموسوي .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

ذكر استيلاء بختيار على الموصل وما كان من ذلك (1)

في هذه السنة فى ربيع الأول سار بختيار إلى الموصل ليستولي عليها، وعلى أعمالها وما بيد أبي تغلب بن حمدان ، وكان سبب ذلك ما ذكرناه ، من مسير حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان ، وأخيه إبراهيم إلى بختيار واستجارتهما به وشكواهما إليه من أخيهما أبي تغلب ، فوعدهما أن ينصرهما ويختص أعمالهما وأموالهما منه ، وينتقم لهما، واشتغل عن ذلك بما كان منه في البطيحة وغيرها. فلما فرغ من جميع أشغاله عاود حمدان ، وابراهيم الحديث معه وبذل له حمدان مالا جزيلا وصغر عنده أمر أخيه أبي تغلب ، وطلب أن يضمنه بلاده ليكون في طاعته ، ويحمل إليه الأموال ويقيم له الخطبة؛ ثم إن الوزير أبا الفضل حسن ذلك ، وأشار به ظنا منه أن الأموال تكثر عليه ، فتمشي الأمور بين يديه . ثم إن إبراهيم بن ناصر الدولة هرب من عند بختيار وعاد إلى أخيه أبي تغلب فقوي عزم بختيار على قصد الموصل أيضاً . ثم عزل أبا الفضل الوزير، واستوزر ابن بقية . فكاتبه أبو تغلب فقصر في خطابه فأغرى به بختيار، وحمله على قصده ، فسار عن بغداد ووصل إلى الموصل تاسع عشر ربيع الآخر ونزل بالدير الأعلى ، وكان أبو تغلب بن حمدان قد سار عن الموصل لما قرب منه بختيار، وقصد سنجار وكسر العروب ، وأخلى الموصل من كل ميرة، وكاتب الديوان .

ثم سار من سنجار يطلب بغداد ولم يعرض إلى أحد من سوادها، بل كان هو وأصحابه يشترون الأشياء بأوفى الأثمان ، فلما سمع بختيار بذلك أعاد وزيره ابن بقية، والحاجب سبكتكين إلى بغداد . فأما ابن بقية فدخل إلى بغداد . وأما سبكتكين فأقام

(1) تاريخ ابن خلدون 4 / 316 .

بحربى . وكان أبو تغلب قد قارب بغداد فثار العيارون بها وأهل الشر بالجانب الغربي ا ووقعت فتنة عظيمة بين السنة والشيعة وحمل أهل سوق الطعام - وهم من السنة - امرأ ا على جمل وسموها عائشة، وسمى بعضهم نفسه طلحة، وبعضهم الزبير وقاتلوا الفرقة الأخرى وجعلوا يقولون : نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب ، وأمثال هذا من الشر، وكان الجانب الشرقي آمنا والجانب الغربي مفتونا، فأخذ جماعة من رؤساء العيارين ، وقتلوا . فسكن الناس بعض السكون .

وأما أبو تغلب فإنه لما بلغه دخول ابن بقية بغداد ونزول سبكتكين الحاجب بحربى، عاد عن بغداد ونزل بالقرب منه ، وجرى بينهما مطاردة يسيرة . ثم اتفقا في السر على أن يظهرا الإختلاف إلى أن يتمكنا من القبض على الخليفة، والوزير، ووالدة بختيار، وأهله . فإذا فعلوا ذلك ، انتقل سبكتكين إلى بغداد وعاد أبو تغلب إلى الموصل ليبلغ من بختيار ما أراد ويملك دولته . ثم إن سبكتكين خاف سوء الأحدوثة فتوقف ، وسار الوزير ابن بقية إلى سبكتكين فاجتمع به وانفسخ ما كان بينهما . وتراسلوا في الصلح على أن أبا تغلب يضمن البلاد على ما كانت معه ، وعلى أن يطلق لبختيار ثلاثة آلاف كرغلة عوضا عن مؤنة سفره ، وعلى أن يرد على أخيه حمدان أملاكه وأقطاعه إلا ماردين . ولما اصطلحوا أرسلوا إلى بختيار بذلك ، ليرحل عن الموصل ، وعاد أبو تغلب إليها ودخل سبكتكين بغداد وأسلم بختيار.

فلما سمع بختيار بقرب أبي تغلب منه ، خافه لأن عسكره كان قد عاد م كثره مع سبكتكين . وطلب الوزير بن بقية من سبكتكين أن يسير نحو بختيار. فتثاقل ، ثم فكرفي العواقب ، فسار على مضض ، وكان أظهر للناس ما كان هم به ، وأما بختيار فإنه جمع أصحابه - وهو بالدير الأعلى - ونزل أبو تغلب بالحصباء تحت الموصل ، وبينهما عرض البلد، وتعصب أهل الموصل لأبي تغلب ، وأظهروا محبته لما نالهم من بختيار من المصادرات ، وأخذ الأموال . ودخل الناس بينهما في الصلح ، فطلب أبو تغلب من بختيار أن يلقب لقبا سلطانياً وأن يسلم إليه زوجته ابنة بختيار وأن يحظ عنه من ذلك القرار. فأجابه بختيار خوفاً منه وتحالفا . وسار بختيار عن الموصل عائدا إلى بغداد، فاظهر أهل الموصل السرور برحيله ، لأنه كان قد أساء معهم السيرة وظلمهم . فلما وصل بختيار إلى الكحيل بلغه أن أبا تغلب ، قد قتل قوما كانوا من أصحابه ، وقد

استأمنوا إلى بختيار، فعادوا إلى الموصل ليأخذوا ما لهم بها من أهل ومال فقتلهم . فلما بلغه ذلك اشتد عليه ، وأقام بمكانه ، وأرسل الى الوزير أبي طاهر بن بقية ، والحاجب سبكتكين يأمرهما بالإصعاد إليه . وكان قد أرسل إليهما يأمرهما بالتوقف ويقول لهما : إن الصلح قد استقر. فلما أرسل إليهما يطلبهما أصعدا إليه في العساكر، فعادوا جميعهم إلى الموصل ، ونزلوا بالدير الأعلى أواخر جمادى الآخرة .

وفارقها أبو تغلب إلى تل يعفر، وعزم عز الدولة على قصده ، وطلبه أين سلك فأرسل أبو تغلب كاتبه وصاحبه أبا الحسن علي بن أبي عمرو إلى عز الدولة، فاعتقله واعتقل معه أبا الحسن بن عرس ، وأبا أحمد بن حوقل ، وما زالت المراسلات بينهما . وحلف أبو تغلب أنه لم يعلم بقتل أولئك ، فعاد الصلح واستقر وحمل إليه ما استقر من المال . فأرسل عز الدولة الشريف أبا أحمد الموسوي ، والقاضي أبا بكر محمد بن عبد الرحمن ، فحلفا أبا تغلب وتجدد الصلح . وانحدر عز الدولة عن الموصل سابع عشر رجب ، وعاد أبو تغلب الى بلده . ولما عاد بختيار عن الموصل ، جهز ابنته وسيرها إلى أبي تغلب ، وبقيت معه إلى أن أخذت منه . ولم يعرف لها بعد ذلك خبر.

ذكر الفتنة بين بختيار وأصحابه

في هذه السنة ابتدأت الفتنة بين الأتراك والديلم بالأهواز، فعمت العراق جميعه ، واشتدت ، وكان سبب ذلك أن عز الدولة بختيار، قلت عنده الأموال ، وكثر إدلال جنده عليه ، واطراحهم لجانبه وشغبهم عليه ، فتعذر عليه القرار، ولم يجد ديوانه ووزيره جهة يحتال منها بشيء . وتوجهوا إلى الموصل لهذا السبب فلم ينفتح عليهم . فرأوا أن يتوجهوا إلى الأهواز ويتعرضوا لبختكين آزاذرويه ،وكان متوليها ويعملوا له حجة يأخذون منه ممالا ومن غيره . فسار بختيار وعسكره وتخلف عنه سبكتكين التركي . فلما وصلوا إلى الأهواز خدم بختيار وحمل له أموالا جليلة المقدار، وبذل له من نفسه الطاعة، وبختيار يفكر في طريق يأخذه به .

فاتفق أنه جرى فتنة بين الأتراك والديلم كل وكان سببها أن بعض الديلم نزل دارا بالأهواز، ونزل قريباً منه بعض الأتراك . وكان هناك لبن موضوع ، فأراد غلام الديلمي أن يبني منه معلفاً للدواب ، فمنعه غلام التركي فتضاربا . وخرج كل واحد من التركي : الديلمي إلى نصرة غلامه فضعف التركي عنه . فركب ، واستنصر بالأتراك ، فركبوا

وركب الديلم ، وأخذوا السلاح فقتل بينهم بعض قوادِ الأتراك . وطلب الأتراك بثار صاحبهم ، وقتلوا به من الديلم قائداً أيضاً . وخرجوا إلى ظاهر البلد واجتهد بختيار في تسكين الفتنة فلم يمكنه ذلك . فاستشار الديلم فيما يفعله ، وكان أذنا يتبع كل قائل ، فأشاروا عليه بقبض رؤساء الأتراك لتصفو له البلاد . فأحضروا آزاذرويه ، وكاتبه سهل بن بشر، وسباشي الخوارزمي بكتيجور- وكان حما السبكتكين - فحضروا فاعتقلهم ، وقيدهم . وأطلق الديلم في الأتراك فنهبوا أموالهم ودوابهم ، وقتل بينهم قتلى وهرب الأتراك . واستولى بختيار على أقطاع سبكتكين فأخذه ، وأمر فنودي بالبصرة بإباحة دم الأتراك .

ذكر حيلة لبختيار عادت عليه

كان بختيار قد واطأ والدته وإخوته أنه إذا كتب إليهم بالقبض على الأتراك ، يظهرون أن بختيار قد مات ، ويجلسون للعزاء ، فإذا حضر سبكتكين عندهم قبضوا عليه . فلما قبض بختيار على الأتراك كتب إليهم على أجنحة الطيور يعرفهم ذلك . فلما وقفوا على الكتب وقع الصراخ في داره وأشاعوا موته ظنا منهم أن سبكتكين يحضر عندهم ساعة يبلغه الخبر. فلما سمع الصراخ أرسل يسال عن الخبر فاعلموه. فأرسل يسال عن الذي أخبرهم ، وكيف أتاهم الخبر، فلم يجد نقلاً يثق القلب به ، فارتاب بذلك . ثم وصله رسله الأتراك بما جرى فعلم أن ذلك كان مكيدة عليه . ودعاه الأتراك إلى أن يتآمر عليهم ، فتوقف وأرسل إلى أبي اسحاق بن معز الدولة يعلمه أن الحالي قد انفسد بينه وبين أخيه ، فلا يرجى صلاحه ، وأنه لا يرى العدول عن طاعة مواليه ، وإن اساؤوا إليه ويدعوه إلى أن يعقد الأمر له ، فعرض قوله على والدته فمنعته . فلما رأى سبكتكين ذلك ركب في الأتراك وحصر دار بختيار يومين ، ثم أحرقها ودخلها، وأخذ أبا إسحاق وأبا طاهر ابني معز الدولة، ووالدتهما، ومن كان معهما . فسألوه أن يمكنهم من الإنحدار إلى واسط ، ففعل . وانحدروا ، وانحدر معهم المطيع لله في الماء ، فانفذ سبكتكين فأعاده ورده إلى داره وذلك تاسع ذي القعدة . واستولى على ما كان لبختيار جميعه ببغداد . ونزل الأتراك في دور الديلم ، وتتبعوا أموالهم وأخذوها . وثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين ، لأنه كان يتسنن . فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد فثاروا بالشيعة

وحاربوهم . وسفكت بينهم الدماء وأحرقت الكرخ حريقا ثانياً وظهرت السنة عليهم .

ذكر خلع المطيع لله وخلافة الطائع لله

وفي هذه السنة منتصف ذي القعدة، خلع المطيع لله ، وكان به مرض الفالج ،وقد ثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه ، وهو يستر ذلك . فانكشف حاله لسبكتكين هذه الدفعة فدعاه إلى أن يخلع نفسه من الخلافة ، ويسلمها إلى ولده الطائع لله - واسمه أبو الفضل (ا) عبد الكريم - ففعل ذلك وأشهد على نفسه بالخلع ثالث عشر ذي القعدة. وكانت مدة خلافته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر غير أيام . وبويع للطائع لله بالخلافة را ستقر أمره.

ذكر الحرب بين المعز لدين الله العلوي والقرامطة

في هذه السنة سار القرامطة ومقدمهم الحسن بن أحمد من الإحساء إلى ديار مصر، فحصرها، ولما سمع المعز لدين الله صاحب مصر بأنه يريد قصد مصر، كتب إليه كتابا، يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته ، وأن الدعوة واحدة وأن القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه وإلى آبائه من قبله ، ووعظه وبالغ وتهدده ، وسير الكتاب إليه ، فكتب جوابه وصل كتابك الذي قل تحصيله ، وكثر تفضيله ، ونحن سائرون إليك على أثره والسلام . وسار حتى وصل إلى مصر فنزل على عين شمس بعسكره ، وأنشب القتال وبث السرايا في البلاد ينهبونها فكثرت جموعه ، وأتاه من العرب خلق كثير. وكان ممن أتاه حسان بن الجراح الطائي أمير العرب بالشام ، ومعه جمع عظيم ، فلما رأى المعز كثرة جموعه استعظم ذلك وأهمه وتحير في أمره ، ولم يقدم على اخراج عسكره لقتاله ، فاستشار أهل الرأي من نصحائه فقالوا : " ليس حيلة غير السعي في تفريق كلمتهم ، وإلقاء الخلف بينهم ولا يتم ذلك إلا بابن الجراح " . فراسله المعز واستماله وبذل له مائة ألف دينار إن هو خالف علي القرمطي . فأجابه ابن الجراح إلى ما طلب منه . فاستحلفوه ، فحلف أنه إذا وصل إليه المال المقرر انهزم بالناس . فاحضروا فلما رأوه استكثروه ، فضربوا أكثرها

(1) جاء في البداية والنهاية : " واسم الطائع ابو بكر عبد الكريم بن المطيع ابي القاسم " 11 / 394 ط . دار الكتب العلمية بيروت

دنانير من صفر، وألبسوها الذهب وجعلوها في أسافل الأكياس ، وجعلوا الذهب الخالص على رؤوسها وحمل إليه .

فأرسل إلى المعز أن يخرج في عسكره يوم كذا ، ويقاتلونه وهو في الجهة الفلانية فإنه ينهزم ، ففعل المعز ذلك ، فانهزم وتبعه العرب كافة . فلما رآه الحسن القرمطي منهزما تحير في أمره وثبت ، وقاتل بعسكره إلا أن عسكر المعز طمعوا فيه وتابعوه الحملات عليه من كل جانب ، فأرهقوه ، فولى منهزماً واتبعوا أثره ، وظفروا بمعسكره فأخذوا من فيه أسرى، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير . فضربت أعناقهم ، ونهب ما في المعسكر، وجرد المعز القائد أبا محمد بن إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل ، وأمره باتباع القرامطة والإيقاع بهم . فاتبعهم وتثاقل في سيره خوفاً أن ترجع القرامطة إليه ؛ وأما هم فإنهم ساروا حتى نزلوا أذرعات وساروا منها إلى بلدهم الإحساء، ويظهرون أنهم يعودون .

ذكر ملك المعز دمشق وما كان فيها من الفتن .

لما بلغ المعز إنهزام القرمطي من الشام ، وعوده إلى بلاده ، أرسل القائد ظالم بن (ا) موهوب العقيلي واليا على دمشق ، فدخلها وعظم حاله ، وكثرت جموعه ، وأمواله وعدته ، لأن أبا المنجا وابنه صاحبي القرمطي ، كانا بدمشق ومعهما جماعة من القرامطة . فأخذهم ظالم وحبسهم ، وأخذ أموالهم وجميع ما يملكونه ثم إن القائد أبا محمود الذي سيره المعز يتبع القرامطة، وصل إلى دمشق بعد وصول ظالم إليها بأيام قليلة . فخرج ظالم متلقيا له مسرورا بقدومه لأنه كان مستشعراً من عود القرمطي إليه ، فطلب منه أن ينزل بعسكره بظاهر دمشق ، ففعل ، وسلم إليه أبا المنجا وابنه ورجلا آخر- يعرف بالنابلسي - وكان هرب من الرملة وتقرب إلى القرمطي فاهـ سر بدمشق أيضاً . فحملهم أبو محمد إلى مصر، فسجن أبو المنجا وابنه ، وقيل للنابلسي : أنت الذي تجلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة في المغاربة وواحدا في الروم ، فاعترف فسلخ جلده وخشي تبنا وصلب . ولما نزل أبو محمود بظاهر دمشق ، امتدت أيدي أصحابه بالعيث والفساد . وقطع الطريق ، فاضطرب الناس وخافوا . ثم إن صاحب الشرطة أخذ

(1) البداية والنهاية 11 / 295 .

إنسانا من أهل البلد فقتله . فثار به الغوغاء والأحداث ، وقتلوا أصحابه وأقام ظالم بين : الرعية يداريهم . وانتزح أهل القرى منها لشدة نهب المغاربة أموالهم ، وظلمهم لهم ودخلوا البلد .

فلما كان نصف شوال من السنة وقعت فتنة بين عسكر أبي محمود، وبين العامة وجرى بين الطائفتين قتال شديد، وظالم مع العامة يظهر أنه يريد الإصلاح ولم يكاشف أبا محمود وانفصلوا . ثم إن أصحاب أبي محمود أخذوا مني الغوطة قفلا من حوران وقتلوا منه ثلاثة نفر. فأخذهم أهلوهم وألقوهم في الجامع . فأغلقت الأسواق ، وخاف الناس وأرادوا القتال ، فسكنهم عقلاؤهم ، ثم إن المغاربة أرادوا نهب قينية(1) ، واللؤلؤة فوقع الصائح في أهل البلد، فنفروا وقاتلوا المغاربة في السابع عشر ذي القعدة . وركب أبو محمد في جموعه وزحف الناس بعضهم إلى بعض فقوي المغاربة وانهزم العامة إلى سور البلد، فصبروا عنده ، وخرج إليهم من تخلف عنهم ، وكثر النشاب على المغاربة فاثخن فيهم فعادوا ، فتبعهم العامة، فاضطروهم إلى العود فعادوا وحملوا على العامة فانهزموا. وتبعوهم إلى البلد وخرج ظالم من دار الإمارة، وألقى المغاربة النار في البلد من ناحية باب الفراديس ، وأحرقوا تلك الناحية فأخذت النار إلى القبلة ، فاحترقت من البلد كثيرا، وهلك فيه جماعة من الناس ، وما لا يحذ من الأثاث والرحال ، والأموال وبات الناس على أقبح صورة، ثم إنهم اصطلحوا هم وأبو محمود ثم انتقضوا، ولم يزالوا كذلك إلى ربيع الآخر سنة أربع وستين وثلاثمائة .

ذكر ولاية جيش بن الصمصامة دمشق

ثم عادت الفتنة في ربيع الأخر سنة أربع وستين وثلاثمائة، وترددوا في الصلح ، فاستقر الأمر بين القائد أبي محمود، والدمشقيين على إخراج ظالم من البلد، وأن يليه جيش بن الصمصامة - وهو ابن أخت أبي محمود - واتفقوا على ذلك . وخرج ظالم من البلد، ووليه جيش ابن الصمصامة، وسكنت الفتنة واطمأن الناس . ثم إن المغاربة بعد أيام عاثوا وأفسدوا باب الفراديس ، فثار الناس عليهم وقاتلوهم ، وقتلوا من لحقوه

(1) قينية : بالفتح ثم السكون ، وكسر النون وياء خفيفة قرية كانت مقابل الباب الصغير من مدينة دمشق صارت الآن بساتين .

وصاروا إلى القصر الذي فيه جيش ، فهرب منه هو ومن معه من الجند المناربة، ولحق بالعسكر .

- زحف جيش في العسكر إلى البلد، وقاتله أهله فظفر بهم ، وهزمهم وأحرق من البلد ما كان سلم . ودام القتال بينهم أياما كثيرة ، فاضطرب الناس وخافوا ، وخربت المنازل ، وانقطعت المواد، وانسدت المسالك ، وبطل البيع والشراء . وقطع الماء عن البلد فبطلت القنوات والحمامات ، ومات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد . فاتاهم الفرج بعزل أبي محمود . فلما كان من الغد – وهو أول جمادى الأولى من السنة

ذكر ولاية ريان الخادم دمشق

لما كان بدمشق ما ذكرناه ، من القتال والتحريق والتخريب ، وصل الخبر بذلك إلى المعز صاحب مصر، فأنكر ذلك واستبشعه واستعظمه . فأرسل إلى القائد ريان الخادم والي طرابلس ، يأمره بالمسير إلى دمشق لمشاهدة حالها ، وكشف أمور أهلها ، وتعريفه حقيقة الأمر وأن يصرف القائد أبا محمود عنها . فامتثل ريان ذلك ، وسار إلى دمشق وكشف الأمر فيها وكتب به إلى المعز، وتقدم إلى القائد أبي محمود بالانصراف عنها فسار في جماعة قليلة من العسكر إلى الرملة، وبقي الأكثر منهم مع رتان وبقي الأمر كذلك إلى أن ولي الفتكين على ما نذكره .

ذكر حال بختيار بعد قبض الأتراك

لما فعل بختيار ما ذكرناه ، من قبض الأتراك ظفر بذخيرة لآزاذرويه بجند يسابور، فأخذها . ثم رأى ما فعله الأتراك مع سبكتكين ، لان بعضهم بسواد الأهواز قد عصوا عليه ، واضطرب عليه غلمانه الذين في داره وأتاه مشايخ الأتراك من البصرة فعاتبوه علن ما فعل بهم ، وقال له عقلاء الديلم : 'لا بد لنا في الحرب من الأتراك (ا)يدفعون عنا بالنشاب " . فاضطرب رأي بختيار. ثم أطلق آزاذرويه وجعله صاحب الجيش موضع سبكتكين ، وظن أن الأتراك يانسون به ويعدلون عن سبكتكين إليه ، وأطلق المعتقلين

(ا) في تجارب الامم "من فرسان واتراك " .

وسار إلى والدته وإخوانه بواسط ؛ وكتب إلى عمه ركن الدولة، وإلى ابن عمه عضد الدولة يسألهما أن ينجداه ويكشفا ما نزل به .

وكتب إلى أبي تغلب بن حمدان (ا) يطلب منه أن يساعده بنفسه وأنه إذا فعل ذلك أسقط عنه المال الذي عليه . وأرسل إلى عمران بن شاهين بالبطيحة خلعا، وأسقط عنه باقي المال الذي اصطلحا عليه ، وخطب إليه إحدى بناته ، وطلب منه أن يسير إليه عسكراً. فأما ركن الدولة عمه ، فإنه جهز عسكراً مع وزيره أبي الفتح بن العميد، وكتب إلى ابنه عضد الدولة يأمره بالمسير إلى ابن عمه ، والاجتماع مع ابن العميد . فأما عضد الدولة ، فإنه وعد بالمسير، وانتظر ببختيار الدوائر طمعا في ملك العراق . وأما عمران بن شاهين فإنه قال : أما إسقاط المال ، فنحن نعلم أنه لا أصل له ، وقد قبلته . وأما الوصلة فإنني لا أتزوج أحدا إلا أن يكون الذكر من عندي . وقد خطب إلي العلويون وهم موالينا فما أجبتهم إلى ذلك . وأما الخلع والفرس فإنني لست ممن يلبس ملبوسكم ، وقد قبلها ابني . وأما انفاذ عسكر، فإن رجالي لا يسكنون إليكم لكثرة ما قتلوا منكم . ثم ذكر ما عامله به هو وأبوه مرة بعد أخرى وقال : ومع هذا فلا بد أن يحتاج إلى أن يدخل بيتي مستجيراً بي ، والله لا عاملته بضد ما عاملني به ، هو وأبوه ، فكان كذلك . وأما أبو تغلب بن حمدان ، فإنه أجاب إلى المسارعة ، وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان إلى تكريت في عسكر، وانتظر انحدار الأتراك عن بغداد فإن ظفروا ببختيار دخل بغداد مالكا لها.

فلما انحدر الأتراك عن بغداد سار أبو تغلب إليها ليوجب على بختيار الحجة في إسقاط المال الذي عليه . ووصل إلى بغداد والناس في بلاء عظيم مع العيارين ، فحمى البلد وكف أهل الفساد . وأما الأتراك فانهم انحدروا مع سبكتكين إلى واسط ، وأخذوا معهم الخليفة الطائع لله ، والمطيع أيضاً وهو مخلوع . فلما وصلوا إلى دار العاقول توفي بها المطيع لله ، ومرض سبكتكين فمات بها أيضاً فحملا إلى بغداد.

وقدم الأتراك عليهم الفتكين (2) – وهو من أكابر قوادهم وموالي معز الدولة - وفرح بختيار بموت سبكتكين ، وظن أن أمر الأتراك ينحل وينتشر بموته . فلما رأى انتظام

(1) في تاريخ ابن خلدون 4 /318 - 319 . "ابو تغلب بن حمدان ، . (2) في النجوم الزاهرة : "الأفتكين " .

أمورهم ساءه ذلك . ثم إن الأتراك ساروا إليه - وهو بواسط - فنزلوا قريبا منه وصاروا يقاتلونه نوائب نحو خمسين يوما . ولم تزل الحرب بين الأتراك وبختيار متصلة، والظفر للأتراك قي كل ذلك ، وحصروا بختيار واشتد عليه الحصار واحدقوا به ، وصار خائفا يترقب. وتابع انفاذ الرسل إلى عضد الدولة بالحث والإسراع ، وكتب إليه :

¬ فإن كنت ماكولا فكن أنت آكلي وإلا فادركني ولما امزق (1)

فلما رأى عضد الدولة ذلك ، وأن الأمر قد بلغ ببختيار ما كان يرجوه ، سار نحر العراق نجدة له في الظاهر وباطنه بضد ذلك .

ذكر ملك عضد الدولة عمان

في هذه السنة إستولى الوزير أبو القاسم المطهر بن محمد وزير عضد الدولة على جبال عمان ، ومن بها من الشراة في ربيع الأول ؛ وسبب ذلك أن معز الدولة لما توفي – وبعمان أبو الفرج بن العباس نائب معز الدولة – فارقها فتولى أمرها عمر بن نهبان الطائي ، وأقام الدعوة لعضد الدولة . ثم إن الزنج غلبت "على البلد، ومعهم طوائف من الجند، وقتلوا ابن نهبان الطائي ، وأقروا عليهم إنسانا يعرف بابن حلاج . فسير عضد الدولة جيشا من كرمان واستعمل عليهم أبا حرب طغان ، فساروا في البحر إلى عمان . فخرج أبو حرب من المراكب إلى البر، وسارت المراكب في البحر من ذلك المكان فتوافوا على صحار قصبة عمان . فخرج إليهم الجند والزنج ، واقتتلوا قتالا شديدا في البر والبحر. فظفر أبو حرب ، واستولى على صحار، وانهزم أهلها وكان ذلك سنة اثنتين وستين .

ثم إن الزنج اجتمعوا إلى بريم - وهو رستاق بينه وبين صحار مرحلتان - فسار إليهم أبو حرب فأوقع بهم وقعة أتت عليهم قتلاً واسراً، فأطمانت البلاد، ثم إن جبال عمان اجتمع بها-خلق كثير من الشراة، وجعلوا لهم أميرا اسمه ورد بن زياد، وجعلوا لهم خليفة اسمه حفص بن راشد. فاشتدت شوكتهم . فستر عضد الدولة المطهر بن

(1) هذا البيت كتب به عثمان بن عفان إلى على بن أبي طالب حين كان محصوراً قبل مقتله .

عبد الله في البحر أيضاً، فبلغ إلى نواحي حرفان من أعمال عمان . فأوقع باهلها، وأثخن فيهم وأسر.

ثم سار إلى دما(ا) وهي على أربعة أيام من صحار(2)، فقاتل من بها ، وأوقع بهم وقعة عظيمة ، قتل فيها وأسر كثيرا من رؤسائهم وانهزم أميرهم ورد - وأمامهم حفص - واتبعهم المطهر إلى نزوى - وهي قصبة تلك الجبال - فانهزموا منه فسير إليهم العساكر ، فأوقعوا بهم وقعة أتت على باقيهم ، وقتل ورد وانهزم حفص إلى اليمن . فصار معلماً وسار المطهر إلى مكان يعرف بالشرف به جمع كثير من العرب نحو عشرة آلاف ، فأوقع بهم واستقامت البلاد ودانت بالطاعة، ولم يبق فيها مخالف .

ذكر عدة حوادث

وفيها خطب للمعز لدين الله العلوي صاحب مصر بمكة والمدينة في الموسم .

وفيها خرج بنو هلال ، وجمع من العرب على الحاج ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وضاق الوقت فبطل الحج ولم يسلم إلا من مضى مع الشريف أبي أحمد الموسوي ، والد الرضي على طريق المدينة فتتم حجهم .

وفيها كانت بواسط زلزلة عظيمة في ذي الحجة .

وفيقا توفي عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد الفقيه الحنبلي المعروف بغلام الخلال (3) وعمره ثمان وسبعون سنة . وإلى آخر هذه السنة انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، وأوله من خلافة المقتدر بالله سنة خمس وتسعين ومائتين .

(1) دما : بلدة من نواحي عمان ، كانت من أسواق العرب المشهورة .

(2) صحار : قصبة عمان مما يلي الجبل وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات .

(3) قال في طبقات الحنابلة : كان أحد أهل الفهم موثوقاً به في العلم ، متسع الرواية مشهوراً بالديانة، موصوفاً بالأمانة مذكورا بالعبادة ، وله المصنفات في العلوم المختلفات ، قال ابن تغري بردي. وصنف المصنفات الكبيرة منها كتاب المقنع مائة جزء . وكتاب الكافي مائتي جزء . زاد في الطبقات : الشافي . تفسير القرآن . الخلاف مع الشافعي . كتاب القولين : زاد المسافر. التنبيه . وغير ذلك .

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة

ذكر استيلاء عضد الدولة على العراق وقبض بختيار

في هذه السنة وصل عضد الدولة واستولى على العراق وقبض بختيار، ثم عاد فأخرجه. وسبب ذلك أن بختيار لما تابع كتبه إلى عضد الدولة يستنجده ويستعين به على الأتراك سار إليه في عساكر فارس واجتمع به ابو الفتح بن العميد وزير أبيه ركن الدولة في عساكر الري بالأهواز، وساروا إلى واسط . فلما سمع الفتكين بخبر وصولهم ، رجع إلى بغداد وعزم على أن يجعلها وراء ظهره ، ويقاتل على ديالى، ووصل عضد الدولة فاجتمع به بختيار، وسار عضد الدولة إلى بغداد في الجانب الشرقي ، وأمر بختيار أن يسير في الجانب الغربي . ولما بلغ الخبر إلى أبي تغلب بقرب الفتكين منه عاد عن بغداد إلى الموصل ، لأن أصحابه شغبوا عليه فلم يمكنه المقام ، ووصل الفتكين إلى بغداد فحصل محصورا من جميع جهاته . وذلك أن بختيار كتب إلى ضبة بن محمد الأسدي - وهو من أهل عين التمر وهو الذي هجاه المتنبي - فأمره بالإغارة على أطراف بغداد، وبقطع الميرة عنها . وكتب بمثل ذلك إلى بني شيبان.

وكان أبو تغلب بن حمدان من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ سراياه فغلا السعر ببغداد ، وسار العيارون والمفسدون، فنهبوا الناس ببغداد ، وامتنع الناس من المعاش لخوف الفتنة وعدم الطعام والقوت بها. وكبس الفتكين المنازل في طلب الطعام . وسار عضد الدولة نحو بغداد فلقيه الفتكين ، والأتراك بين ديالى والمدائن ، فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم الأتراك ، فقتل منهم خلق كثير. ووصلوا إلى ديالى فعبروا على جسور كانوا عملوها عليه ، فغرق منهم أكثرهم من الزحمة، وكذلك قتل وغرق من العيارين الذين أعانوهم من بغداد، واستباحوا عسكرهم . وكانت الوقعة رابع عشر جمادى الأولى .

سار الأتراك إلى تكريت ، وسار عضد الدولة فنزل بظاهر بغداد . فلما علم وصول الأتراك إلى تكريت دخل بغداد، ونزل بدار المملكة وكان الأتراك قد أخذوا الخليفة معهم كارها فسعى عضد الدولة حتى رب ه إلى بغداد، فوصلها ثامن رجب في الماء.

وخرج عضد الدولة فلقيه في الماء أيضاً وامتلأت دجلة بالسميريات والزبازب ،ولم يبق ببغداد أحد ، ولو أراد انسان أن يعبر دجلة على السميريات من واحدة إلى أخرى لأمكنه ذلك لكثرتها . وسار عضد الدولة مع الخليفة وأنزله بدار الخلافة . وكان عضد الدولة قد طمع في العراق واستضعف بختيار وإنما خاف أباه ركن الدولة، فوضع جند بختيار على أن يثوروا به ، ويشغبوا عليه ويطالبوه بأموالهم والإحسان لأجل صبرهم فقابل الأتراك ففعلوا ذلك ، وبالغوا . وكان بختيار لا يملك قليلا ولا كثيراً، وقد نهب البعض وأخرج هو الباقي والبلاد خراب ، فلا تصل يده إلى أخذ شيء منها ، وأشار عضد الدولة على بختيار بترك الالتفات إليهم والغلظة لهم وعليهم ، وأن لا يعدهم بما لا يقدر عليه وأن يعرفهم أنه لا يريد الإمارة والرياسة عليهم ، ووعده أنه إذا فعل ذلك توسط الحال بينهم على ما يريده . فظن بختيار أنه ناصح له مشفق عليه ، ففعل ذلك ، واستعفى من الإمارة وأغلق باب داره ، وصرف كتابه وحجابه ، فراسله عضد الدولة ظاهرا بمحضر من مقدمي الجند يشير عليه بمقاربتهم ، وتطييب قلوبهم ، وكان أوصاه سرا أن لا يقبل منه ذلك ، فعمل بختيار بما أوصاه وقال : لست أميرا لهم ولا بيني وبينهم معاملة، وقد برئت منهم ، فترددت الرسل بينهم ثلاثة أيام وعضد الدولة يغريهم به والشغب يزيد .

وأرسل بختيار إليه يطلب نجاز ما وعده به ، ففرق الجند على عدة جميلة، واستدعى بختيار وإخوته إليه فقبض عليهم ووكل بهم وجمع الناس وأعلمهم استعفاء بختيار عن الإمارة عجزا عنها ، ووعدهم الإحسان والنظر في أمورهم ، فسكنوا إلى قوله . وكان قبضه على بختيار في السادس والعشرين من جمادى الآخرة . وكان الخليفة الطائع لله نافرا عن بختيار لأنه كان مع الأتراك في حروبهم ، فلما بلغه قبضه سره ذلك ، وعاد إلى عضد الدولة فاظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان قد نسي وترك . وأمر بعمارة الدار، والإكثار من الآلات ، وعمارة ما يتعلق بالخليفة وحماية أقطاعه . ولما دخل الخليفة إلى بغداد، ودخل دار الخلافة أنفذ إليه عضد الدولة مالا كثيرا وغيره من الأمتعة ، والفرش ، وغير ذلك .

لما قبض على بختيار كان ولده المرزبان بالبصرة متوليا لها . فلما بلغه قبض والده امتنع فيها على عضد الدولة . وكتب إلى ركن الدولة يشكو ما جرى على والده وعميه من عضد الدولة، ومن أبي الفتح بن العميد، ويذكر له الحيلة التي تمت عليه . فلما سمع ركن الدولة ذلك ألقى نفسه عن سريره إلى الأرض ، وتمرغ عليها وامتنع من الأكل والشرب عدة أيام ومرض مرضاً لم يستقل منه باقي حياته ، وكان محمد بن بقية بعد بختيار قد خدم عضد الدولة، وضمن منه مدينة واسط ، وأعمالها . فلما صار إليها خلع طاعة عضد الدولة، وخالف عليه وأظهر الإمتعاض لقبض بختيار، وكاتب عمران بن شاهين وطلب مساعدته ، وحذره مكر عضد الدولة، فأجابه عمران إلى ما التمس. وكان عضد الدولة قد ضمن سهل بن بشر وزير الفتكين بلد الأهواز، وأخرجه من حبس بختيار. فكاتبه محمد بن بقية واستماله فأجابه . فلما عصى ابن بقية أنفذ إليه عضد الدولة جيشا قويا فخرج إليهم ابن بقية في الماء، ومعه عسكر قد سيره إليه عمران ، فانهزم أصحاب عضد الدولة أقبح هزيمة .

وكاتب ركن الدولة بحاله وحال بختيار. فكتب ركن الدولة إليه وإلى المرزبان وغيرهما ممن احتمى لبختيار يأمرهم بالثبات والصبر، ويعرفهم أنه على المسير إلى العراق لإخراج عضد الدولة، وإعادة بختيار فاضطربت النواحي على عضد الدولة، وتجاسر عليه الأعداء حيث علموا إنكار أبيه عليه . وانقطعت عنه مواد فارس والبحر ولم يبق بيده إلا قصبة بغداد، وطمع فيه العامة وأشرف على ما يكره . فرأى إنفاذ الفتح بن العميد برسالة إلى أبيه يعرفه ما جرى له ، وما فرق من الأموال . وضعف بختيار عن حفظ البلاد، وإنه إن أعيد إلى حاله خرجت المملكة والخلافة عنهم ، وكان بوارهم ويسأله ترك نصرة بختيار، وقال لأبي الفتح : " فإن أجاب إلى ما تريد منه وإلا فقل له أنني أضمن منك أعمال العراق وأحمل إليك منها كل سنة ثلاثين ألف ألف درهم ، وأبعث بختيار وأخويه إليك لتجعلهم بالخيار، فإن اختاروا أقاموا عندك ، وإن اختاروا بعض بلاد فارس سلمته إليهم ووسعت عليهم ، وإن أحببت أنت أن تحضر في العراق لتلي تدبير الخلافة ، وتنفذ بختيار إلى الري ، وأعود أنا إلى فارس فالأمر إليك " . وقال لابن العميد : فإن أجاب إلى ما ذكرت له وإلا فقل له : " أيها السيد الوالد أنت مقبول الحكم

والقول ، ولكن لا سبيل إلى اطلاق هؤلاء القوم بعد فكاشفتهم ، وإظهار العداوة وسيقاتلونني بغاية ما يقدرون عليه فتنتشر الكلمة ويختلف أهل هذا البيت أبدا . فإن قبلت ما ذكرته فأنا العبد الطائع ، لان أبيت وحكمت بانصرافي ، فإني سأقتل بختيار وأخويه وأقبض على كل من أتهمه بالميل إليهم ، وأخرج عن العراق وأترك البلاد سائبة ليدبرها من اتفقت له " . فخاف ابن العميد أن -يسير بهذه الرسالة، وأشار أن يسير بها غيره ، ويسير هو بعد ذلك ويكون كالمشير على ركن الدولة، بإجابته إلى ما طلب . فأرسل عضد الدولة رسولا بهذه الرسالة وسير بعده ابن العميد على الجمازات ، فلما حضر الرسول عند ركن الدولة، وذكر بعض الرسالة، وثب إليه ليقتله فهرب من بين يديه ، ثم رذه بعد أن سكن غضبه وقال : قل لفلان -يعني عضد الدولة وسماه بغير اسمه وشتمه - خرجت إلى نصرة ابن أخي وللطمع في مملكته أما عرفت أني نصرت الحسن بن الفيرزان - وهو غريب مني - مرارا كثيرة أخاطر فيها بملكي ، ونفسي فإذا ظفرت أعدت له بلاده ، ولم أقبل منه ما قيمته درهم واحد . ثم نصرت إبراهيم بن المرزبان وأعدته إلى اذربيجان ، ونفذت وزيري وعساكري ، في نصرته ، ولم آخذ منه درهما واحدا ، كل ذلك طلبا لحسن الذكر ومحافظة على الفتوة . يريد أن تمن أنت علي بدرهمين أنفقتهما أنت علي وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ممالكهم ، وتهددني بقتلهم. فعاد الرسول ، ووصل ابن العميد فحجبه عنه ولم يسمع حديثه وتهدده بالهلاك وأنفذ إليه يقول له : لأتركنك وذلك الفاعل -يعني عضد الدولة -تجتهدان جهدكما ثم لا أخرج إليكما إلا في ثلاثمائة جمازة، وعليها الرجال ثم اثبتوا إلف إن شئتم فوالله لاقاتلنكما إلا بأقرب الناس إليكما . وكان ركن الدولة يقول : "إنني أرى أخي معز الدولة كل ليلة في المنام يعض على أنامله ، ويقول : يا أخي هكذا ضمنت لي أن تخلفني في أهلي وولدي ؟" .

وكان ركن الدولة يحب أخاه محبة شديدة لأنه رباه فكان عنده بمنزلة الولد . ثم إن الناس سعوا لابن العميد، وتوسطوا الحال بينه وبين ركن الدولة وقالوا : إنما تحمل ابن العميد هذه الرسالة ليجعلها طريقا للخلاص من عضد الدولة ، والوصول إليك لتأمر بما تراه . فأذن له بالحضور عنده فاجتمع به وضم له إعادة عضد الدولة إلى فارس وتقرير بختيار بالعراق . فرده إلى عضد الدولة وعرفه جلية الحال ، فلما رأى عضد الدولة انحراف الأمور عليه من كل ناحية أجاب إلى المسير إلى فارس وإعادة بخنيار، فأخرجه

من حبسه وخلع عليه وشرط عليه أن يكون نائبا عنه بالعراق ، ويخطب له ويجعل أخاه أبا إسحاق أمير الجيش لضعف بختيار. ورد عليهم عضد الدولة جميع ما كان لهم وسار إلى فارس في شوال من هذه السنة، وأمر أبا الفتح بن العميد وزير أبيه أن يلحقه بعد ثلاثة أيام . فلما سار عضد الدولة أقام ابن العميد عند بختيار متشاغلا باللذات وبما بختيار مغرى به من اللعب ، واتفقا باطنا على أنه إذا مات ركن الدولة ، سار إليه ووزر له . واتصل ذلك بعضد الدولة فكان سبب هلاك ابن العميد على ما نذكره .

واستقر بختيار ببغداد ولم يقف لعضد الدولة على العهود. فلما ثبت أمر بختيار أنفذ ابن بقية من خلفه له ، وحضر عنده وأكد الوحشة بين بختيار وعضد الدولة . وثارت الفتنة بعد مسير عضد الدولة، واستمال ابن بقية الأجناد وجبى كثيراً من الأموال إلى خزانته . وكان إذا طالبه بختيار بالمال وضع الجند على مطالبته ، فثقل على بختيار، فاستشار في مكروه يوقعه به ، فبلغ ذلك ابن بقية . فعاتب بختيار عليه فأنكره وحلف له فاحترز ابن بقية منه .

ذكر اضطراب كرمان على عضد الدولة وعودها له

في هذه السنة خالف أهل كرمان على عضد الدولة . وسبب ذلك أن رجلا من الجرومية - وهي البلاد الحارة - يقال له : طاهر بن الصمة ضمن من عضد الدولة ضمانات فاجتمع عليه أموال كثيرة فطمع فيها . وكان عضد الدولة قد سار إلى العراق وسير وزيره المطهر بن عبد الله إلى عمان ليستولي عليها، فخلت كرمان من العساكر. فجمع طاهر الرجال الجرومية وغيرهم ، فاجتمع له خلق كثير. واتفق م ن بعض الأتراك السامانية - واسمه يوزتمر- كان قد استوحش من أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور(ا) صاحب جيش خراسان للسامانية ، فكاتبه طاهر وأطمعه في أعمال كرمان ، فسار إليه واتفقا . وكان يوزتمر هو الأمير، فاتفق أن الرجال الجرومية شغبوا على يوزتمر، فظن أن طاهرا وضعهم . فاختلفا واقتتلا، فظفر يوزتمر بطاهر وأسره وظفر بأصحابه .

وبلغ الخبر إلى الحسين بن أبي علي بن إلياس –وهو بخراسان - فطمع في البلاد ،

(ا) في تجارب الامم " محمد بن ابراهيم بن سمجور " .

فجمع جمعاً وسار إليها فاجتمع عليه بها جموع كثيرة . ثم إن المطهر بن عبد الله ، إستولى على عمان وجبالها، وأوقع بالشراة فيها وعاد فوصله كتاب عضد الدولة من بغداد يأمره بالمسير إلى كرمان ، فسار إليها مجدا وأوقع في طريقه بأهل العيث والفساد ، وقتلهم وصلبهم ومثل بهم . ووصل إلى يوزتمر على حين غفلة منه فاقتتلوا بنواحي مدينة بم ، فانهزم يوزتمر ودخل المدينة وحصره المطهر في حصن في وسط المدينة . فطلب الأمان فأمنه فخرج إليه ومعه طاهر، فأمر المطهر بطاهر فشهر ثم ضرب عنقه ، وأما يوزتمر فإنه رفعه إلى بعض القلاع ، فكان آخر العهد به وسار المطهر إلى الحسين بن إلياس فرأى كثرة من معه فخاف جانبهم ، ولم يجد من اللقاء بدا ، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم الحسيني على باب جيرفت وانهزم عسكره فمنعهم سور المدينة من الهرب ، فكثر فيهم القتل ، واخذ الحسين أسيرا وأحضر عند المطهر فلم يعرف له بعد خبر. وصلحت كرمان لعضد الدولة .

ذكر ولاية الفتكين دمشق وما كان منه إلى أن مات

قد ذكرنا ما كان من انهزام الفتكين التركي مولى معز الدولة بن بويه من مولاه بختيار بن معز الدولة ومن عضد الدولة في فتنة الأتراك بالعراق ، فلما انهزم منهم سار في طائفة صالحة من الجند الترك ، فوصل إلى حمص ، فنزل بالقرب منها. فقصده ظالم بن موهوب العقيلي الذي كمان أمير دمشق للمعز لدين الله ،ليأخذه فلم يتمكن من أخذه فعاد عنه .

وسار الفتكين إلى دمشق فنزل بظاهرها ، وكان . أميرها حينئذ ريان الخادم للمعز . وكان الأحداث قد غلبوا عليها، وليس للأعيان معهم حكم ولا للسلطنة عليهم طاعة . فلما نزل خرج أشرافها وشيوخها إليه وأظهروا له السرور بقدومه ؛ وسألوه أن يقيم عندهم ، ويملك بلدهم ويزيل عنهم سمة المصريين فإنهم يكرهونها لمخالفة الاعتقاد ، ولظلم عمالهم ، ويكف عنهم شر الأحداث ، فأجابهم إلى ذلك ، واستحلفهم على الطاعة والمساعدة وحلف لهم على الحماية وكف الأذى عنهم منه ومن غيره . ودخل البلد وأخرج عنه ريان الخادم ، وقطع خطبة المعز وخطب للطائع لله في شعبان ، وقمع أهل العيث والفساد، وهابه كافة الناس ، وأصلح كثيرا من أمورهم . فكانت العرب قد استولت على سواد البلد، وما يتصل به فقصدهم وأوقع بهم ، وقتل كثيرا منهم ، وأبان

عن شجاعة وقوة نفس وحسن تدبير، فأذعنوا له . وأقطع البلاد وكثر جمعه وتوفرت أمواله وثبت قدمه . وكاتب المعز بمصر يداريه ، ويظهر له الانقياد فشكره ، وطلب منه أن يحضر عنده ليخلع عليه ولمجيده واليا من جانبه ، فلم يثق إليه وامتنع من المسير. فتجهز المعز وجمع العساكر لقصده ، فمرض ومات على ما نذكره سنة خمس وستين وثلاثمائة . وولي بعده ابنه العزيز بالله فأمن الفتكين بموته جهة مصر. فقصد بلاد العزيز التي بساحل الشام فعمد إلى صيدا فحصرها، وبها ابن الشيخ ومعه رؤوس المغاربة ومعهم ظالم بن موهوب العقيلي ، فقاتلهم وكانوا في كثرة فطمعوا فيه وخرجوا إليه فاستجرهم حتى أبعدوا، ثم عاد عليهم فقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل ، وطمع في 3 أخذ عكا، فتوجه إليها وقصد طبرية ففعل فيها من القتل والنهب مثل صيدا وعاد إلى ، دمشق ، فلما سمع العزيز بذلك استشار وزيره يعقوب بن كاس فيما يفعل ، فأشار بإرسال جوهر في العساكر إلى الشام فجهزه وسيره .

فلما سمع الفتكين بمسيره جمع أهل دمشق وقال : " قد علمتم أنني ما وليت أمركم إلا عن رضا منكم ، وطلب من كبيركم وصغيركم لي ، وإنما كنت مجتازا وقد أظلكم هذا الأمر وأنا سائر عنكم لئلا ينالكم أذى بسببي ". فقالوا : "لا نمكنك من فراقنا ونحن نبذل الأنفس والأموال في هواك ، وننصرك ونقوم معك " . فاستحلفهم على ذلك . فحلفوا له فأقام عندهم . فوصل جوهر إلى البلد في ذي القعدة من سنة خمس وستين وثلاثمائة فحصره فرأى من قتال الفتكين ، ومن معه ما استعظمه . ودامت الحرب - شهرين قتل فيها عدد كثير من الطائفتين . فلما رأى أهل دمشق طول مقام المغاربة عليهم " أشاروا على الفتكين بمكاتبة الحسن بن أحمد القرمطي واستنجاده . ففعل ذلك ، فسار القرمطي إليه من الإحساء فلما قرب منه رحل جوهر عن دمشق خوفا أن يبقى بين لم عدوين ،وكان مقامه عليها سبعة أشهر.

ووصل القرمطي واجتمع هو والفتكين ، وساروا في أثر جوهر فأدركاه ، وقد نزل ، بظاهر الرملة وسير أثقاله إلى عسقلان ، فاقتتلوا فكان جمع الفتكين والقرمطي كثيرا من رجال الشام ، والعرب ، وغيرهم فكانوا نحو خمسين ألف فارس وراجل . فنزلوا على نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من البلد ومنه ماء أهل البلد، فقطعوه عنهم ، فاحتاج جوهر ومن معه إلى ماء الطرفي الصهاريج –وهو قليل لا يقوم بهم -فرحل إلى عسقلان وتبعه

الفتكين والقرمطي فحصراه بها . وطال الحصار وقتت الميرة، وعدمت الأقوات ، وكان الزمان شتاء . فلم يهمكن حمل الذخائر في البحر من مصر وغيرها . فاضطروا إلى أكل الميتة، وبلغ الخبز كل خمسة أرطال بالشامي بدينار مصري . وكان جوهر يراسل الفتكين ويدعوه إلى الموافقة والطاعة، ويبذل له البذول الكثيرة فيهم أن يفعل فيمنعه القرمطي ويخوفه منه فزادت الشدة على جوهر، ومن معه فعاينوا الهلاك . فأرسل إلى الفتكين يطلب منه أن يجتمع به فتقدم إليه واجتمعا راكبين . فقال له جوهر : " قد عرفت ما يجمعنا من عصمة الإسلام وحرمة الدين ، وقد طالت هذه الفتنة وأريقت فيها الدماء ونهبت الأموال ، ونحن المؤاخذون بها عند الله تعالى ، وقد دعوتك إلى الصلح والطاعة والموافقة وبذلت لك الرغائب ، فأبيت إلا القبول ممن يشب نار الفتنة ، فراقب الله تعالى وراجع نفسك ، وغلب رأيك على هوى غيرك " . فقال الفتكين : " أنا والله واثق بك في صحة الرأي والمشورة منك لكنني غير متمكن مما تدعونني إليه بسبب القرمطي الذي أحوجتني أئت إلى مداراته ، والقبول منه " . فقال جوهر : " إذا كان الأمر على ما ذكرت فإنني أصدقك الحال تعويلا على أمانتك ، وما أجده من الفتوة عندك ، وقد ضاق الأمر بنا وأريد أن تمن علي بنفسي ، وبمن معي من المسلمين وتذم لنا وأعود إلى صاحبي شاكراً لك وتكون قد جمعت بين حقن الدماء ، واصطناع المعروف ؟ فأجابه إلى ذلك وحلف له على الوفاء به ، وعاد واجتمع بالقرمطي وعرفه الحال فقال : " لقد أخطأت فإن جوهرا له رأي وحزم ومكيدة، وسيرجع إلى صاحبه فيحمله على قصدنا بما لا طاقة لنا به . والصواب أن ترجع عن ذلك ليموتوا جوعا، ونأخذهم بالسيف " . فامتنع الفتكين من ذلك وقال : " لا أغدر به " . وأذن لجوهر ولمن معه بالمسير إلى مصر، فسار إليه واجتمع بالعزيز وشرح له ا لحال ، وقال : إن كنت تريدهم فاخرج إليهم بنفسك ، وإلا فهم واصلون على أثري. فبرز العزيز وفرق الأموال ، وجمع الرجال وسار وجوهر على مقدمته . وورد الخبر إلى الفتكين ، والقرمطي فعادا إلى الرملة وجمعا العرب وغيرها وحشدا .

ووصل العزيز فنزل بظاهر الرملة ونزلا بالقرب منه . ع ثم اصطفوا للحرب في المحرم سنة سبع وستين وثلاثمائة فرأى العزيز من شجاعة الفتكين ما أعجبه فأرسل إليه في تلك الحال يدعوه إلى طاعته ، ويبذل له الرغائب والولايات وأن يجعله مقدم عسكره والمرجوع إليه في دولته ، ويطلب أن يحضر عنده ويسمع قوله . فترجل وقبل الأرض بين

الصفين وقال للرسول : " قل لأمير المؤمنين لو قدم هذا القول لسارعت وأطعت ، وأما الآن فلا يمكن إلا ما ترى ، . وحمل على الميسرة، فهزمها وقتل كثيرا منها. فلما رأى العزيز ذلك حمل من القلب وأمر الميمنة فحملت ، فانهزم القرمطي والفتكين ومن معهما . ووضع المغاربة السيف فاكثروا القتل وقتلوا نحو عشرين ألفا . ونزل العزيز في خيامه وجاءه الناس بالأسرى فكل من أتاه بأسير خلع عليه ، وبذل لمن أتاه بالفتكين أسيرا مائة ألف دينار. وكان الفتكين قد مضى منهزماً، فكظه العطش ، فلقيه المفرج بن دغفل الطائي وكان بينهما أنس قديم فطلب منه الفتكين ماء فسقاه ، وأخذه معه إلى بيته فأنزله وأكرمه وسار إلى العزيز بالله فاعلمه بأسر الفتكين ، وطلب منه المال فأعطاه ما ضمنه ، وسير معه من تسلم الفتكين منه ، فلما وصل الفتكين إلى العزيز لم يشك أنه يقتله لوقته ، فرأى من إكرام العزيز له والإحسان إليه ما أعجزه ، وأمر له بالخيام ، فنصبت وأعاد إليه جميع من كان يخدمه فلم يفقد من حاله شيئا ، وحمل إليه من التحف والأموال ما لم ير مثله . وأخذه معه إلى مصر وجعله من أخص خدمه وحجابه . وأما الحسن القرمطي فإنه وصل منهزما إلى طبرية فأدركه رسول العزيز يدعوه إلى العود إليه ليحسن إليه ويفعل معه أكثر مما فعل مع الفتكين ، فلم يرجع . فأرسل إليه العزيز عشرين ألف دينار، وجعلها له كل سنة فكان يرسلها إليه وعاد إلى الإحساء ، ولما عاد العزيز إلى مصر أنزل الفتكين عند قصره ، وزاد أمره وتحكم فتكبر على وزيره يعقوب بن كلس وترك الركوب إليه ، فصار بينهما عداوة متأكدة فوضع عليه من سقاه سما فمات . فحزن عليه العزيز واتهم الوزير، فحبسه نيفا وأربعين يوما، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار. ثم . وقفت أمور دولة العزيز باعتزال الوزير، فخلع عليه وأعاده إلى وزارته .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار الحجاج الى سميراء فرأوا هلال ذي الحجة بها، والعادة جارية بان يرى الهلال بعده بأربعة أيام . وبلغهم أنهم لا يرون الماء إلى غمرة – وهو بها أيضاً قليل - وبينهما نحو عشرة أيام فغدوا إله ط المدينة، فوقفوا بها وعادوا فكانوا أول المحرم في الكوفة .

وفيها ظهر بافريقية كوكب عظيم من جهة المشرق ، وله ذؤابة وضؤ عظيم فبقي يطلع كذلك نحوا من شهر ثم غاب فلم ير.

وفيها توفي أبو القاسم عبد السلام بن أبي موسى المخرمي الصوفي نزيل مكة، وكان قد صحب أبا علي الروذباري ، وطبقته ، وغيره .

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة

ذكر وفاة المعز لدين الله العلوي وولاية ابنه العزيز بالله

في هذه السنة توفي المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله العلوي الحسيني بمصر، وأمه أم ولد ؛ وكان موته سابع عشر شهر ربيع الآخر من هذه السنة . وولد بالمهدية من افريقية حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريباً . وكان سبب موته أن ملك الروم بالقسطنطينية أرسل إليه رسولا كان يتردد إليه بافريقية فخلا به بعض الأيام فقال له المعز: أتذكر إذ أتيتني رسولا وأنا بالمهدية . فقلت لك : لتدخلن علي وأنا بمصر مالكاً لها؟ قال : نعم قال : وأنا أقول لك لتدخلن على بغداد ، وأنا خليفة فقال له الرسول : إن أمنتني على نفسي ولم تغضب قلمت لك ما عندي ، فقال له المعز : قل وأنت آمن قال : " بعثني إليك الملك ذلك العام ، فرأيت من عظمتك في عيني وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه ، ووصلت إلى قصرك فرأيت عليه نورا عظيما غطى بصري ، ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك ، فظننتك خالقا. فلو قلت لي : إنك تعرج الى السماء لتحققت ذلك . ثم جئت إليك الأن فما رأيت من ذلك شيئاً ، أشرفت على مدينتك فكانت في عيني سوداء مظلمة، ثم دخلت عليك ، فما وجدت من المهابة ما وجدته ذلك العام فقلت : ان ذلك كان أمرا مقبلاً وإنه الآن بضد ما كان عليه ". فاطرق المعز، وخرج الرسول من عنده وأخذت المعز الحمى لشدة ما وجد، واتصل مرضه حتى مات . وكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، منها مقامه بمصر سنتان وتسعة أشهر والباقي بافريقية ، وهو أول الخلفاء العلويين ، ملك مصر وخرج إليها . وكان مغرى بالنجوم ويعمل بأقوال المنجمين ، قال له منجمه : إن عليه

قطعا في وقت كذا، وأشار عليه بعمل سرداب يختفي فيه إلى أن يجوز ذلك الوقت ، ففعل ما أمره ، وأحضر قواده فقال لهم : " إن بيني وبين الله عهدا أنا ماض إليه ، وقد استخلفت عليكم ابني نزاراً - يعني العزيز- فاسمعوا له واطيعوا . " ونزل السرداب ، فكان أحد المغاربة إذا رأى سحابا نزل وأومأ بالسلام إليه ظنا منه أن المعز فيه ، فغاب سنة ثم ظهر. وبقي مديدة، ومرض ، وتوفي ، فستر ابنه العزيز موته إلى عيد النحر من السنة، فصلى بالناس وخطبهم ، ودعا لنفسه وعزى بابيه . وكان المعز عالما فاضلاً جواداً شجاعاً جارياً على منهاج أبيه فن حسن السيرة، وإنصاف الرعية وستر ما يدعون إليه ، إلا عن الخاصة . ثم أظهره وأمر الدعاة باظهاره إلا أنه لم يخرج فيه إلى حد يذم به ؛ ولما استقر العزيز في الملك أطاعه العسكر فاجتمعوا عليه ، وكان هو يدبر الأمور منذ مات أبوه إلى أن أظهره ، ثم سير إلى الغرب دنانير عليها اسمه ، فرقت في الناس ، وأقر يوسف بلكين على ولاية أفريقية، وأضاف إليه ما كان أبوه استعمل عليه غير يوسف ، وهى طرابلس – وسرت واجد ابية،فاستعمل عليها يوسف عماله وعظم أمره حينئذ وأمن ناحية العزيز واستبد بالملك وكان يظهر الطاعة مجاملة ومراقبة لا طائل وراءها .

ذكر حرب يوسف بلكين مع زناتة وغيرها بأفريقية

في هذه لم السنة جمع خزرون بن فلفول بن خزر الزناتي جمعا كبيراً، وسار إلى سجلماسة فلقيه صاحبها في رمضان ، فقتله خزرون وملك سجلماسة، وأخذ منها من الأموال والعدد شيئا كثيرا ، وبعث برأس صاحبها إلى الأندلس وعظم شان زناتة واشتد ملكهم . وكان بلكين عند سبتة، وكان قد رحل إلى فاس وسجلماسة وأرض الهبط ، وملكه كله ، وطرد عنه عمال بني أمية، وهربت زناتة منه فلجا كثير منهم إلى سبتة -وهي للأموي صاحب الأندلس - وكان في طريقه شعارى مشتبكة ولا تسلك . فأمر بقطعها وإحراقها فقطعت وأحرقت حتى صارت للعسكر طريقاً. ثم مضى بنفسه حتى أشرف على سبتة من جبل مطل كل عليها، فوقف نصف نهار لينظر، من أي جهة يحاصرها، ويقاتلها، فرأى أنها لا تؤخذ إلا بأسطول ، فخافه أهلها خوفا عظيما . ثم رجع عنها نحو البصرة- وهي مدينة حسنة تسمى بصرة في المغرب - فلما سمعت به زناتة رحلوا إلى أقاصي الغرب في الرمال والصحاري هاربين منه . فدخل يوسف البصرة، وكانت قد عمرها صاحب الأندلس عمارة عظيمة فأمر بهدمها ونهبها . ورحل إلى بلد برغواطة،

وكان ملكهم عبس ابن أم الأنصار، وكان مشعبذاً ساحراً وادعى النبوة فأطاعوه في كل ما أمرهم به ، وجعل لهم شريعة فغزاه بلكين ، وكانت بينهم حروب عظيمة لا توصف كان الظفر في آخرها لبلكين .

وقتل الله عبس ابن أم الأنصار وهزم عساكره ، وقتلوا قتالاً ذريعاً وسبى من نساءهم وأبنائهم ما لا يحصى وسيره إلى أفريقية، فقال أهل أفريقية : إنه لم يدخل إليهم من السبي مثله قط . وأقام يوسف بلكين بتلك الناحية قاهراً لأهلها وأهل سبتة منه خائفون وزناتة هاربون في الرمال إلى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

ذكر حصر كسنتة وغيرها .

في هذه السنة سار أمير صقلية وهو أبو القاسم بن الحسن بن علي نجن أبي الحسين في عساكر المسلمين ومعه جماعة من الصالحين ، والعلماء فنازل مدينة مسيني في رمضان . فهرب العدو عنها وعدى المسلمون إلى كسنتة، فحصروها أياما فسال أهلها الأمان ، فأجابهم إليه . وأخذ منهم مالا ورحل عنها إلى قلعة جلوا . ففعل كذلك بها وبغيرها ، وأمر أخاه القاسم أن يذهب بالأسطول إلى ناحية بربولة . ويبث السرايا في جميع قلورية ، ففعل ذلك . فغنم غنائم في ة، وقتل وسبى وعاد هو وأخوه إلى ا لمدينة .

فلما كان سنة ست وستين وثلاثمائة أمر أبو القاسم بعمارة رمطة، وكانت قد خربت قبل ذلك ، وعاود الغزو وجمع الجيوش. وسار، فنازل قلعة إغاثة فطلب أهلها الأمان فأمنهم وسلموا إليه القلعة بجميع ما فيها . ورحل إلى مدينة طارنت ، . فرأى أهلها قد هربوا منها . وأغلقوا أبوابها ، فصعد الناس السور، وفتحوا الأبواب ودخلها الناس ، فأمر الأمير بهدمها. فهدمت وأحرقت وأرسل السرايا فبلغوا أذرنت وغيرها . ونزل هو على مدينة عردلية، فقاتلها . فبذل أهلها له مالا صالحهم عليه وعاد إلى المدينة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خطب للعزيز العلوي بمكة حرسها الله تعالى . بعد أن أرسل جيشاً إليها فحصروها، وضيقوا على أهلها ومنعوهم الميرة، فغلت الأسعار بها، ولقي أهلها شدة شديدة .

وفيها أقام بسيلس بن أرمانوس ملك الروم وردا المعروف بسقلاروس دمستقا .

فلما استقر في الولاية استوحش من الملك فعصى عليه واستظهر بابي تغلب بن حمدان ، وصاهره ، ولبس التاج ، وطلب الملك .

وفيها توفي أبو أحمد بن عدي الجرجاني في جمادى الآخرة وهو إمام مشهور(1) ، ومحمد بن بدر الكبير الحمامي غلام ابن طولون ، وكان قد ولي فارس بعد أبيه (2) .

وفيها في ذي القعدة توفي ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي ، صاحب التاريخ (3) .

(1) ويعرف أيضاً بابن القطان صاحب كتاب - الكامل في الجرح والتعديل – وهو كامل في بابه كما سمي ، كان احد ائمة الأعلام وأركان الاسلام ولد سنة سبع وسبعين ومائتين وطاف البلاد في طلب العلم وسمع الكبار وألف أيضاً كتاب الانتصار على مختصر المزني .

(2) كنيته أبو بكر كان والده بدر الحمامي . مولى احمد بن طولون وكان أميراً على فارس فمات فقام ولد. هذا بعده قال ابو نعيم : ثقة، وقال ابن الفرات : كان له مذهب في الرفض .

(3) كان طبيباً فاضلاً خدم الخليفة الراضي بالله العباسي ثم المتقي لله ، والمستكفي ، والمطيع . وكان ثقة فريداً في وقته ألف تاريخاً ذكر فيه ما كان في أيامه ابتدأه بسنة 295 هجرية وختم بوفاته كما قال المصنف قبل .

وله كتاب في أخبار الشام ومصر وهو خال هلال بن محسن الصابى ترجمه ياقوت فى معجمه .

ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة

ذكر وفاة ركن الدولة وملك عضد الدولة

في هذه السنة في المحرم توفي ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه ، واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة . وكان ابتداء مرضه حين سمع بقبض بختيار ابن أخمه معز الدولة، وكان ابنه عضد الدولة قد عاد من بغداد بعد أن أطلق بختيار على الوجه الذي ذكرناه. وظهر عند الخاص والعام غضب والده عليه . فخاف أن يموت أبوه وهو على حال غضبه - فيختل ملكه وتزول طاعته - فأرسل إلى أبي الفتح بن العميد وزير والده يطلب منه أن يتوصل مع أبيه ، وإحضاره عنده وأن يعهد إليه بالملك بعده ، فسعى أبو الفتح في ذلك ، فأجابه إليه ركن الدولة . وكان قد وجد في نفسه خفة ، فسار من الري إلى أصبهان ، فوصلها في جمادى الأولى سنة خمس وستين وثلاثمائة وأحضر ولده عضد الدولة من فارس ، وجمع عنده أيضاً سائر أولاده بأصبهان ، فعمل أبو الفتح بن العميد دعوة عظيمة حضرها ركن الدولة ، وأولاده ، والقواد، والأجناد . فلما فرغوا من الطعام عهد ركن الدولة إلى ولده عضد الدولة بالملك بعده . وجعل لولده فخر الدولة أبى الحسن على همذان وأعمال الجبل ، ولولده مؤيد الدولة أصبهان وأعمالها، وجعلهما في هذه البلاد بحكم أخيهما عضد الدولة . وخلع عضد الدولة على سائر الناس ذلك اليوم الأقبية والأكسية على زي الديلم وحياه القواد واخوته بالريحان على عادتهم مع ملوكهم ، وأوصى ركن الدولة أولاده بالاتفاق ، وترك الاختلاف وخلع عليهم . ثم سار عن أصبهان في رجب نحو الري ، فدام مرضه إلى أن توفي . فأصيب به الدين والدنيا جميعا لاستكمال جميع خلال الخير فيه . وكان عمره قد زاد على سبعين سنة . وكانت إمارته أربعاً وأربعين سنة .

ذكر بعض سيرته

كان حليما، كريماً، واسع الكرم ، كثير البذل ، حسن السياسة لرعاياه وجنده ، رؤوفا بهم عادلا في الحكم بينهم . وكان بعيد الهمة، عظيم الجد والسعادة، متحرجا من الظلم ، مانعا لأصحابه منه ، عفيفا عن الدماء يرى حقنها واجبا إلا فيما لا بد منه . وكان يحامي على أهل البيوتات ، وكان يجري عليهم الأرزاق ويصونهم عن التبذل . وكان يقصد المساجد الجامعة في أشهر الصيام للصلاة وينتصب لرد المظالم ، ويتعهد العلويين بالأموال الكثيرة ، ويتصدق بالأموال الجليلة على ذوي الحاجات . ويلين جانبه للخاص والعام . قال له بعض أصحابه في ذلك ، وذكر له شدة مردوايج على أصحابه فقال : انظر كيف اخترم ، ووثب عليه أخص أصحابه به وأقربهم منه لعنفه وشدته . وكيف عمرت وأحبني الناس للين جانبي . وحكي عنه ، أنه سار في سفر، فنزل في خركاة قد ضربت له قبل أصحابه ، وقدم إليه طعام فقال لبعض أصحابه : لأي شيء ، قيل في المثل : خير الأشياء في القرية الإمارة؟ فقال صاحبه : لقعودك في الخركاة، وهذا الطعام بين يديك وأنا لا خركاة، ولا طعام . فضحك وأعطاه الخركاة والطعام . فانظر إلى هذا الخلق ما أحسنه وما أجمله . وفي فعله في حادثة بختيار ما يدل على كمال مروءته وحسن عهده ، وصلته لرحمه رضي الله عنه وأرضاه ، وكان له حسن عهد، ومودة، وإقبال .

ذكر مسير عضلي الدولة إلى العراق

في هذه السنة تجهز عضد الدولة، وسار يطلب العراق لما كان يبلغه عن بختيار وابن بقية من استمالة أصحاب الأطراف كحسنويه الكردي ، وفخر الدولة بن ركن الدولة، وأبي تغلب بن حمدان وعمران بن شاهين ، وغيرهم والاتفاق على معاداته ، ولما كان يقولانه من الشتم القبيح له . ولما رأى من حسن العراق ، وعظم مملكته إلى غير ذلك . وانحدر بختيار إلى واسط على عزم محاربة عضد الدولة وكان حسنويه وعده أنه يحضر بنفسه لنصرته ، وكذلك ابو تغلب بن حمدان فلم يف له واحد منهما . ثم سار بختيار إلى الأهواز - أشار بذلك ابن بقية . وسار عضد الدولة من فارس نحوهم فالتقوا في ذي القعدة، واقتتلوا . فخامر على بختيار بعض عسكره ، وانتقلوا إلى عضد الدولة فانهزم بختيار وأخذ ماله ومال ابن بقية ، ونهبت الأثقال وغيرها . ولما وصل بختيار إلى

واسط ، حمل إليه ابن شاهين صاحب البطيحة مالا، وسلاحا، وغير ذلك من الهدايا النفيسة ، ودخل بختيار إليه فأكرمه ، وحمل إليه مالا جليلا واعلاقاً نفيسة . وعجب الناس من قول عمران : أن بختياراً سيدخل منزلي وسيستجير بي فكان كما ذكر. ثم اصعد بختيار إلى واسط .

وأما عضد الدولة فإنه سير إلى البصرة جيشا فملكوها . وسبب ذلك أن أهلها اختلفوا ، وكانت مضر تهوى عضد الدولة ، وتميل إليه لأسباب قررها معهم ، وخالفتهم ربيعة ومالت إلى بختيار، فلما انهزم ضعفوا وقويت مضر. وكاتبوا عضد الدولة وطلبوا منه إنفاذ جيش إليهم ، فسير جيشا تسلم البلد، وأقام عندهم . وأقام بختيار بواسط وأحضر ما كان له ببغداد، والبصرة من مال وغيره ، ففرقه في أصحابه . ثم أنه قبض على ابن بقية لأنه أطرحه واستبد بالأمور دونه وجبى الأموال إلى نفسه ، ولم يوصل إلى بختيار منها شيئا. وأراد أيضاً التقرب إلى عضد الدولة بقبضه لأنه هو الذي كان يفسد الأحوال بينهم . ولما قبض عليه أخذ أمواله ففرقها . وراسل عضد الدولة في الصلح ، وترددت الرسل بذلك . وكان أصحاب بختيار يختلفون عليه فبعضهم يشير به وبعضهم ينهى عنه . ثم إنه أتاه عبد الرزاق وبدر ابنا حسنويه في نحو ألف فارس معونة له ، فلما وصلا إليه أظهر المقام بواسط . ومحاربة عضد الدولة. فاتصل بعضد الدولة أنه نقض الشرط . ثم بدا لبختيار في المسير، فسار إلى بغداد فعاد عنه ابنا حسنويه إلى أبيهما. وأقام بختيار ببغداد، وانقضت السنة وهو بها . وسار عضد الدولة إلى واسط ثم سار منها إلى البصرة فاصلح بين ربيعة ومضر، وكانوا في الحروب والاختلاف نحو مائة وعشرين سنة . ومن عجيب ما جرى لبختيار في هذه الحادثة أنه كان له غلام تركي يميل إليه فاخذ في جملة الأسرى ، وانقطع خبره عن بختيار، فحزن لذلك وامتنع من لذاته والاهتمام بما رفع إليه من زوال ملكه وذهاب نفسه حتى قال على رؤوس الاشهاد : "إن فجيعتي بهذا الغلام أعظم من فجيعتي بذهاب ملكي " . ثم سمع أنه في جملة الأسرى، فأرسل إلى عضد الدولة يبذل له ما أحست في رده إليه (ا) فأعاده عليه . وسارت هذه الحادثة عنه ، فازداد فضيحة وهوانا عند الملوك وغيرهم.

(1) في النجوم الزاهرة " وبذل لعضد الدولة في الغلام المذكور جاريتين عوادتين كان قد بذل له في الواحدة مائة الف درهم "

ذكر وفاة منصور بن نوح وملك ابنه نوح

في هذه السنة مات الأمير منصور بن نوح صاحب خراسان وما وراء النهر منتصف شوال . وكان موته ببخارى، وكانت ولايته خمس عشرة سنة. وولي الأمر بعده ابنه ابو القاسم نوح . وكان عمره حين ولي الأمر ثلاث عشرة سنة، ولقب بالمنصور.

ذكر وفاة القاضي منذر البلوطي

في هذه السنة في ذي القعدة مات القاضي منذر بن سعيد البلوطي أبو الحاكم قاضي قضاة الأندلس . وكان إماما، فقيهاً، خطيباً، شاعراً ، فصيحاً، ذا دين متين . دخل يوما على عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس بعد أن فرغ من بناء الزهراء، وقصورها وقد قعد في قبة مزخرفة بالذهب والبناء البديع الذي لم يسبق إليه ومعه جماعة من الأعيان . فقال عبد الرحمن الناصر:هل بلغكم أن أحدا بنى مثل هذا البناء؟ فقالت له الجماعة : لم نر ولم نسمع بمثله . وأثنوا وبالغوا، والقاضي مطرق . فاستنطقه عبد الرحمن فبكى القاضي ، وانحدرت دموعه على لحيته ، وقال : "والله ما كنت أظن أن الشيطان أخزاه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما أتاك الله ، وفضلك به حتى أنزلك منازل الكافرين " . فقال له عبد الرحمن : انظر ما تقول ، وكيف أنزلني منزل الكافرين ؟ فقال : قال الله تعالى : { ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بم الرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا – إلى قوله – والآخرة عند ربك للمتقين }(ا) فوجم عبد الرحمن وبكى وقال : جزاك الله خيراً وأكثر في المسلمين مثلك . وأخبار هذا القاضي كثيرة حسنة جدا ، منها أنه قحط الناس ، وأرادوا الخروج للاستسقاء . فأرسل إليه عبد الرحمن يأمره بالخروج فقال القاضي للرسول : يا ليت شعري ما الذي يصنعه الأمير يومنا هذا؟ فقال : ما رأيته قط أخشع منه الآن قد لبس خشن الثياب وافترش التراب ، وجعله على رأسه ، ولحيته ، وبكى واعترف بذنوبه ويقول : هذه ناصيتي بيدك أتراك تعذب هذا الخلق لأجلي ؟ فقال القاضي : يا غلام احمل الممطر معك ، فقد أذن الله بسقيانا إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء . فخرج واستسقى بالناس فلما صعد المنبر، ورأى الناس قد شخصوا إليه بأبصارهم قال : إسلام عليكم كتب ربكم على

(1) سورة ا لزخرف 33 - 35 .

نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح }(1) الآية وكررها فضج الناص بالبكاء والتوبة وتمم خطبته فسقي الناس .

ذكر القبض على أبي الفتح بن العميد

في هذه السنة قبض عضد الدولة على أبي الفتح بن العميد وزير أبيه ، وسمل عينه الواحدة وقطع أنفه . وكان سبب ذلك أن أبا الفتح لما كان ببغداد مع عضد الدولة على ما شرحناه ، وسار عضد الدولة نحو فارس تقدم إلي أبي الفتح بتعجيل المسير عن بغداد إلى الري ، فخالفه وأقام وأعجبه المقام ببغداد، وشرب مع بختيار، ومال في .هواه واقتنى ببغداد أملاكا ودورا على عزم العود إليها إذا مات ركن الدولة ، ثم صار يكاتب بختيار بأشياء يكرهها عضد الدولة . وكان له نائب يعرضها على بختيار، فكان ذلك النائب يكاتب بها عضد الدولة ساعة فساعة . فلما ملك عضد الدولة بعد موت أبيه كتب إلى أخيه فخر الدولة بالري يأمره بالقبض عليه وعلى أهله ، وأصحابه ففعل ذلك . وانقلع بيت العميد على يده كما ظنه أبوه أبو الفضل . وكان أبو الفتح ليلة قبض ، وقد أمسى مسرورا فأحضر الندماء والمغنين وأظهر من الآلات الذهبية ، والزجاج المليح ،وأنواع الطيب ما ليس لأحد مثله وشربوا . وعمل شعرا وغني له فيه وهو:

دعوت المنى ودعوت العلا فلما أجابا دعوت القدح

وقلت لأيام شرخ الشباب إلي فهذا أوان الفرح

إذا بلغ المرء وآماله فليس له بعدها مقترح

فلما غنى في الشعر استطابه وشرب عليه إلى أن سكر، وقام وقال لغلمانه :اتركوا المجلس على ما هو عليه لتصطبح غدا وقال لندمائه : بكروا إلي غدا لنصطبح ولا تتأخروا. فانصرف الندماء ودخل هو إلى بيت منامه . فلما كان السحر دعاه مؤيد الدولة، فقبض عليه وأرسل إلى داره فأخذ جميع ما فجها ومن جملته ذلك المجلس بما فيه .

ذكر وفاة الحاكم وولاية ابنه هاشم

وفى هذه السنة توفي الحاكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن المستنصر بالله الأموي صاحب الأندلس .وكانت إمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وعمره ثلاثاً وستين سنة وسبعة أشهر. وكان أصهبا، أعين ، أقنى،

(1) سورة الأنعام 54.

عظيم الصوت ، ضخم الجسم ، أفقم . وكان محبا لأهل العلم ، عالما فقيها في المذاهب ، عالما بالأنساب والتواريخ ، جماعا للكتب (ا) والعلماء مكرما لهم محسنا إليهم . أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن إليهم . ولما توفي ولي بعده ابنه هشام بعهد أبيه وله عشر سنين ولقب المؤيد بالله . واختلفت البلاد في أيامه وأخذ وحبس ثم عاد إلى الإمارة: وسببه أنه لما ولي المؤيد تحجب له المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري وابناه المظفر والناصر. فلما حجب له أبو عامر حجبه عن الناس فلم يكن أحدا يراه ، ولا يصل إليه . وقام بأمر دولته القيام المرضي ، وعدل في الرعية وأقبلت الدنيا إليه واشتغل بالغزو، وفتح في بلاد الأعداء كثيرا وامتلأت بلاد الأندلس بالغنائم ، والرقيق ، وجعل أكثر جنده منهم كواضح الفتي ، وغيره من المشهورين ،وكانوا يعرفون بالعامريين . وأدام الله له الحال ستا وعشرين سنة غزا فيها اثنتين وخمسين غزاة ما بين صائفة وشاتية . وتوفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . وكان حازماً. قوي العزم ، كثير العدل والإحسان ، حسن السياسة . فمن محاسن أعماله أنه دخل بلاد الفرنج غازيا فجاز الدرب إليها – وهو مضيق بين جبلين – وأوغل في بلاد الفرنج يسبي ويخرب ويغنم . فلما أراد الخروج رآهم قد سدوا الدرب وهم عليه يحفظونه من المسلمين . فأظهر أنه يريد المقام في بلادهم وشرع هو وعسكره في عمارة المساكن ، وزرع الغلات ، وأحضروا الحطب ، والتين والميرة ، وما يحتاجون إليه . فلما رأوا عزمه على المقام مالوا إلى السلم ، فراسلوه في ترك الغنائم والجواز إلى بلاده فقال : أنا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبهم إلى الصلح ، فبذلوا له مالا ودواب تحمل له ما غنمه من بلادهم ، فأجابهم إلى الصلح وفتحوا له الدرب فجاز إلى بلاده . وكان أصله من الجزيرة الخضراء وورد شابا إلى قرطبة طالباً للعلم ، والأدب ، وسماع الحديث فبرع فيها وتميز. ثم تعلق بخدمة صبح والدة المؤيد وعظم محله عندها. فلما مات الحاكم المستنصر كان المؤيد صغيراً فخيف على الملك أن يختل فضمن لصبح سكون البلاد وزوال الخوف . وكان قوي النفس وساعدته المقادير وأمدته الأمراء بالأموال ، فاستمال العساكر وجرت الأمور على أحسن نظام ، وكانت أمه تميمية وأبوه معافري - بطن من حمير.

(1) في شذرات الذهب " محباً للعلم مشغوفاً بجمع الكتب والنظر فيها بحيث أنه جمع منها ما لم يجمعه أحد قبله ولا جمعه أحد بعده حق ضاقت خزائنه عنها) 55/3 - 56 .

فلما توفي ولي بعده ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر، فسار كسيرة أبيه وتوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة . فكانت ولايته سبع سنين . وكان سبب موته أن أخاه عبد الرحمن سمه في تفاحة قطعها بسكين كان قد سم أحد جانبيها فناول أخاه ما يلي الجانب المسموم ، وأخذ هو ما يلي الجانب الصحيح ، فاكله بحضرته فاطمأن المظفر وأكل ما بيده منها فمات . فلما توفي ولي بعده أخوه عبد الرحمن الملقب بالناصر، فسلك غير طريق أبيه وأخيه ، وأخذ في المجون ، وشرب الخمور، وغير ذلك . ثم دس إلى المؤيد من خوفه منه إن لم يجعله ولي عهده ففعل ذلك ، فحقد الناس وبنو أمية عليه ذلك وأبغضوه وتحركوا في أمره إلى أن قتل .وغزا شاتية ، وأوغل في بلاد الجلالقة ، فلم يقدم ملكها على لقائه وتحصن منه في رؤوس الجبال ، ولم يقدر عبد الرحمن على اتباعه لزيادة الأنهار وكثرة الثلوج ، فاثخن في البلاد التي وطئها، وخرج موفوراً. فبلغه في طريقه ظهور محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله بقرطبة واستيلاؤه عليها، وأخذه المؤيد أسيرا فتفرق عنه عسكره ، ولم يبق معه إلا خاصته . فسار إلى قرطبة ليتلافى ذلك الخطب ، فخرج إليه عسكر محمد بن هشام ، فقتلوه وحملوا رأسه إلى قرطبة فطافوا به . وكان قتله سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ثم صلبوه .

ذكر ظهور محمد بن هشام بقرطبة

وفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ظهر بقرطبة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الأموي ومعه اثنا عشر رجلا فبايعه الناس . وكان ظهوره سلخ جمادى الأخرة، وتلقب بالمهدي بالله وملك قرطبة ، وأخذ المؤيد فحبسه معه في القصر، ثم أخرجه وأخفاه ، وأظهر أنه مات . وكان قد مات إنسان نصراني يشبه المؤيد، فأبرزه للناس في شعبان من هذه السنة وذكر لهم أنه المؤيد فلم يشكوا في موته وصلوا عليه ودفنوه في مقابر المسلمين . ثم إنه أظهره على ما نذكره ، وأكذب نفسه . فكانت مدة ولاية المؤيد هذه إلى أن حبس ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر. ونقم الناس على ابن عبد الجبار أشياء،منها أنه كان يعمل النبيذ في قصره فسموه نباذا؛ ومنها فعله بالمؤيد، وإنه كان كذابا متلونا مبغضا للبربر، فانقلب الناس عليه .

ذكر خروج هشام بن سليمان عليه

لما استوحش أهل الأندلس من ابن عبد الجبار وأبغضوه قصدوا هشام بن

سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله فأخرجوه من داره وبايعوه فتلقب بالرشيد وذلك لأربع بقين من شوال سنة تسع وتسعين . واجتمعوا بظاهر قرطبة وحصروا ابن عبد الجبار. وترددت الرسل بينهم ليخلع ابن عبد الجبار من الملك على أن يؤمنه وأهله وجميع أصحابه . ثم إن ابن عبد الجبار جمع أصحابه وخرج إليهم فقاتلهم فانهزم هشام وأصحابه ، وأخذ هشام أسيرا فقتله ابن عبد الجبار، وقتل معه عدة من قواده ، واستقر أمر ابن عبد الجبار، وكان عم هشام .

ذكر خروج سليمان عليه أيضاً

ولما قتل ابن عبد الجبار هشام بن سليمان بن الناصر، وانهزم أصحابه انهزم معهم سليمان بن الحاكم بن سليمان بن الناصر- وهو ابن أخي هشام المقتول - فبايعه أصحاب عمه ، وأكثرهم البربر بعد الوقعة بيومين ، ولقبوه المستعين بالله . ثم لقب بالظاهر بالله ، وساروا إلى النصارى فصالحوهم واستنجدوهم . فانجدوهم وساروا معهم إلى قرطبة فاقتتلوا هم وابن عبد الجبار بقنتيج - وهي الوقعة المشهورة - غزوا فيها وقتل ما لا يحصى فانهزم ابن عبد الجبار وتحصن بقصر قرطبة، ودخل سليمان البلد وحصره في القصر. فلما رأى ابن عبد الجبار ما نزل به أظهر المؤيد ظنا منه أن ينخلع هو وسليمان ويرجع الأمر إلى المؤيد فلم يوافقه أحد ظنا منهم أن المؤيد قد مات . فلما أعياه الأمر احتال في الهرب ، فهرب سرا واختفى . دخل سليمان القصر وبايعه الناس بالخلافة في شوال سنة أربعمائة، وبقي بقرطبة أياما . وكان عدة القتلى بقنتيج (1) نحو خمسة وثلاثين ألفاً . وأغار البربر والروم على قرطبة ، فنهبوا وسبوا وأسروا عددا عظيما .

ذكر عود ابن عبد الجبار

وقتله وعود المؤيد

لما اختفى ابن عبد الجبار سار سرا إلى طليطلة وأتاه واضح الفتى العامري في أصحابه ، وجمع له النصارى، وسار بهم إلى قرطبة فخرج إليهم سليمان ، فالتقوا

(1) لم يذكر هذا الاسم في معجم البلدان لياقوت والذي فيه " قنتبش " بالشين المعجمة قال : هو اسم حبل غد وادي الحجارة من اعمال طليطلة .

بقرب عقبة البقر، واقتتلوا أشد قتال . فانهزم سليمان ومن معه منتصف شوال سنة أربعمائة . ومضى سليمان إلى شاطبة ودخل ابن عبد الجبار قرطبة، وجدد البيعة . لنفسه وجعل الحجابة لواضح وتصرف بالاختيار. ثم إن جماعة من الفتيان العامريين منهم عنبر، وخيرون ، وغيرهما، كانوا مع سليمان فأرسلوا إلى ابن عبد الجبار يطلبون قبول طاعتهم ، وأن يجعلهم في جملة رجاله فأجابهم إلى ذلك . وإنما فعلوا ذلك مكيدة به ليقتلوه . فلما دخلوا قرطبة استمالوا واضحا فأجابهم إلى قتله .

لا فلما كان تاسع ذي الحجة سنة أربعمائة اجتمعوا في القصر فملكوه وأخذوا ابن عبد الجبار أسيراً وأخرجوا المؤيد بالله ، فأجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه ، وأحضروا ابن عبد الجبار بين يديه ، فعدد ذنوبه عليه ثم قتل وطيف برأسه في قرطبة، وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة، وأمه أم ولد . وكان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث متاخرة، وإنما قدمناها لتعلق بعضها ببعض ولأن كل واحد منهم ليس له من طول المدة ما تؤخر أخباره وتفرق .

ذكر عود أبي المعالي بن سيف الدولة إلى ملك حلب

في هذه السنة عاد أبو المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان إلى ملك حلب. وكان سببه أن قرعويه لما تغلب عليها، أخرج منها مولاه أبا المعالي ، كما ذكرناه سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، فسار أبو المعالي إلى والدته بميافارقين ثم أتى حماة - وهي له - فنزل بها وكانت الروم قد خربت حمص وأعمالها - وقد ذكر أيضاً - فتزل إليه يارقتاش مولى أبيه - وهو بحصن برزوية - وخدمه وعمر له مدينة حمص ، فكثر أهلها . وكان قرعويه قد استناب بحلب مولى له اسمه بكجور فقوي بكجور واستفحل أمره ، وقبض على مولاه قرعويه ، وحبسه في قلعة حلب ، وأقام بها نحو ست سنين . فكتب من بحلب من أصحاب قرعويه إلى أبي المعالي بن سيف الدولة ليقصد حلب ويملكها، فسار إليها وحصرها أربعة أشهر، وملكها . س وبقيت القلعة بيد بكجور، فترددت الرسل بينهما، فاجاب إلى التسليم على أن يؤمنه في نفسه ، وأهله ، وماله ويوليه حمص . وطلب بكجور أن يحضر هذا الأمان والعهد وجوه بني كلاب . ففعل أبو المعالي ذلك ، وأحضرهم الأمان والعهد، وسلم قلعة حلب إلى أبي المعالي . وسار بكجور إلى حمص ، فولاها لأبي المعالي ، وصرف همته إلى عمارتها وحفظ الطرق . فازدادت

عمارتها وكثر الخير بها. ثم انتقل منها إلى ولاية دمشق على ما نذكره سنة ست وستين وسبعين وثلاثمائة .

ذكر ابتداء دولة آل سبكتكين

في هذه السنة ملك سبكتكين مدينة غزنة وأعمالها . وكان ابتداء أمره ، أنه كان من غلمان أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية، وكان مقدماً عنده وعليه مدار أمره . وقدم إلى بخارى أيام الأمير منصور بن نوح مع أبي إسحاق فعرفه أرباب تلك الدولة بالعقل ، والعفة ، وجودة الرأي ، والصرامة . وعاد معه إلى غزنة . فلم يلبث أبو إسحاق أن توفي ، ولم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم . فاجتمع عسكره ونظروا فيمن يلي أمرهم ، ويجمع كلمتهم فاختلفوا .

ثم اتفقوا على سبكتكين لما عرفوه من عقله ، ودينه ، ومروءته وكمال خلال الخير فيه ، فتدموه عليهم وولوه أمرهم ، وحلفوا له وأطاعوه . فوليهم وأحسن السيرة فيهم ، وساس أمورهم سياسة حسنة ، وجعل نفسه كأحدهم في لم الخال والمال ، وكان يدخر من أقطاعه ما يعمل منه طعاما لهم في كل أسبوع مرتين . ثم إنه جمع العساكر، وسار نحو الهند مجاهدا وجرى بينه وبين الهنود حرب يشيب لها الوليد. وكشف بلادهم وشن الغارات عليها وطمع فيها وخافه الهند . ففتح من بلادهم خصونا ومعاقل وقتل منهم ما لا يدخل تحت الإحصاء . واتفق له في بعض غزواته أن الهنود اجتمعوا في خلق كثير وطاولوه الأيام ، وماطلوه القتال ، فعدم الزاد عند المسلمين ، وعجزوا عن الامتيار. فشكوا إليه ما هم فيه فقال لهم : "إني استصحبت لنفسي شيئاً من السويق استظهاراً، وأنا أقسمه بينهم قسمة عادلة على السواء إلى أن يمن الله بالفرج ". فكان يعطي كل انسان منهم ملء قدح معه ، ويأخذ لنفسه مثل أحدهم فيجتزي به يوما وليلة، وهم مع ذلك يقاتلون الكفار، فرزقهم الله النصر عليهم والظفر بهم . فقتلوا منهم وأسروا خلقاً كثيراً .

ذكر ولاية سبكتكين على قصدار، وبست (1)

ثم ان سبكتكين عظم شأنه وارتفع قدره وحسن بين الناس لم ذكره وتعلقت الأطماع

(ا) قصدار: بالضم ثم السكون : ناحية مشهورة قرب غزنة . وبست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة .

بالاستعانة به . فاتاه بعض الأمراء الكبار- وهو صاحب بست - واسمه طغان مستعينا به مستنصرا . وسبب ذلك أنه خرج عليه أمير يعرف ببابي تور، فملك مدينة بست عليه وأجلاه عنها بعد حرب شديدة . فقصد سبكتكين مستنصراً به وضمن له مالا مقررا وطاعة يبذلها له ، فتجهز، وسار معه حتى نزل على بست . وخرج إليه بابي تور فقاتله قتالا شديدا . ثم انهزم بابي تور، وتفرق هو وأصحابه ، وتسلم طغان البلد، فلما استقر فيه طالبه سبكتكين بما استقر عليه من المال . فأخذ في المطل ، فاغلظ له في القول لكثرة مطله ، فحمل طغان جهله ، على أن سل السيف فضرب يد سبكتكين فجرحها، فاخذ سبكتكين السيف وضربه أيضاً فجرحه . وحجز العسكر بينهما وقامت الحرب على ساق ، فانهزم طغان واستولى سبكتكين على بست ، ثم إنه سار إلى قصدار، وكان متوليها قد عصي عليه لصعوبة مسالكها وحصانتها، وظن أن ذلك يمنعه ، فسار إليه جريدة مجداً فلم يشعر إلا والخيل معه ، فاخذ من داره ، ثم إنه من عليه ورده إلى ولايته وقرر عليه مالا يحمله اليه كل سنة .

ذكر مسير الهند إلى بلاد الإسلام وما كان منهم مع سبكتكين

لما فرغ سبكتكين من بست وقصدار غزا الهند فافتتح قلاعا حصينة على شواهق الجبال وعاد سالما ظافرا . ولما رأى جيبال ملك الهند ما دهاه ، وأن بلاده تملك من أطرافها أخذه ما قدم وحدث ، فحشد وجمع ، واستكثر من الفيول . وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين ، وقد باض الشيطان في رأسه وفرخ ، فسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره ،وخلق كثير من المتطوعة ، فالتقوا واقتتلوا أياما كثيرة ، وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لا تقبل نجساً ولا قذراً، وإذا ألقى فيها شيء من ذلك اكفهرت السماء وهبت الرياح ، وكثر الرعد والبرق والأمطار، ولا تزال كذلك إلى أن تطهر من الذي ألقي فيها. فأمر سبكتكين بالقاء نجاسة في تلك العين ، فجاء الغيم ،والرعد ، والبرق ، وقامت القيامة على الهنود لأنهم رأوا ما لم يروا مثله ، وتوالت عليهم الصواعق ، والأمطار واشتد البرد حتى هلكوا ، وعميت عليهم المذاهب واستسلموا لشدة ما عاينوه . وأرسل ملك الهند إلى سبكتكين يطلب الصلح ، وترددت الرسل فأجابهم إليه ، بعد امتناع من ولده محمود على مال يؤديه ، وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها اليه ، فاستقر ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد، وسير معه

سبكتكين من يتسلمها فإن المال والفيلة كانت معجلة . فلما أبعد جيبال ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه . فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر، وسار نحو الهند فاخرب كل ما مر عليه من بلادهم . وقصد لمغان (1) - وير من أحسن قلاعهم - فافتتحها عنوة، وهدم بيوت الأصنام ، وأقام فيها شعار الإسلام ، وسار عنها يفتح البلاد ويقتل أهلها . لخما بلغ ما أراده عاد إلى غزنة . فلما بلغ الخبر إلى جيبال سقط في يده وجمع العساكر، وسار في مائة ألف مقاتل . فلقيه سبكتكين وأمر أصحابه أن يتناوبوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك . فضجر الهنود من دوام القتال معهم ، وحملوا حملة واحدة، فعند ذلك اشتد الأمر وعظم الخطب . وحمل أيضاً المسلمون جميعهم واختلط بعضهم ببعض ، فانهزم الهنود وأخذهم السيف من كل جانب وأسر منهم ما لا يعد، وغنم أموالهم وأثقالهم ودوابهم الكثيرة . وذل الهنود بعد هذه الوقعة، ولم يكن لهم بعدها راية ورضوا بان لا يطلبوا في أقاصي بلادهم . ولما قوي سبكتكين بعد هذه الوقعة أطاعه الأفغانية والخلج وصاروا في طاعته .

ذكر ملك قابوس بن وشمكير جرجان

في هذه السنة توفي ظهير الدولة بيستون بن وشمكير بجرجان . وكان قابوس أخوه زائراً خاله رستم بجبل شهريار،وخلف بيستون ابناً صغيراً بطبرستان مع جده لأمه ، فطمع جده ان يأخذ الملك . فبادر إلى جرجان ، فرأى بها جماعة من القواد قد مالوا إلى قابوس فقبض عليهم . وبلغ الخبر إلى قابوس فسار إلى جرجان فلما قاربها خرج الجيش إليه وأجمعوا عليه وملكوه . وهرب من كان مع ابن بيستون فأخذه عمه قابوس ، وكفله وجعله أسوة أولاده ، واستولى على جرجان ، وطبرستان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في جمادى الأولى نقلت ابنة عز الدولة بختيار إلى الطائع لله ، وكان تزوجها.

وفيها توفي أبو الحسن محمد بن عبدالله بن زكريا بن حيويه في رجب (2).

(1) بفتح اوله وسكون ثانيه وعين معجمة بعدها ألف رنون ، وتسمى أيضاً لامغان من قرى غزنة .

(2) النيسابوري ثم المصري القاضي توفي وهو في عشر التسعين أو جازها .

وفي صفر منها توفي أبو الحسن علي بن وصيف الناشىء المعروف بالخلال صاحب المراثي الكثيرة في أهل البيت .

وفيها توفي أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي صاحب هجر(1) ، وجمان مولده سنة ثمانين ومائتين . وتولى أمر القرمطي بعده ستة نفر شركة، وسموا السادة وكانوا متفقين .

(1)هذا هو آخر القرامطة الذين تولوا الامر استقلالا وعند مرنه اغلقت الاسواق له بالكوفة ثلاثة أيام . البداية والنهاية 11 / 305 وشذرات الذهب 3/ 55.

ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة

ذكر استيلاء عضد الدولة على العراق

في هذه السنة سار عضد الدولة 9 إلى بغداد وأرسل إلى بختيار يدعوه إلى طاعته ،وأن يسير عن العراق إلى أي جهة أراد، وضمن مساعدته بما يحتاج إليه من مال ، وسلاح وغير ذلك . فاختلف أصحاب بختيار عليه في الإجابة إلى ذلك ، إلا أنه أجاب إليه لضعف نفسه ، فانفذ له عضد الدولة خلعة فلبسها . وأرسل إليه يطلب منه ابن بقية فقلع عينيه وأنفذه إليه . وتجهز بختيار بما أنفذه إليه عضد الدولة، وخرج عن بغداد عازما على قصد الشام . وسار عضد الدولة فدخل بغداد وخطب له بها، ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد ببغداد، وضرب على بابه ثلاثة نوب ، ولم تجر بذلك عادة من تقدمه . وأمر بأن يلقى ابن بقية بين قوائم الفيلة لتقتله ففعل به ذلك ، وخبطته الفيلة حتى قتلته . وصلب على رأس الجسر في شوال من هذه السنة . فرثاه أبو الحسين الأنباري بأبيات حسنة في معناها وهي :

- علو في الحياة وفي الممات لحق أنت إحدى المعجزات (1)
- كان الناس حولك حين قاموا وفود نداك أيام الصلات
- كأنك قائم (2)فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة
- مددت يديك نحوهم اقتفاء(3) كمدهما إليهم في الهبات (4)
- ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات

(1) في البداية والنهاية 11 /309 : " لحق " .

(2) في البداية والنهاية 11 /309 : " واقف " .

(3) في البداية والنهاية 11 / 309 : " احتفاء" .

(4) في البداية والنهاية 11 / 309 : " بالهبات " .

¬ أصاروا الجو قبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب السافيات (1)

⌐ لعظمك في النفوس تبيت ترعى بحراس وحفاظ ثقات

⊏ وتشعل عندك النيران ليلاً كذلك كنت أيام الحياة

⊐ ولم أر قبل جذعك قط جذعاً تمكن من عناق المكرمات

▭ ركبت مطية من قبل زيد علاها في السنين الذاهبات

وهي كثيرة، قوله : زيد علاها، يعني زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . لما قتل وصلب أيام هشام بن عبد الملك ، وقد ذكر. وبقي ابن بقية مصلوبا إلى أيام صمصام الدولة ، فأنزل من جذعه ودفن .

ذكر قتل بختيار

لما سار بختيار عن بغداد عزم على قصد الشام ومعه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان . فلما صار بختيار بعكبرا حسن له حمدان قصد الموصل ، وكثرة أموالها وأطمعه فيها وقال : إنها خير من الشام وأسهل . فسار بختيار نحو الموصل ، وكان عضد الدولة قد حلفه أنه لا يقصد ولاية أبي تغلب بن حمدان لمودة، ومكاتبة كانت بينهما فنكث وقصدها. فلما صار إلى تكريت أتته رسل أبي تغلب تسأله أن يقبض على أخيه حمدان ، ويسئمه إليه ، وإذا فعل سار بنفسه وعساكره إليه ، وقاتل معه عضد الدولة وأعاده إلى ملكه بغداد. فقبض بختيار على حمدان وسلمه إلى نواب أبي تغلب ، فحبسه في قلعة له . وسار بختيار إلى الحديثة واجتمع مع أبي تغلب ،وسارا جميعا نحو العراق . وكان مع أبي تغلب نحو من عشرين ألف مقاتل . وبلغ ذلك عضد الدولة، فسار عن بغداد نحوهما فالتقوا بقصر الجص بنواحي تكريت ثامن عشر شوال فهزمهما ، وأسر بختيار، وأحضر عند عضد الدولة فلم يأذن بإدخاله إليه وأمر بقتله فقتل ، وذلك بمشورة أبي الوفاء طاهر بن إبراهيم ، وقتل من أصحابه خلق كثير، واستقر ملك عضد الدولة بعد ذلك . وكان عمر بختيار ستا وثلاثين سنة، وملك إحدى عشرة سنة وشهورا .

ذكر استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان

لما انهزم أبو تغلب وبختيار سار عضد الدولة نحو الموصل فملكها ثاني عشر ذي

(1) هذان البيتان ذكرهما ابن تغرى بردى في آخر القصيدة .

القعدة ، وما يتصل بها وظن أبو تغلب أنه يفعل كما كان غيره يفعل ، يقيم يسيرا ثم يضطر إلى المصالحة ويعود . وكان عضد الدولة أحزم من ذلك ، فإنه لما قصد الموصل ، حمل معه الميرة ، والعلوفات ، ومن يعرف ولاية الموصل وأعمالها ، وأقام بالموصل مطمئنا وبث السرايا في طلب أبي تغلب ، فأرسل ابو تغلب يطلب أن يضمن البلاد فلم يجبه عضد الدولة إلى ذلك وقال : "هذه البلاد أحب إلي من العراق " . وكان مع أبي تغلب المرزبان بن بختيار، وأبو إسحاق وابو طاهر ابنا معز الدولة ووالدتهما وهي ام بختيار وأسبابهم . فسار أبو تغلب إلى نصيبين ، فسير عضد الدولة سرية عليها حاجبه أبو حرب طغان إلى جزيرة ابن عمر. وسير في طلب أبي تغلب سرية، واستعمل عليها أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار. فسار أبو تغلب ، فبلغ ميافارقين ، وأقام بها ومعه أهله . فلما بلغه مسير أبي الوفاء إليه سار نحو بدليس (1) ومعه النساء وغيرهن من أهله. ووصل أبو الوفاء الى ميافارقين ، فأغلقت دونه - وهي حصينة منيعة من حصون الروم القديمة - وتركها وطلب أبا تغلب ، وكان أبو تغلب قد عدل من أرزن الروم إلى الحسنية من أعمال الجزيرة وصد إلى قلعة كواشي وغيرها، من قلاعه وأخذ ماله من الأموال . وعاد أبو الوفاء إلى ميافارقين وحصرها .

ولما اتصل بعضد الدولة مجيء أبي تغلب إلى قلاعه ، سار إليه بنفسه فلم يدركه ، ولكنه استأمن إليه أكثر أصحابه . وعاد إلى الموصل وسير في أثر أبي تغلب عسكراً مع قائد من أصحابه يقال له : طغان . فتعسف أبو تغلب إلى بدليس وظن أنه لا يتبعه أحد فتبعه طغان فهرب من بدليس ، وقصد بلاد الروم ليتصل بملكهم المعروف بورد الرومي . وليس من بيت الملك وإنما تملك عليهم قهرا. واختلف الروم عليه ونصبوا غيره من أولاد ملوكهم فطالت الحرب بينهم ، فصاهر ورد هذا أبا تغلب ليتقوى به فقدر أن أبا تغلب احتاج إلى الاعتضاد به . ولما سار أبو تغلب من بدليس ، أدركه عسكر عضد الدولة وهم حريصون على أخذ ما معه من المال ، فإنهم كانوا قد سمعوا بكثرته . فلما وقعوا عليه نادى أميرهم ، لا تتعرضوا لهذا المال فهو لعضد الدولة ففتروا عن القتال . فلما رآهم أبو تغلب فاترين حمل عليهم ، فانهزموا فقتل منهم مقتلة عظيمة،

(ا) بدليس : بالفتح ثم السكون ، وكسر اللام وياء ساكنة وسين مهملة : بلدة من نواحى أرمينية قرب خلاط ذات بساتين كثيرة .

ونجا منهم ، فنزل بحصن زياد ويعرف الآن بخرتبرت . وأرسل ورد المذكور، فعرفه ما هو بصدده من اجتماع الروم عليه واستمده وقال : إذا فرغت عدت إليك . فسير إليه أبو تغلب طائفة من عسكره فاتفق أن وردا انهزم . فلما علم أبو تغلب بذلك يئس من نصره ، وعاد إلى بلاد الإسلام فنزل بأمد . وأقام بها شهرين إلى أن فتحت ميافارقين .

ذكر عدة حوادث

فيها ظهر بافريقية في السماء حمرة بين المشرق والشمال ، مثل لهب النار، فخرج الناس يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه . وكان بالمهدية زلازل وأهوال أقامت أربعين يوما حتى فارق أهلها منازلهم ، وأسلموا أمتعتهم .

وفيها سير العزيز بالله العلوي صاحب مصر، وأفريقية أميرا على الموسم ليحج بالناس ، وكانت الخطبة له بمكة . وكان الأمير على الموسم باديس بن زيري أخا يوسف بلكين خليفته بافريقية . فلما وصل إلى مكة أتاه اللصوص بها فقالوا له : نتقبل منك الموسم بخمسين ألف درهم ولا تتعرض لنا. فقال لهم : أفعل ذلك اجمعوا لي أصحابكم ، حتى يكون العقد مع جميعكم . فاجتمعوا ، فكانوا نيفا وثلاثين رجلاً فقال . هل بقي منكم أحد؟ فحلفوا أنه لم يبق منهم أحد فقطع أيديهم كلهم .

وفيها زادت دجلة زيادةً عظيمة وغرقت كثيرا من الجانب الشرقي ببغداد وغرقت أيضاً مقابر باب التبن بالجانب الغربي منها ، وبلغت السفينة أجرة وافرة ، وأشرف الناس على الهلاك ، ثم شر الماء فأمنوا. وفيها توفي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة ، وله نوادر مجموعة وعمره خمس وستون سنة .

وفيها خلع على القاضي عبد الجبار بن أحمد بالري ، وولي القضاء بها ربما تحت حكم مؤيد الدولة من ام جلاد - وهو من ائمة المعتزلة - ويرد في تراجم تصانيفه (1) قاضي القضاة - ويعني به قاضي قضاة أعمال الري - وبعض من لا يعلم ذلك يظنه قاضي القضاة مطلقا، وليس كذلك .

(1) من تصانيفه دلائل النبوة وعمدة الأدلة.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلاثمائة

ذكر فتح ميافارقين وآمد وغيرهما من ديار بكر على يد عضد الدولة

لما عاد أبو الوفاء من طلب أبي تغلب نازل ميافارقين ، وكان الوالي عليها هزارمرد، فضبط البلد وبالغ في قتال أبي الوفاء ثلاثة أشهر. ثم مات هزارمرد، فكوتب أبو تغلب بذلك ، فأمر أن يقام مقامه غلام من الحمدانية اسمه مؤنس ، فولي البلد . ولم يكن لأبي الوفاء فيه حيلة، فعدل عنه وراسل رجلا من أعيان البلد اسمه أحمد بن عبيد الله واستماله ، فأجابه . وشرع في استمالة الرعية إلى أبي الوفاء فأجابوه إلى ذلك وعظم أمره . وأرسل إلى مؤنس يطلب منه المفاتيح . فلم يمكنه لكثرة أتباعه ،فأنفذها إليه وسأله أن يطلب له الأمان . فأرسل أحمد بن عبيد الله إلى أبي الوفاء في ذلك ، فأمنه وأقن سائر أهل! البتد، ففتح له البلد وسلمه إليه ، وكان أبو الوفاء مدة مقامه على ميافارقين قد بث سراياه في تلك الحصون المجاورة لها، فافتتحها جميعها . فلما سمع أبو تغلب بذلك سار عن آمد نحو الرحبة هو وأخته جميلة، وأمر بعض أهله بالاستئمان إلى أبي الوفاء ففعلوا . ثم إن أبا الوفاء سار إلى آمد فحصرها. فلما رأى أهلها ذلك سلكوا مسلك أهل ميافارقين ، فسلموا البلد بالأمان فاستولى أبو الوفاء على سائر ديار بكر، وقصده أصحاب أبي تغلب وأهله مستأمنين إليه ، فأمنهم وأحسن إليهم وعاد إلى الموصل .

وأما أبو تغلب فإنه لما قصد الرحبة، أنفذ رسولا إلى عضد الدولة يستعطفه ، ويسأله الصفح ، فأحسن جواب الرسول وبذل له أقطاعاً يرضيه ، على أن يطأ بساطه ، فلم يجبه أبو تغلب إلى ذلك . وسار إلى الشام إلى العزيز بالله صاحب مصر.

ذكر فتح ديار مضر على يد عضد الدولة

كان متولي ديار مضر لأبي تغلب بن حمدان سلامة البرقعيدي ، فانفذ إليه سعد الدولة بن سيف الدولة من حلب جيشا فجرت بينهم حروب . وكان سعد الدولة قد كاتب عضد الدولة، وعرض نفسه عليه . فانفذ عضد الدولة النقيب أبا أحمد والد الرضي إلى البلاد التي بيد سلامة، فتسلمها بعد حرب شديدة، ودخل أهلها في الطاعة . فاخذ عضد الدولة لنفسه الرقة حسب ورد باقيها، إلى سعد الدولة، فصارت له ، ثم استولى عضد الدولة على الرحبة وتفرغ بعد ذلك لفتح قلاعه وحصونه -وهي قلعة كوشي - وكانت فيها خزائنه وأمواله ، وقلعة هرور(1) والملاسي (2) ، وبرقى والشعباني ، وغيرها من الحصون - فلما استولى على جميع أعمال أبي تغلب استخلف أبا الوفاء على الموصل (3)، وعاد إلى بغداد في سلخ ذي القعدة، ولقيه الطائع لله ، وجمع من الجند وغيرهم .

ذكر ولاية قسام دمشق (4)

لما فارق الفتكين دمشق كما ذكرناه ، تقدم على أهلها قسام ، وكان سبب تقدم قسام أن الفتكين قربه ووثق إليه وعول في كثير من أموره عليه فعلا ذكره وصيته وكثر أتباعه من الأحداث ، فاستولى على البلد وحكم فيه . وكان القائد أبو محمود قد عاد إلى البلد واليا عليه للعزيز، فلم يتم له مع قسام أمر، وكان لا حكم له . ولم يزل أمر قسام على دمشق ، نافذا ، وهو يدعو للعزيز بالله العلوي . ووصل إليه أبو تغلب بن حمدان صاحب الموصل منهزما كما ذكرناه ، فمنعه قسام من دخول دمشق ، وخافه على البلد أن يتولاه إما غلبة لاما بأمر العزيز. فاستوحش أبو تغلب ، وجرى بين أصحابه وأصحاب أبي

(1) في تجارب الامم " قلعة اهرور " بزيادة ألف وهو غلط .

(2) في تجارب الأمم " وقلعة مليصي " والذي في معجم البلدان لياقوت " مليص " موضع في ديار بكر بلفظ التصغير.

(3) في تجارب الأمم " خلف أبا الوفاء بالموصل لتهذيب المعاملات وترتيب العمال في الأعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين " الخ .

(4) نقل ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن عسكر أن أصله من قرية بلفيتا وكان ترابا . قلت : والعامة يسمونه قسيم الزبال وانما هو قسام ولم يكن زبالا بل ترابا من قرية تلفيتا بالقرب من قرية منين .

تغلب شيء من قتال فرحل أبو تغلب إلى طبرية، وورد من عند العزيز قائد اسمه الفضل (ا) في جيش ، فحصر قساماً بدمشق فلم يظفر به فعاد عنه .

وبقي قسام كذلك إلى سنة تسع وستين وثلاثمائة ، فسير من مصر أميرا إلى دمشق اسمه سلمان بن جعفر بن فلاح (2) فوصل إليها فنزل بظاهرها(3) ولم يتمكن من دخولها، وأقام في غير شيء ، فنهى الناس عن حمل السلاح فلم يسمعوا منه ، ووضع قسام أصحابه على سلمان (4)، فقاتلوه وأخرجوه من الموضع الذي كان فيه . وكان قسام بالجامع والناس عنده ، فكتب محضرا وسيره إلى العزيز، يذكر أنه كان بالجامع عند هذه الفتنة ولم يشهدها ، وبذل من نفسه أنه إن قصده عضد الدولة بن بويه أو عسكر له قاتله ومنعه من البلد . فأغضى العزيز لقسام على هذه الحال لأنه كان يخاف أن يقصد عضد الدولة الشام . فلما فارق سلمان دمشق عاد إليها القائد أبو محمود، ولا حكم له ، والحكم جميعه لقسام ، فدام ذلك .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كانت زلازل شديدة كثيرة ، وكان أشدها بالعراق .

وفيها توفي القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي النحوي مصنف شرح كتاب سيبويه ، وكان فقيها فاضلاً مهندساً منطقياً فيه كل فضيلة، وعمره أربع وثمانون سنة؛ وولي بعده أبو محمد بن معروف الحاكم بالجانب الشرقي ببغداد (5).

(1) قال ابن القلانس في ذيل تاريخ دمشق " وكان الفضل يهودياً أولا وكان أبوه طبيباً .

(2) في ذيل تاريخ دمشق " في أربعة آلاف من المغاربة " .

(3)في ذيل تاريخ دمشق " فنزل في بستان الوزير بزقاق الرمان وعسكر حوله ني دور هناك "

(4)وقع في ذيل تاريخ دمشق للقلانسي " سليمان " بزيادة ياء مثناة من تحت وهو غلط صححناه من تاريخ ابن عساكر.

(5) قال ياقوت : كان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه أبا سعيد عبد الله وكان أبو سعيد يدرس ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض . كان شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفة بالنحو، والفقه ،واللغة ،والشعر .

والعروض ، والقوافي ، والقراءات ، والفرائض ، والحديث ، والكلام ، والحساب ، والهندسة أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطا ولا عثر له على زلة .

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

ذكر قتل أبي تغلب بن حمدان

في هذه السنة في صفر قتل أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان . وكان سبب قتله أنه سار إلى الشام على ما تقدم ذكره ، ووصل إلى دمشق وبها قسام قد تغلب عليها كما ذكرناه . فلم يمكن أبا تغلب من دخولها فنزل بظاهر البلد ، وأرسل رسولا إلى العزيز بمصر يستنجده ليفتح له دمشق ، فوقع بين أصحابه وأصحاب قسام فتنة فرحل إلى نوى - وهي من أعمال دمشق - فأتاه كتاب رسوله من مصر يذكر أن العزيز يريد أن يحضر هو عنده بمصر ليسير معه العساكر، فامتنع وترددت الرسل ورحل إلى بحيرة طبرية.

وسير العزيز عسكرا إلى دمشق مع قائد اسمه الفضل فاجتمع بابي تغلب عند طبرية ، ووعده عن العزيز بكل ما أحب ، وأراد أبو تغلب المسير معه إلى دمشق ، فمنعه بسبب ا لفتنة ا لتي جرت بين أصحابه وأصحاب قسام ، لئلا يستوحش قسام وأراد أخذ البلد منه سلما . ورحل الفضل إلى دمشق فلم يفتحها . وكان بالرملة دغفل بن المفرج بن الجراح الطائي قد استولى على هذه الناحية، وأظهر طاعة العزيز من غير أن يتصرف بأحكامه ،وكثر جمعه وسار إلى احياء عقيل المقيمة بالشام ، ليخرجها من الشام فاجتمعت عقيل إلى أبي تغلب وسألته نصرتها، وكتب إليه دغفل يسأله أن لا يفعل . فتوسط أبو تغلب " الحال ، فرضوا بما يحكم به العزيز، ورحل أبو تغلب ، فنزل في جوار عقيل فخافه دغفل ، والفضل صاحب العزيز، وظنا أنه يريد أخذ تلك الأعمال .

ثم إن أبا تغلب سار إلى الرملة في المحرم سنة تسع وستين ، فلم يشك ابن الجراح والفضل ، أنه يريد حربهما - وكانا بالرملة - فجمع الفضل العساكر من السواحل ، وكذلك جمع دغفل من أمكنه جمعه وتصاف الناس للحرب ، فلما رأت عقيل كثرة

الجمع انهزمت ، ولم يبق مع أبي تغلب إلا نحو سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه ، فانهزم . ولحقه الطلب فوقف يحمي نفسه وأصحابه ، فضرب على رأسه ، فسقط وأخذ أسيرا وحمل إلى دغفل ، فأسره وكتفه . وأراد الفضل أخذه وحمله إلى العزيز بمصر، فخاف دغفل أن يصطنعه العزيز كما فعل بالفتكين ويجعله عنده فقتله . فلامه الفضل على قتله وأخذ رأسه وحمله إلى مصر، وكان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة، لا وزوجته ، وير بنت عمه سيف الدولة . فلما قتل حملهما بنو عقيل إلى حلب إلى سعد الدولة بن سيف الدولة . فاخذ أخته ، وسير جميلة إلى الموصل ،فسئمت إلى أبي الوفاء نائب عضد الدولة فأرسلها إلى بغداد، فاعتقلت في حجرة في دار عضد الدولة .

ذكر محاربة الحسن بن عمران بن شاهين مع جيوش عضد الدولة

في هذه السنة توفي عمران بن شاهين فجأة في المحرم ، وكانت ولايته بعد أن طلبه الملوك والخلفاء وبذلوا الجهد في أخذه ، وأعملوا الحيل أربعين سنة، فلم يقدرهم الله عليه ، ومات حتف أنفه . فلما مات ولي مكانه ابنه الحسن ، فتجدد لعضد الدولة طمع في أعمال البطيحة ، فجهز العساكر مع وزيره الطهر بن عبد الله ، فأمدهم بالأموال والسلاح ، والآلات ، وسار المطهر في صفر. فلما وصل شرع في سد أفواه الأنهار الداخلة في البطائح ، فضاع فيها الزمان والأموال . وجاءت المدود، وبثق الحسن بن عمران بعض تلك السدود، فأعانه الماء فقلعها، وكان المطهر إذا سد جانباً انفتحت عدة جوانب ثم جرت بينه وبين الحسن وقعة في الماء، استظهر عليه الحسن . وكان المطهر سريعا قد ألف المناجزة، ولم يألف المصابرة،فشق ذلك عليه .

وكان معه في عسكره أبو الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي فاتهمه بمراسلة الحسن ، لاطلاعه على أسراره . وخاف المطهر أن تنقص منزلته عند عضد الدولة ويشمت به أعداؤه ، كأبي الوفاء وغيره ،فعزم على قتل نفسه . فأخذ سكيناً وقطع شرايين ذراعه فخرج الدم منه فدخل فراش له ، فرأى الدم ، فصاح ، فدخل الناس ، فرأوه وظنوا أن أحدا فعل به ذلك فتكلم - وكان بآخر رمق - وقال :" إن محمد بن عمر أحوجني إلى هذا ". ثم مات وحمل إلى بلده كازرون فدفن فيها. وأرسل عضد الدولة من حفظ لعسكر وصالح الحسن بن عمران على مال يؤديه ، وأخذ رهائنه. وانفرد نصر بن هارون

بوزارة عضد الدولة - وكان مقيما بفارس - فاستخلف له عضد الدولة بحضرته أبا الريان أحمد بن محمد .

ذكر حرب بين بني شيبان وعسكر عضد الدولة

في هذه السنة في رجب سير عضد الدولة جيشا إلى بني شيبان ، وكانوا قد أكثروا الغارات على البلاد والفساد، وعجز الملوك عن طلبهم . وكانوا لمد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور مصاهرات . وكانت شهرزور ممتنعة على الملوك ، فأمر عضد الدولة عسكره بمنازلة شهرزور لينقطع لجمع بني شيبان عن التحصن بها . فاستولى أصحابه عليها وملكوها فهرب بنو شيبان . وسار العسكر في طلبهم وأوقعوا بهم وقعة عظيمة، قتل من بني شيبان فيها خلق كثير، ونهبت أموالهم ، ونساؤهم وأسر منهم ثمانمائة أسير، وحملوا إلى بغداد .

ذكر وصول ورد الرومي إلى ديار بكر وما كان منه

في هذه السنة وصل ورد الرومي إلى ديار بكر، مستجيرا بعضد الدولة وأرسل إليه يستنصره على ملوك الروم ، ويبذل له الطاعة إذا ملك وحمل الخراج . وكان سبب قدومه أن أرمانوس ملك الروم ، لما توفي خلف ولدين له صغيرين ، فملكا بعده . وكان تقفور- وهو حينئذ الدمستق - قد خرج إلى بلاد الإسلام فنكا فيها وعاد . فلما قارب القسطنطينية بلغه موت أرمانوس ، فاجتمع إليه الجند وقالوا له : إنه لا يصلح للنيابة عن الملكين - غيرك ، فإنهما صغيران فامتنع ، فألحوا عليه فأجابهم. وخدم الملكين وتزوج بوالدتهما ولبس التاج ، ثم إنه جفا والدتهما فراسلت ابن الشمشقيق في قتل تقفور، وإقامته مقامه فأجابها إلى ذلك . وسار إليها سرا هو وعشرة رجال ، فاغتالوا الدمستق فقتلوه . واستولى ابن الشمشقيق على الأمر وقبض على لاون أخي الدمستق وعلى ورديس بن لاون ، واعتقله في بعض القلاع . وسار إلى أعمال الشام فأوغل فيها ونال من المسلمين ما أراد . وبلغ إلى طرابلس فامتنع عليه أهلها فحصر"صم . وكان لوالدة الملكين أخ خصي – وهو حينئذ الوزير- فوضع على ابن الشمشقيق من سقاه سقا ، فالحا أحس به أسرع العود إلى القسطنطينية، فمات في طريقه .

وكان ورد بن منير من أكابر أصحاب الجيوش وعظماء البطارقة ، فطمع في الأمر

وكاتب أبا تغلب بن حمدان وصاهره واستجاش بالمسلمين من الثغور، فاجتمعوا عليه فقصد الروم . فاخرج إليه الملكان جيشا بعد جيش ، وهو يهزمهم فقوي جنانه ، وعظم شأنه . وقصد القسطنطينية فخافه الملكان فأطلقا ورديس بن لاون ، وقدماه على الجيوش وسيراه لقتال ورد. فاقتتلوا قتالا شديداً وطال الأمر بينهما . ثم انهزم ورد إلى بلاد الإسلام ، فقصد ديار بكر ونزل بظاهر ميافارقين . وراسل عضد الدولة وأنفذ إليه أخاه يبذل الطاعة والإستنصار به ، فأجابه إلى ذلك ووعده به .

ثم إن ملكي الروم راسلا عضد الدولة واستمالاه فقوي في نفسه ترجيح جانب الملكين ، وعاد عن نصرة ورد. وكاتب أبا علي التميمي - وهو حينئذ ينوب عنه بديار بكر- بالقبض علن ورد وأصحابه ، فشرع يدبر الحيلة عليه . واجتمع إلى ورد أصحابه وقالوا له : إن ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدولة ، وراسلوه في أمرنا ولا شك أنهم يرغبونه في المال وغيره فيسلمنا إليهم . والرأي أن نرجع إلى بلاد الروم على صلح إن امكننا أو على حرب نبذل فيها أنفسنا، فإما ظفرنا أو متنا كراما . فقال : ما هذا رأي ولا رأينا من عضد الدولة إلا الجميل ، ولا يجوز أن ننصرف عنه قبل أن نعلم ما عنده ففارقه كثير من أصحابه ، فطمع فيه أبو علي التميمي ، وراسله في الاجتماع ، فأجابه إلى ذلك . فلما اجتمع به قبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من اصحابه ، واعتقلهم بميافارقين ، ثم حملهم الى بغداد . فبقوا في الحبس إلى أن فرخ الله عنهم ، على ما نذكره ، وكان قبضه سنة سبعين وثلاثمائة .

ذكر عمارة عضد الدولة بغداد

في هذه السنة شعر عضد الدولة في عمارة بغداد -وكانت قد خربت بتوالي الفتن فيها - وعقر مساجدها وأسواقها وأدر الأموال على الأئمة ، والمؤذنين ، والعلماء ، والقراء ، والغرباء ، والضعفاء ، الذين يأوون إلى المساجد . والزم أصحاب الأملاك الخراب بعمارتها، وجدد ما دثر من الأنهار وأعاد حفرها وتسويتها . وأطلق مكوس الحجاج وأصلح الطريق من العراق إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، وأطلق الصلات لأهل البيوتات والشرف ، والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة ، وفعل مثل ذلك بمشهد علي والحسين عليهما السلام . وسكن الناس من الفتن ، وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاة والشعراء والنسابين والأطباء والحساب

والمهندسين ، وأذن لوزيره نصر بن هارون - وكان نصرانيا - في عمارة البيع والديرة وإطلاق الأموال لفقرائهم .

ذكر وفاة حسنويه الكردي

في هذه السنة توفي حسنويه بن الحسين الكردي البرزيكاني بسرماج ،وكان أميراً على جيش من البرزيكان يسمون البرزينية . وكان خالاه ونداد، وغانم ابنا أحمد أميرين على صنف آخر منهم يسمون العيشانية ، وغلبا على أطراف نواحي الدينور، وهمذان ، ونهاوند والصامغان وبعض أطراف اذربيجان إلى حد شهرزور نحو خمسين سنة ، وكان يقود كل واحد منهما عدة ألوف . فتوفي غانم سنة خمسين وثلاثمائة فكان ابنه أبو سالم ديسم بن غانم مكانه بقلعته قسنان إلى أن أزاله أبو الفتح بن العميد . واستصفى قلاعه المسماة قسنان وغانم أباذ وغيرهما، وتوفي ونداد بن أحمد سنة تسع وأربعين ، فقام مقامه ابنه ابو الغنائم عبد الوهاب إلى أن أسره الشاذنجان ، وسلموه إلى حسنويه .

فأخذ قلاعه وأملاكه ، وكان حسنويه مجدوداً، حسن السياسة والسيرة ، ضابطا لأمره ،ومنع أصحابه من التلصص، وبنى قلعة سرماج بالصخور المهندمة وبنى بالدينور جامعا على هذا البناء، وكان كثير الصدقة بالحرمين إلى أن مات في هذه السنة، وافترق أولاده من بعده ، فبعضهم انحاز إلى فخر الدولة ، وبعضهم إلى عضد الدولة وهم أبو العلاء وعبد الرزاق ، وأبو النجم بدر، وعاصم ،وأبو عدنان وبختيار وعبد الملك .

وكان بختيار بقلعة سرماج ومعه الأموال والذخائر. فكاتب عضد الدولة ورغب في طاعته ، ثم تلون عنه وتغير. فسير عضد الدولة إليه جيشا فحصره ، وأخذ قلعته وكذلك قلاع غيره من إخوته . واصطنع من بينهم أبا النجم بدر بن حسنويه وقواه بالرجال ،فضبط تلك النواحي وكف عادية من بها من الأكراد، واستقام أمره ، وكان عاقلاً

ذكر قصد عضد الدولة أخاه فخر الدولة وأخذ بلاده

في هذه السنة سار عضد الدولة إلى بلاد الجبل ، فاحتوى عليها . وكان سبب ذلك أن بختيار بن معز الدولة، كان يكاتب ابن عمه فخر الدولة بعد موت ركن الدولة، ويدعوه إلى الاتفاق معه على عضد الدولة، فاجاب إلى ذلك واتفقا . وعلم عضد الدولة به فكتم ذلك إلى الآن . فلما فرغ من أعدائه كأبي تغلب وبختيار وغيرهما، ومات

حسنويه بن الحسين ، ظن عضد الدولة أن الأمر ينصلح بينه وبين أخويه ، فراسل أخويه ا فخر الدولة ومؤيد الدولة، وقابوس بن وشمكير. فأما رسالته إلى أخيه مؤيد الدولة، فيشكره على طاعته وموافقته ، فانه كان مطيعا له غير مخالف . وأما إلى فخر الدولة أ فيعاتبه ويستميله ويذكر له ما يلزمه به الحجة، وأما إلى قابوس فيشير عليه بحفظ العهود التي بينهما . فاجاب فخر الدولة جواب المناظر المناوي ونسي كبر السن وسعة الملك ، وعهد أبيه ، وأما قابوس فاجاب جواب المراقب . وكان الرسول خواشاده – وهو من أكابر أصحابه - فاستمال أصحاب فخر الدولة ، فضمن لهم الإقطاعات ، وأخذ عليهم العهود. فلما عاد الرسول برز عضد الدولة من بغداد على عزم المسير إلى الجبل وإصلاح تلك الأعمال . وابتدأ، فقدم العساكر بين يديه يتلو بعضها بعضا، منهم أبو الوفاء على عسكر، وخواشاده على عسمكر، وأبو الفتح المظفر بن محمد في عسكر. فسارت هذه العساكر وأقام هو بظاهر ببغداد . ثم سار عضد الدولة فلقيه البشائر بدخول جيوشه همذان ، واستئمان العدد الكثير من قواد فخر الدولة ، ورجال حسنويه .

ووصل إليه أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير فخر الدولة ومعه جماهير أصحابه ، فانحل أمر فخر الدولة، وكان بهمذان ، فخاف من أخيه وتذكر قتل ابن عمه بختيار، فخرج هاربا وقصد بلد الديلم . ثم خرج منها إلى جرجان فنزل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير، والتجأ إليه فأمنه وآواه ، وحمل إليه فوق ما حدثت به نفسه ، وشركه فيما تحت يده من ملك وغيره . وملك عضد الدولة ما كان بيد فخر الدولة همذان والري وما بينهما من البلاد وسلمها إلى أخيه مؤيد الدولة بويه ، وجعله خليفته ونائبه في تلك البلاد. ونزل الري واستولى على تلك النواحي . ثم عرج عضد الدولة إلى ولاية حسنويه الكردي ، فقصد نهاوند وكذلك الدينور وقلعة سرماج ، وأخذ ما فيها من ذخائر حسنويه ، وكانت جليلة المقدار وملك معها عدة من قلاع حسنويه . ولحقه في هذه السفرة صرع ، وكان هذا قد أخذه بالموصل وحدث به فيها فكتمه . وصار كثير النسيان لا يذكر الشيء إلا بعد جهد، وكتم ذلك أيضاً وهذا دأب الدنيا لا تصفو لأحد . وأتاه أولاد حسنويه فقبض على عبد الرزاق وأبي العلاء، وأبي عدنان ، وأحسن إلى بدر بن حسنويه وخلع جمليه وولاه رعاية الأكراد . هذا آخر ما في تجارب الأمم ، تأليف أبى على بن مسكويه .

ذكر ملك عضد الدولة بلد الهكارية وما معها

في هذه السنة سير عضد الدولة جيشا إلى الأكراد الهكارية من أعمال الموصل ،فأوقع بهم وحصر قلاعهم وطال مقام الجند في حصرها . وكان من بالحصون من الأكراد ينتظرون نزول الثلج لترحل العساكر عنهم ، فقذر الله تعالى ، أن الثلج تأخر نزوله في تلك السنة . فأرسلوا يطلبون الأمان فأجيبوا إلى ذلك وسئموا قلاعهم ، ونزلوا مع العسكر إلى الموصل ، فلم يفارقوا أعمالهم غير يوم واحد حتى نزل الثلج . ثم إن مقدم الجيش غدر بهم وصلبهم على جانبي الطريق من معلثايا إلى الموصل ، نحو خمسة فراسخ وكف الله شرهم عن الناس .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ورد رسول العزيز بالله صاحب مصر إلى عضد الدولة برسائل أداها.

وفيها قبض عضد الدولة على محمد بن عمر العلوي وأنفذ إلى فارس . وكان سبب قبضه ما تكلم به المطهر في حقه عند موته ، وأرسل إلى الكوفة فقبض أمواله ، فوجد له من المال والسلاح والذخائر ما لا يحصى ، واصطنع عضد الدولة أخاه أبا الفتح أحمد وولاه الحج بالناس .

وفيها تجددت وصلة بين الطائع لله وبين عضد الدولة، فتزوج الطائع ابنته . وكان غرض عضد الدولة أن تلد ابنته ولداً ذكراً فيجعله ولي عهده ، فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب ، وكان الصداق مائة ألف دينار(1) .

وفيها كانت فتنة عظيمة بين عامة شيراز من المسلمين وبين المجوس ، نهبت فيها دور المجوس ، وضربوا وقتل منهم جماعة . فسمع عضد الدولة الخبر فسير إليهم بن جمع كل من له أثر في ذلك وضربهم وبالغ في تأديبهم وزجرهم .

(1) وزاد ابن كثير : "وكان وكيل عضد الدولة أبا علي الحسين بن أحمد الفارسي صاحب الايضاح والتكملة . وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي ابو علي الحسن بن علي التوخي " . البداية والنهاية 11 / 315 ط . دار النهب العلمية بيروت .

، وفيها أرسل سرية إلى عين التمر، وبها ضبة بن محمد الأسدي ، وكان يسلك سبيل اللصوص ، وقطاع الطريق ، فلم يشعر إلا والعساكر معه . فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريداً. وأخذ ماله وأهله وملكت عين التمر. وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين صلوات الله عليه ،فعوقب بهذا.

وفيها قبض عضد الدولة على النقيب أبي أحمد الحسين الموسوي والد الشريف الرضي (ا)، وعلى أخيه أبي عبد الله ، وعلى قاضي القضاة أبي محمد وسير إلى فارس ، واستعمل على قضاء القضاة أبا سعد بشر بن الحسين –وهو شيخ كبير-وكان مقيما بفارس واستناب على القضاء ببغداد .

وفيها توفي أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد بن محمد بن عطاء الروذباري الصوفي بنواحي عكا، وكان قد انتقل من بغداد إلى الشام (2).

وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن عيسى بن عمرويه أبو أحمد الجلودي الزاهد، راوي صحيح مسلم عن ابن سفيان ، ودفن بالحيرة في نيسابور، وله ثمانون سنة، -(الجلودي) بفتح الجيم وقيل بضمها وهو قليل ، والحيرة بكسر الحاء المهملة وبالراء المهملة وهي محلة بنيسابور-

وفيها توفي أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس اللغوي (3) صاحب كتاب المجمل وغيره ، له شعر . فمن ذلك قوله قبل وفاته بيومين :

(1) قال ابن كثير في البداية والنهاية 11 / 314 " اتهم بأنه يفشي الاسرار وان عز الدولة اودع عنده عقداً ثميناً ووجدوا كتاباً بخطه في افشاء الاسرار فأنكر أنه خطه وكان مزوراً عليه واعترف بالعقد فأخذ منه وعزل عن النقابة وولوا غيره . وكان مظلوماً ".

(2) قال الخطيب : نشأ ببغداد واقام بها دهراً طويلاً ثم انتقل فنزل صور من ساحل بلاد الشام . مات بقرية بين عكا وصور يقال لها منواث من عمل عكا وحمل إلى صفد فدفن بها . تاريخ بغداد 4 /336 - 337 .

(3) هكذا في الاصول ا ابو الحسين احمد بن زكريا بن فارس اللغوي) والذي في بغية الوعاة (1 /352) أن الذي ألف كتاب المجمل في اللغة هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني . وكذلك في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان . وأن وفاته بعد التسعين ، وعبارة ابن تغرى بردى في

النجوم الزاهرة . " وفيها توفي فارس بن زكريا والد ابن فارس أي الحسين اللغوي صاحب كتاب . المجمل في اللغة . ولعل ما ذكره ابن تغرى بردى أقرب الى الصحة فيكون التوفي والد صاحب المجمل لا هو، الا أني لم أجد لابنه هذا ترجمة في بغية الوعاة ولا في ابن خلكان . والله اعلم .

¬ يا رب إن ذنوبي قد أحطت بها علما وبي وبإعلاني وإسراري

⌐ أنا الموحد لكني المقر بها فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري

وفي "شوال توفي أبو الحسن ثابت بن إبراهيم الحراني المتطبب الصابي ، ومولده بالرقة سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وكان عارفا حاذقا في الطب .

ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة

ذكر اقطاع مؤيد الدولة همذان

هذه السنة أرسل الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد إلى عضد الدولة بهمذان رسولا من عند أخيه مؤيد الدولة ، يبذل له الطاعة والموافقة . فالتقاه عضد الدولة بنفسه وأكرمه ، وأقطع أخاه مؤيد الدولة همذان وغيرها . وأقام عند عضد الدولة إلى أن عاد إلى بغداد، فرده إلى مؤيد الدولة ، فاقطعه اقطاعا كثيرة وسير معه عسكرا يكون عند مؤيد الدولة في خدمته .

ذكر قتل أولاد حسنويه سوى بدر

لما خلع عضد الدولة علي بدر، وأخويه عاصم ، وعبد الملك ، وفضل بدرا عليهما ، وولاه الأكراد ، حسده أخواه ، فشقا العصا وخرجا عن الطاعة . واستمال عاصم جماعة الأكراد المخالفين ، فاجتمعوا عليه . فسير إليه عضد الدولة عسكراً ،فأوقعوا بعاصم ومن معه فانهزموا . وأسر عاصم وأدخل همذان على جمل ، ولم يعرف له خبر بعد ذلك اليوم ؟ وقتل أولاد حسنويه إلا بدرا ، فانه ترك على حاله وأثر على عمله ، وكان عاقلا لبيبا حازما كريما، حليما، وسيرد من أخباره ما يعلم به ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر ملك عضد الدولة قلعة سندة وغيرها

وفيها استولى عضد الدولة على قلاع أبي عبدالله المري بنواحي الجبل وكان منزله بسندة، وله فيها مساكن نفيسة . وكان قديم البيت ، فقبض عليه وعلى أولاده واعتقلهم . فبقوا كذلك إلى أن أطلقهم الصاحب بن عباد فيما بعد، واستخدم ابنه أبا طاهر، واستكتبه ، وكان حسن الخط واللفظ .

في هذه السنة سيرت العساكر من مصر لقتال المفرج بن جراح ، وسبب ذلك أن ابن جراح عظم شانه بأرض فلسطين ، وكثر جمعه وقويت شوكته ، وبالغ هو في العيث والفساد وتخريب البلاد، فجهز العزيز بالله العساكر وسيرها وجعل عليها القائد بلتكين (1) التركي . فسار إلى الرملة واجتمع إليه من العرب من قيس وغيرها جمع كثير. وكان مع ابن جراح جمع يرمون بالنشاب ويقاتلون قتال الترك ، فالتقوا ، ونشبت الحرب بينهما، وجعل بلتكين كمينا، فخرج على عسكر ابن جراح من وراء ظهورهم عند اشتداد الحرب ، فانهزموا ، وأخذتهم سيوف المصريين ، ومضى ابن جراح منهزما إلى أنطاكية ، فاستجار بصاحبها فأجاره ، وصادف خروج ملك الروم (2) من القسطنطينية في عساكر عظيمة يريد بلاد الإسلام فخاف ابن جراح ، وكاتب بكجور بحمص والتجأ إليه . وأما عسكر مصر فإنهم نازلوا دمشق مخادعين لقسام لم يظهروا له ، إلا إنهم جاؤوا لإصلاح البلد ، وكف الأيدي المتطرقة إلى الأذى.

وكان القائد أبو محمود قد مات سنة سبعين – وهو والي البلد ولا حكم له ، وإنما الحكم لقسام - فلما مات ، قام بعده في الولاية جيش بن الصمصامة - وهو ابن أخت أبي محمود- فخرج إلى بلتكين - وهو يظن أنه يريد إصلاح البلد - فأمره أن يخرج هو ومن معه ، وينزلوا بظاهر البلد ففعلوا . وحذر قسام وأمر من معه بمباشرة الحرب ، فقاتلوا دفعات عدة ، فقوي عسكر بلتكين ، ودخلوا أطراف البلد ، وملكوا الشاغور، وأحرقوا ونهبوا . فاجتمع مشايخ البلد عند قسام ، وكلموه في أن يخرجوا إلى بلتكين ، ويأخذوا أمانا لهم وله ، فانخذل وذل وخضع بعد تجبره وتكبره . وقال : افعلوا ما شئتم . وعاد اصحاب قسام إليه فوجدوه خائفا ملقيا بيده ، فاخذ كل لنفسه . وخرج شيوخ البلد إلى بلتكين فطلبوا منه الأمان لهم ولقسام فأجابهم إليه وقال : أريد اتسلم البلد اليوم ، فقالوا : افعل ما تؤمر. فأرسل واليا يقال له ابن خطلخ ومعه خيل ورجل. وكان مبدأ هذه الحرب والحصر في المحرم سنة سبعين لعشر بقين منه والدخول إلى البلد لثلاث بقين منه . ولم

(ا)في بعض النسخ " يلتكين " بالياء المثناة من تحت في أوله وكذا فيما يأتي وما هنا مرافق لما في القلانسي . وفي النجوم الزاهرة " يكتكين " بكافين .

(2) اسمه كما ني القلانسي - تادرس -

يعرض لقسام ولا لأحد من أصحابه . وأقام قسام في البلد يومين ، ثم استتر فأخذ كل ما في داره وما حولها من دور أصحابه وغيرهم . ثم خرج إلى الخيام ، فقصد حاجب بلتكين وعرفه نفسه فأخذه وحمله إلى بلتكين ، فحمله بلتكين إلى مصر ، فأطلقه العزيز واستراح الناس من تحكمه عليهم ، وتغلبه بمن تبعه من الأحداث من أهل العيث والفساد .

ذكر عدة حوادث

وفيها توفي علي بن محمد الأحدب المزور، وكان يكتب على خط كل واحد فلا يشك المكتوب عنه أنه خطه . وكان عضد الدولة إذا أراد الإيقاع بين الملوك ، أمره م ن يكتب على خط بعضهم إليه في الموافقة على من يريد إفساد الحال بينهما، ثم يتوصل ليصل المكتوب اليه فيفسد الحال ، وكان هذا الأحدب ربما ختمت يده لهذا السبب .

وفيها زادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت المألوف ،وغرق كثير من الغلات ، وتمردت الصراة وخربت قناطرها العتيقة والجديدة ، وأشفى أهل الجانب الغربي من بغداد على الغرق . وبقيت الزيادة بها وبدجلة ثلاثة أشهر ثم نقصت .

وفيها زفت ابنة عضد الدولة إلى الخليفة الطائع ، ومعها من الجواهر شيء لا يحصى .

وفيها ورد على عضد الدولة هدية من صاحب اليمن ، فيها قطعة واحدة من عنبر،وزنها ستة وخمسون رطلا. وحج بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر بن يحيى العلوي ، وخطب بمكة والمدينة للعزيز بالله صاحب مصر العلوي .

وفيها توفي أبو بكر أحمد بن علي الرازي إمام الفقهاء الحنفية في زمانه ، وطلب ليلي قضاء القضاة، فامتنع وهو من أصحاب الكرخى.

وفيها توفي الزبير بن عبد الواحد بن موسى أبو يعلى البغدادي . سمع البغوي ،وابن صاعد وسافر إلى أصبهان ، وخراسان وأذربيجان وغيرها ، وسمع فيها الكثير، وتوفي بالموصل هذه السنة . ومحمد بن جعفر بن الحسين بن محمد أبو بكر المفيد- المعروف بغندر- توفي بمفازة بخارى، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس ، وأبو محمد علي بن الحسن الأصبهاني ،والحسن بن بشر الآمدي .

وفيها توفي القائد أبو محمود إبراهيم بن جعفر والي دمشق للعزيز وقام بعده .

ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثلاثمائة

ذكر عزل ابن سيمجور عن خراسان

في هذه السنة عزل أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان ، واستعمل عوضه حسام الدولة أبو العباس تاش . وكان سبب ذلك أن الأمير نوح بن منصور لما ملك خراسان وما وراء النهر- وهو صبي - استوزر أبا الحسين العتبي فقام في حفظ الدولة القيام المرضي . وكان محمد بن سيمجور قد استوطن خراسان وطالت أيامه فيها فلا يطيع إلا فيما يريد . فعزله أبو الحسين العتبي عنها واستعمل مكانه حسام الدولة أبا العباس تاش ، وسيره من بخارى إلى نيسابور، في هذه السنة . فاستقر بها ودبر خراسان ، ونظر في أمورها وأطاعه جندها .

ذكر استيلاء عضد الدولة على جرجان

في هذه السنة في جمادى الآخرة استولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان وأجل عنها صاحبها قابوس بن وشمكير. وسبب ذلك أن عضد الدولة لما استولى على بلاد أخيه فخر الدولة، إنهزم فخر الدولة فلحق بقابوس كما ذكرناه -وبلغ ذلك عضد الدولة ، فأرسل إلى قابوس يبذل له الرغائب من البلاد والأموال والعهود وغير ذلك ، ليسلم إليه أخاه فخر الدولة، فامتنع قابوس من ذلك ولم يجب إليه . فجهز عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة ، وسيره ومعه العساكر، والأموال ، والعدد إلى جرجان . وبلغ الخبر قابوساً فسار إليه فلقيه بنواحي أستراباذ، فاقتتلوا من بكرة إلى الظهر. فانهزم قابوس وأصحابه في جمادى الأولى . وقصد قابوس بض قلاعه التي فيها ذخائره وأمواله ، فاخذ ما أراد، وسار نحو نيسابور. فلما وردها لحق به فخر الدولة ، وانضم إليهما من تفرق بن أصحابهما . وكان وصولهم إليها عند ولاية حسام الدولة أبي العباس

تاش خراسان . فكتب حسام الدولة إلى الأمير أبي القاسم نوح بن منصور يعرفه خبر وصولهما . وكتبا أيضاً إلى نوح يعرفانه حالهما ويستنصرانه على مؤيد الدولة . فوردت كتب نوح على حسام الدولة ، يأمره بإجلال محلهما وإكرامهما وجمع العساكر والمسير معهما،وإعادتهما إلى ملكهما . وكتب وزيره أبو الحسين بذلك أيضاً .

ذكر مسير حسام الدولة وقابوس إلى جرجان

فلما وردت الكتب من الأمير نوح على حسام الدولة بالمسير بعساكر خراسان جميعها مع فخر الدولة، وقابوس ، جمع العساكر وحشد . فاجتمع بنيسابور عساكر سدت الفضاء ، وساروا نحو جرجان ، فنازلوها وحصروها ، وبها مؤيد الدولة ومعه من عساكره وعساكر أخيه عضد الدولة جمع كثير، إلا أنهم لا يقاربون عساكر خراسان . فحصرهم حسام الدولة شهرين يغاديهم القتال ويراوحهم . وضاقت الميرة على أهل جرجان حتى كانوا يأكلون نخالة الشعير معجونة بالطين . فلما اشتد عليهم الأمر خرجوا من جرجان ، في شهر رمضان على عزم صدق القتال إما لهم وإما عليهم . فلما رآهم خراسان ، ظنوها كما تقدم من الدفعات يكون قتال ثم تحاجز، فالتقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ،فرأوا الأمر خلاف ما ظنوه .

وكان مؤيد الدولة قد كاتب بعض قواد خراسان يسمى فائق الخاصة وأطمعه ورغبه ،فأجابه إلى الانهزام عند اللقاء . وسيرد من أخبار فائق هذا ما يعرف به محله من الدولة . فلما خرج مؤيد الدولة هذا اليوم ، حمل عسكره على فائق وأصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعه الناس وثبت فخر الدولة، وحسام الدولة في القلب ، واشتد القتال إلى آخر النهار . فلما رأوا تلاحق الناس في الهزيمة ، لحقوا بهم وغنم أصحاب مؤيد الدولة منهم ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وأخذوا من الأقوات شيئاً كثيراً .

وعاد حسام الدولة ، وفخر الدولة ، وقابوس إلى نيسابور، وكتبوا إلى بخارى بالخبر، فاتاهم الجواب يمنيهم وبعدهم ، بإنفاذ العساكر والعود إلى جرجان والري . وأمر الأمير نوح سائر العساكر بالمسير إلى نيسابور فأتوها من كل حدب ينسلون . فاجتمع بظاهر نيسابور من العساكر أكثر من المرة الأولى ، وحسام الدولة ينتظر تلاحق الإمداد تيسير بهم . فأتاهم الخبر بقتل الوزير أبي الحسين العتبي ، فتفرق ذلك الجمع ، وبطل ذلك التدبير، وكان سبب قتله أن أبا الحسن بن سيمجور وضع جماعة من المماليك

على قتله فوثبوا فقتلوه . فلما قتل ، كتب الرضي نوح بن منصور إلى حسام الدولة يستدعيه إلى بخارى ليدبر دولته ،ويجمع ما انتشر منها بقتل أبي الحسن ، فسار عن نيسابور إليها، وقتل من ظفر به من قتلة أبي الحسين . وكان قتله سنة اثنتين وسبعين .

ذكر قتل الأمير أبي القاسم أمير صقلية وهزيمة الفرنج

في هذه السنة في ذي القعدة سار الأمير أبو القاسم أمير صقلية من المدينة يريد الجهاد . وسبب ذلك أن ملكا من ملوك الفرنج يقال له ، بردويل ، خرج في جموع كثيرة من الفرنج إلى صقلية فحصر قلعة مالطة، وملكها وأصاب سريتين للمسلمين . فسار الأمير أبو القاسم بعساكره ليرحله عن القلعة . فلما قاربها خاف وجبن فجمع وجوه أصحابه وقال لفم : " إني راجع من مكاني هذا فلا تكسروا علي رأي " . فرجع هو وعساكره .

وكان أسطول الكفار يساير المسلمين في البحر، فلما رأوا المسلمين راجعين أرسلوا إلى بردويل ملك الروم ، يعلمونه ويقولون له : " إن المسلمين خائفون منك ،فالحق بهم ، فإنك تظفر " . فجرد الفرنجي عسكره من أثقالهم ، وسار جريدة وجد ني السير، فأدركهم في العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين ، فتعبى المسلمون للقتال ، واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والأعلام ، فشقوا العسكر ووصلوا إليها ، وقد تفرق كثير من المسلمين عن أميرهم ، واختل نظامهم . فوصل الفرنج إليه فأصابته ضربة على أم رأسه ، فقتل وقتل معه جماعة من أعيان الناس وشجعانهم .

ثم إن المنهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليظفروا أو يموتوا، واشتد حينئذ الأمر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج أقبح هزيمة ، وقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل وأسر من بطارقتهم كثير. وتبعوهم إلى أن أدركهم الليل وغنموا من أموالهم كثيرا، وأفلت ملك الفرنج هاربا ومعه رجل يهودي كان خصيصا به ، فوقف فرس الملك فقال له اليهودي : " اركب فرسي ، فإن قتلت فأنت لولدي " . فركبه الملك وقتل اليهودي . فنجا الملك إلى خيامه وبها زوجته وأصحابه فأخذهم وعاد إلى رومية ، ولما قتل الأمير أبو القاسم كان معه ابنه جابر، فقام مقام أبيه ورحل بالمسلمين لوقتهم ، ولم يمكنهم من اتمام الغنيمة فتركوا كثيراً منها . وسأله أصحابه أن يقيم إلى أن يجمع

السلاح وغيره ، ويعمر به الحزائن فلم يفعل . وكانت ولاية أبي القاسم على صقلية اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وكان عادلاً حسن السيرة، كثير الشفقة على رعيته والإحسان إليهم ، عظيم الصدقة ، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولا عقاراً ، فإنه كان قد ث قف جميع أملاكه على الفقراء وأبواب البر.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع حريق بالكرخ ببغداد، فاحترق فيها مواضع كثيرة هلك فيها خلق كثير من الناس . وبقي الحريق اسبوعاً"

وفيها قبض عضد الدولة على القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي ، والزمه منزله وعزله عن أعماله التي كان يتولاها. وكان حنفي المذهب شديد التعصب على الشافعي يطلق لسانه فيه قاتله الله (1).

(1) وسبب ذلك على ما حكاه في ذيل تجارب الامم " كان التنوخي مع عضد الدولة بهمذان فاتفق يوماً أنه مضى إلى أبي بكر بن شاهويه - وكان مديته - ومعه أبو علي الهائم فجلسا يتحدثان ني خركاه - وابو علي على بابها- وقال ابن شاهويه للتنوخي : أيها القاضى اجعل في نفسك المقام في هذا البلد مدة هذه الشتوة فقال : لم ؟ قال : لان عضد الدولة يدبر في القبض على ابن عباد – وكان قد ورد إلى حضرته – فانصرف التنوخي من عنده فقال له أبو علي الهائم : قد سمعت ما كنتما فيه وهذا امر ينبغي أن تطويه ولا تخرج إلى احد به ولا سيما إلى أبي الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي فتال التنوخي : افعل ، ونزل إلى خيمته وجاءه من كانت عادته جارية بملازمته ومؤاكلته ومشاربته – وفيهم ابو الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي – فتال له : مالي أراك أيها القاضى مشغول القلب ؟ فاسترسل وقال له : أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل على كذا في أمر الصاحب . وهذا دليل على تطاول السفر ولم يتمالك أن انصرف واستدعى ركابياً من ركابية القاضي التنوخي وقال له : أين كنتم اليوم ؟ فقال : عند أبي بكر ابن شاهويه فكتب إلى عضد الدولة – رقعة يقول فيها : كنت عند التنوخي فقال لي : كذا وكذا – وذكر أنه عرفه من حيث لا يشك فيه –وعرفت أنه كان عند أبي بكر بن شاهويه . وربما كان لهذا الحديث أصل فاذا ذاع السر فيه فسد ما دبرته في معنا. ، فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم جماً شديداً وقام من سماط كان عمله للديلم على منابت الزعفران مغيظاً واستدعى التنوخي وقال له : بلغني عنك كذا وكذا . فخجل التنوخي ثم جمع بينه وبين أبي الفضل الساعي

له فوافقه فأنكره واحضر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فأنكرها وسئل أبو علي الهائم عما سمعه فقال : نمت خارج الخركاه وما وقفت على شيء فمد وضرب مائتي مقرعة واقيم . فنفض ثيابه وقال : اكثر الله خيركم ، واتصل ذلك بعضد الدولة فأمر بضربه مائة مقرعة اخرى واندفعت القصة فرجع التنوخي إلى خيمته بعد أن ظن انه مقبوض عليه وبقي يتردد الى خدمة عضد الدولة مدة وهو معرض عنه حتى عاد إلى بعض الاقبال عليه ، ثم رحلوا إلى بغداد فرآه عضد الدولة – وعليه ثياب جميلة وتحته بغلة بمركب ثقيل – قال له : من اين هذه البغلة؟ فقال حملني عليها الصاحب بمركبها واعطاني عشرين قطعة ثياباً وسبعة آلاف درهم فقال : هذا =

وفيها أفرج عضد الدولة عن أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب ، وكان القبض عليه سنة سبع وستين ، وكان سبب قبضه أنه كان يكتب عن بختيار كتباً في معنى الخلف الواقع بينه وبين عضد الدولة، فكان ينصح صاحبه ، فمما كتبه عن الخليفة الطائع إلى عضد الدولة في المعنى، وقد لقب عز الدولة بشاهنشاه فتزحزح له عن سنن المساواة، فنقم عليه عضد الدولة ذلك . وهذا من أعجب الأشياء ، فإنه كان ينبغي أن يعظم في عينه لنصحه لصاحبه ، فلما اطلقه امره بعمل كتاب يتضمن أخبارهم ومحاسنها. فعمل التاجي في دولة الديلم (1)

وفيها أرسل عضد الدولة القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الأشعري المعروف بابن الباقلاني إلى ملك الروم في جواب رسالة وردت منه. فلما وصل إلى الملك قيل له : ليقبل الأرض بين يديه . فلم يفعل فقيل لا سبيل إلى الدخول إلا مع تقبيل الأرض . فأصر على الامتناع . فعمل الملك بابا صغيراً يدخل منه القاضي منحنيا ليوهم الحاضرين أنه قبل الأرض ، فلما رأى القاضي الباب علم ذلك ، فاستدبره ودخل منه . فلما جازه استقبل الملك وهو قائم فعظم عندهم محله .

وفيها فتح المارستان العضدي غربي بغداد، ونقل إليه جميع ما يحتاج إليه من الأدوية .

= قليل لك مع ما تستحقه عليه فعلم التنوخي أنه اتهمه بذلك الحديث . وقوله " قاتله الله " في نسخة "قابله " بالباء الموحدة .

(1) وسبب الافراج عنه أنه لما اعتقل ما زال يثابر على المكاتبة إلى عضد الدولة ويستعطفه باشعاره إلى أن تقدم عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بالانحدار الى البطيحة فسأل حينئذ في اطلاقه والاذن له في استخلافه بحضرته لعناية أبي القاسم به فقال : اما العفو عنه فقد شفعناك فيه وعنونا له عن ذنب لم نعف عما دونه لاهلنا "يعي الديلم - ولا لاولاد نبينا صلى الله عليه وسلم - يعي أبا الحسن محمد بن عمر. وأبا أحمد الموسوي - ولكنا وهبنا اساءته لخدمته وعلينا المحافظة فيه على الحفيظة منه . واما استخلافك له بحضرتنا فكيف يجوز أن ننقله من السخط عليه والنكبة له الى النظر في الوزارة ، ولنا في أمر. تدبير وبالعاجل فاحمل إليه من عندك ثيابا ونفقة واطلق ولديه -وهما المحسن . وعمر- وتقدم اليه بعمل كتاب في مفاخرنا ففعل المطهر ذلك ، وعمل أبو اسحاق الكتاب الذي سما. - التاحي ني الدولة الديلمية - فكان اذا عمل فه جزءا حمله إلى عضد الدولة حق يقرأه ويصلحه ويزيد فيه ولنقص فه فلما كان تكامل ما أراده حرر وحمل كاملا

الى خزانته . وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف فان أبا إسحاق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم ولا تنبو مضاربهم .

وفي هذه السنة توفي الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني الفقيه الشافعي. وكان عالما بالحديث وغيره من العلوم (ا)، والإمام محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابو زيد المروزي الفقيه الشافعي الزاهد يروي صحيح البخاري عن الفربري وتوفي في رجب (2)، وابو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي شيخ الصوفية في وقته صحب الجريري ، وابن عطاء، وغيرهما(3) . وفيها توفي ابو الحسن علي بن إبراهيم الصوفي المعروف بالحصري (4) .

(ا) قال الحافظ الذهبي في تذكرته : الامام الحافظ الثبت شيخ الاسلام أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن العباس الاسماعيلي الجرجاني كبير الشافعية بناحيته . ولد سنة سبع وسبعين ومائتين . له معجم مروي وصنف الصحيح وأشياء كثيرة من جملتها مسند عمر رضي الله عنه هذبه في مجلدين .

(2) هو شيخ الشافعية في زمانه وامام أهل عصره في الفقه والزهد والعبادة والورع سمع الحديث ودخل بغداد وحدث بها فسمع منه الدارقطني . وغيره . قال ابن الأهدل : كان أول أمره فقيراً .

(3) كان شيخ اقليم فارس وصاحب احوال ومقامات . قال السلمي : هو اليوم شيخ المشايخ وتاريخ الزمان لم يبق للقوم اقدم منه سناً ولا اتم حالاً متمسك بالكتاب والسنة فقيه على مذهب الشافعي كان من أولاد الأمراء فتزهد، وقال ابن كثير قال ابن الجوزي : وقد ذكرت في تهابي المسمى - بتلبيس ابليس - عنه حكايات تدل على أنه كان يذهب مذهب الاباحية توفي في ثالث رمضان عن خمس وتسعين سنة، وكتاب تلبيس ابليس طبعناه والحمد لله .

(4) اصل الحصري من البصرة صحب الشبلي وغيره وكان يعظ الناص بالجامع ثم لما كبرت سنه بني له الرباط المقابل لجامع المنصور وكان لا يخرج الا من الجمعة إلى الجمعة وله كلام جيد في التصوف على طريقتهم .

والحصري - بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وفي آخر راء - نسبة إلى الحصر.

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة

ذكر ولاية بكجور دمشق

قد ذكرنا سنة ست وستين ولاية بكجور حمص -لأبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان . فلما وليها عقرها، وكان بلد دمشق قد خربه العرب ، وأهل العيث والفساد، مدة تحكم قسام عليها . وانتقل أهله إلى أعمال حمص فعمرت ، وكثر أهلها والغلات فيها. ووقع الغلاء والقحط بدمشق ، فحمل بكجور الأقوات من حمص إليه وتردد الناس في حمل الغلات ، وحفظ الطرق وسماها . اكتب إلى العزيز بالله بمصر وتقرب إليه؛ فوعده ولاية دمشق فبقي كذلك إلى هذه السنة، ووقعت وحشة بين سعد الدولة أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وبين بكجور. فأرسل سعد الدولة يأمره بان يفارق بلده ، فأرسل بكجور إلى العزيز بالله يطلب نجاز ما وعده من إمارة دمشق ، وكان الوزير ابن كلس يمنع العزيز من ولايته إلى هذه الغاية . وكان القائد بلتكين قد ولي دمشق بعد قسام كما ذكرناه –وهو مقيم بها – فاجتمع المغاربة بمصر على الوثوب بالوزير ابن كلس وقتله . فدعته الضرورة إلى أن يستحضر بلتكين من دمشق ، فأمره العزيز بإحضاره ، وتسليم دمشق إلى بكجور فقال : " إن بكجور إن وليها عصا فيها ". فلم يصغ إلى قوله ، وارسل إلى بلتكين يأمره بقصد مصر وتسليم دمشق إلى بكجور، ففعل ذلك . ودخلها في رجب من هذه السنة والياً عليها، فأساء السيرة إلى أصحاب الوزير ابن كلس والمتعلقين به ، حتى أنه صلب بعضهم ، وفعل مثل ذلك في أهل البلد، وظلم الناس . وكان لا يخلو من أخذ مال وقتل وصلب ، وعقوبة، فبقي كذلك إلى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وسنذكر هناك عزله إن شاء الله تعالى .

في هذه السنة في شوال اشتدت علة عضد الدولة ـ وهو ما كان يعتاده من الصرع – فضعفت قوته عن دفعه ، فخنقه فمات منه ثامن شوال ببغداد، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فدفن به . وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفا . ولما توفي جالس ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار للعزاء، قم تاه الطائع لله معزيا، وكان عمر عضد الدولة سبعا وأربعين سنة ، وكان قد سير ولده شرف الدولة أبا الفوارس إلى كرمان مالكا لها قبل أن يشتد مرضه ، وقيل : إنه لما احتضر لم ينطلق لسانه إلا بتلاوة : (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه) وكان عاقلا، فاضلا، حسن السياسة، كثير الإصابة ، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأي ، محبا للفضائل وأهلها ، باذلا في مواضع العطاء، مانعا في أماكن الحزم ، ناظرا في عواقب الأمور. قيل : لما مات عضد الدولة، بلغ خبره بعض العلماء وعنده جماعة من أعيان الفضلاء(ا) فتذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء عند موت الإسكندر، وقد ذكرتها في أخباره . فقال بعضهم : لو قلتم انتم مثلها لكان ذلك يؤثر عنكم ، فقال أحدهم : لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها وأعطاها فوق قيمتها، وطلب الربح (2) فيها فخسر روحه فيها . وقال الثاني : من استيقظ للدنيا فهذا نومه ، ومن حلم فيها فهذا انتباهه (3)، وقال الثالث : ما رأيت عاقلاً في عقله ولا غافلا قي غفلته مثله ، لقد كان ينقض جانباً وهو يظن أنه مبرم ، ويغرم وهو يظن أنه غانم (4)، وقال الرابع : من جد للدنيا هزلت به ومن هزل راغبا عنها جدت له (5)؛ وقال الخامس : ترك هذا الدنيا شاغرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة . وقال

(ا) ذكر أبو حيان التوحيدي في كتاب - الزلفة - أنه لما صحت وفاة عضد الدولة كنا عند أبي سليمان السجستاني وكان القومسي حاضراً والنوشجاني ،والقاسم غلام زحل ، وابن المقداد ،والعروضي ، والاندلسي ، والصيمري فتذاكروا الكلمات العشرة المشهورة التي قالها الحكماء العشرة غد وفاة الاسكندر فقال الأندلسي الخ .

(2) في ذيل تجارب الامم " وحسبك أنه طلب الربح " اهـ وقائل هذا ابو سليمان .

(3) قائل هذا الصيمري .

(4) قائل هذا النوشجاني .

(5) قائل هذا القومسي وزاد " انظر إلى هذا كيف انتهى أمره وإلى أي حضيض وقع شأنه وإني لأظن أن الرجل الزاهد الذي مات في هذه الأيام ودفن بالشونيزية اخف ظهراً واعز ظهيراً من هذا .

السادس : إن ماء اطفأ هذه النار لعظيم ،وإن ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف (6) . وقال السابع : إنما سلبك من قدر عليك. وقال الثامن : أما إنه لو كان معتبراً في حياته ، لما صار عبرة في مماته. وقال التاسع : الصاعد في درجات الدنيا إلى استفال والنازل في دركاتها إلى تعال . وقال العاشر : كيف غفلت عن كيد هذا الأمر حتى نفذ فيك ، وهلا اتخذت دونه جنة تقيك ، إن في ذلك لعبرة للمعتبرين ، وإنك لآية للمستبصرين . وبنى على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم سورا . وله شعر حسن ، فمن شعره لما ارسل إليه أبو تغلب بن حمدان يعتذر من مساعدته بختيار ويطلب الأمان ، فقال عضد الدولة :

¬ أ أفاق حين وطئت ضيق خناقه يبغي الأمان وكان يبغي صارما

ـ فلأركبن عزيمة عضدية تاجية تدع الأنوف رواغما

وقال ابياتاً منها بيت لم يفلح بعده ، وهي هذه :

¬ ليس شرب الكأس (1)إلا في المطر وغناء من جوار في السحر

ـ غانيات سالبات للنهى ناغمات في تضاعيف الوتر

ـ مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر

ـ عضد الدولة وابن (2) ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

وهذا البيت هو المشار إليه .

وحكي عنه أنه كان في قصره جماعة من الغلمان ، يجمل إليهم مشاهراتهم من الخزانة . فأمر أبا نصر خواشاذه أن يتقدم إلى الخازن بأن يسلم جامكية الغلمان إلى نقيبهم في شهر قد بقي منه ثلاثة أيام . قال أبو نصر: فأنسيت ذلك أربعة أيام ، فسألني عضد الدولة عن ذلك فقلت : أنسيته فاغلظ لي . فقلت أمس استهل الشهر والساعة نحمل المال وما ههنا ما يوجب شغل القلب فقال : المصيبة بما لا تعلمه من الغلط أكثر منها في التفريط . ألا تعلم أنا إذا أطلقنا لهم ما لهم قبل محله كان الفضل لنا عليهم ، فإذا أخرنا ذلك عنهم حتى استهل الشهر الآخر، حضروا عند عارضهم ، وطالبوه ، فيعدهم فيحضرونه في اليوم الثاني ، فيعدهم ثم يحضرونه في اليوم الثالث ، ويبسطون

(1) هي البداية والنهاية 11 / 320 : " الراح " .

(2) في البداية والنهاية 11 / 321 : " باني " . وذكر أبياتاً أربعة بعد هذه .

ألسنتهم فتضيع المنة وتحصل الجرأة، ونكون إلى الخسارة أقرب منا إلى الربح . وكان لا يعول في الأمور إلا على الكفاءة، ولا يجعل للشفاعات طريقاً إلى معارضة من ليس. من جنس الشافع ولا فيما يتعلق به . حكي عنه أن مقدم جيشه أسفار بن كردويه شفع في بعض أبناء العدول ليتقدم إلى القاضي ليسمع تزكيته ويعدله فقال : ليس هذا من أشغالك ، إنما الذي يتعلق بك الخطاب في زيادة قائد ونقل مرتبة جندي وما يتعلق بهم . وأما الشهادة وقبولها فهي إلى القاضي وليس لنا، ولا لك الكلام فيه ، ومتى عرف القضاة من انسان ما يجوز معه قبول شهادته فعلوا ذلك بنير شفاعة . وكان يخرج في ابتداء كل سنة شيئاً كثيراً من الأموال للصدقة والبر في سائر بلاده ، ويأمر بتسليم ذلك إلى القضاة، ووجوه الناس ليصرفوه إلى مستحقيه . وكان يوصل إلى العمال المتعطلين ما يقوم بهم ، ويحاسبهم به إذا عملوا، وكان محبا للعلوم وأهلها مقربا لهم محسناً إليهم ، وكان يجلس معهم ويعارضهم في المسائل . فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب ، ومنها الإيضاح في النحو، والحجة في القراءات ، والملكي في الطب ، والتاجي في التاريخ إلى غير ذلك . وعمل المصالح في سائر البلاد كالبيمارستانات والقناطر، وغير ذلك من المصالح العامة، إلا أنه أحدث في آخر أيامه رسوما جائرة في المساحة والضرائب ، على بيع الدواب وغيرها من الأمتعة، وزاد على ما تقدم ومنع من عمل الثلج والقز وجعلهما متجرا للخاص . وكان يتوصل إلى أخذ المال بكل طريق . ولما توفي عضد الدولة قبض على نائبه أبي الريان من الغد فأخذ من كمه رقعة فيها:

أيا واثقاً بالدهر عند انصرافه رويدك إني بالزمان أخو خبر

ويا شامتاً مهلاً فكم ذي شماتة تكون له العقبى بقاصمة الظهر

ذكر ولاية صمصام الدولة العراق وملك أخيه شرف الدولة بلاد فارس

لما توفي عضد الدولة اجتمع القواد والأمراء على ولده أبي كاليجار المرزبان ،فبايعوه وولوه الإمارة ولقبوه صمصام الدولة . فلما ولي ، خلع على أخويه أبي " الحسين أحمد ، وأبي طاهر فيروزشاه ، وأقطعهما فارس وأمرهما بالجد في السير، ليسبقا أخاهما شرف الدولة أبا الفوارس شيرزيل إلى شيراز . فلما وصلا إلى أرجان أتاهما خبر وصول شرف الدولة إلى شيراز، فعادا إلى الأهواز . وكان شرف الدولة بكرمان ، فلما بلغه خبر وفاة أبيه سار مجداً إلى فارس ، فملكها وقبض على نصر بن

هارون النصراني وزير أبيه وقتله ، لأنه كان يسيء صحبته أيام أبيه . وأصلح أمر البلاد، وأطلق الشريف أبا الحسين محمد بن عمر العلوي ، والنقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي ، والقاضي أبا محمد بن معروف ، وأبا نصر خواشاذه . وكان عضد الدولة حبسهم ، وأظهر مشاقة أخيه صمصام الدولة ، وقطع خطبته ، وخطب لنفسه وتلقب بتاج الدولة . وفرق الأموال وجمع الرجال وملك البصرة ، وأقطعها أخاه أبا الحسين ، فبقي كذلك ثلاث سنين إلى أن قبض عليه شرف الدولة، على ما نذكره ، إن شاء الله تعالى . فلما سمع صمصام الدولة بما فعله شرف الدولة سير إليه جيشا، واستعمل عليهم الأمير أبا الحسن ابن دبعش حاجب عضد الدولة . فجهز تاج الدولة عسكرا واستعمل عليهم الأمير أبا الأعز دبيس بن عفيف الأسدي ، فالتقيا بظاهر قرقوب (1) واقتتلوا . فانهزم عسكر صمصام الدولة واسر دبعش . فاستولى حينئذ أبو الحسين بن عضد الدولة على الأهواز وأخذ ما فيه ، وفي رامهرمز وطمع في الملك . وكانت الوقعة في ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

ذكر قتل الحسين بن عمران بن شاهين

في هذه السنة قتل الحسين بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة، قتله أخوه أبو الفرج ، واستولى على البطيحة. وكان سبب قتله أنه حسده على ولايته ، ومحبة الناس له . فاتفق أن أختا لهما مرضت فقال أبو الفرج لأخيه الحسين : إن أختنا مشفية فلو عدتها، ففعل ، وسار إليها . ورتب أبو الفرج في الدار نفرا يساعدونه على قتله . فلما دخل الحسين الدار تخلف عنه أصحابه ، ودخل أبو الفرج معه وبيده سيفه . فلما خلا به قتله . ووقعت الصيحة، فصعد إلى السطح وأعلم العسكر بقتله ، ووعدهم الإحسان فسكتوا، وبذل لهم المال فاقروه في الأمر، وكتب إلى بغداد يظهر الطاعة ويطلب تقليده الولاية . وكان متهورا جاهلا .

ذكر عود ابن سيمجور إلى خراسان

لما عزل أبو الحسن بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان ، ووليها أبو العباس ،سار بن سيمجور إلى سجستان فأقام بها، فلما انهزم أبو العباس عن جرجان ، على ما

(1) قرقوب : بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز وكانت تعد من أعمال عسكر.

ذكرناه ، ورأى الفتنة قد رفعت رأسها ، سار عن سجستان نحو خراسان ، وأقام بقهستان . . فلما سار أبو العباس إلى بخارى، وخلت منه خراسان ، كاتب ابن سيمجور فائقا يطلب موافقته على الإستيلاء على خراسان ، فأجابه إلى ذلك واجتمعا بنيسابور واستوليا على تلك النواحي .

وبلغ الخبر إلى أبي العباس ، فسار عن بخارى في جمع كثير إلى مرو، وترددت الرسل بينهم ، فاصطلحوا على أن تكون نيسابور وقيادة الجيوش لأبي العباس ، وتكون بلخ لفائق ، وتكون هراة لأبي علي بن أبي الحسن بن سيمجور. وتفرقوا على ذلك ، وقصد كل واحد منهم ولايته .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي نقيب النقباء أبو تمام الزينبي ، وولي النقابة بعده ابنه أبو الحسن . وتوفي محمد بن جعفر المعروف بزوج الحرة في صفر ببغداد(9). وتوفي ني جمادى الأولى منصور بن أحمد بن هارون الزاهد وهو ابن خمس وستين سنة .

(1) كان احد العدول الثقات جليل التدر، وسبب تسميته بزوج الحرة - على ما قاله الخطيب ، وابن الجوزي وابن كثير انه كان يدخل الى مطبخ ابيه بدار مولاته التي كانت زوجة المقتدر بالله فلما توفي المقتدر وبقيت هذه المرأة سالمة من الكتاب والمصادرات وكانت كثيرة الأموال - وكان هذا غلاما شاباً حدث السن يحمل شيئاً من حوائج المطبخ على رأسه فيدخل به الى مطبخها مع جملة الخدم وكان شاباً رشيقاً حركاً فنفق على القهرمانة حتى جعلته كاتباً على المطبخ ثم ترقى الى أن صار وكيلاً للست على ضياعها ينظر فيها وفي اموالها ثم آل به الحال حق صارت الست تحدثه من وراء الحجاب ثم علقت به واحبته وسألته ان يتزوج بها فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك فشجعته هي واعطته اموالاً كثيرة ليظهر عليه الحشمة والسعادة مما يناسبها ليتأهل لذلك ثم ضرعت تهادي القضاة والأكابر ثم عزمت على تزويجه ورضيت به عند حضور القضاة واعترض أولياؤها عليها فغلبتهم بالمكارم والهدايا . ودخل عليها فمكثت معه دهراً طويلاً ثم ماتت قبله فورث منها نحو ثلاثمائة ألف دينار. وطال عمره بعدها حتى كانت وفاته في هذه السنة ودفن عند قبر معروف الكرخي ببغداد.

البداية والنهاية 11 /322.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

ذكر موت مؤيد الدولة

وعود فخر الدولة الى مملكته

في هذه السنة في شعبان توفي مؤيد الدولة ابو منصور بويه بن ركن الدولة بجرجان ، وكانت علته الخوانيق ، وقال له الصاحب بن عباد : لو عهدت إلى أحد . فقال : أنا في شغل عن هذا ، ولم يعهد بالملك إلى احد ، وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة . وجلس صمصام الدولة للعزاء ببغداد ، فأتاه الطائع لله معزيا فلقيه في طيارة ، ولما مات مؤيد الدولة تشاور أكابر دولته فيمن يقوم مقامه ، فأشار الصاحب اسماعيل بن عباد بإعادة فخر الدولة إلى مملكته ، إذ هو كبير البيت ، ومالك تلك البلاد قبل مؤيد الدولة ، ولما فيه من آيات الإمارة والملك ، فكتب إليه واستدعاه - وهو بنيسابور- وأرسل الصاحب إليه واستخلفه لنفسه ، وأقام في الوقت خسرو فيروز بن ركن الدولة ليسكن الناس إلى قدوم فخر الدولة . فلما وصلت الأخبار ، إلى فخر الدولة ، سار إلى جرجان فلقيه العسكر بالطاعة ، وجلس في دست ملكي في رمضان بغير منة لأحد، فسبحان من إذا أراد أمرا كان . ولما عاد إلى مملكته قال له الصاحب : يا مولانا قد بلغك الله ، وبلغني فيك ما املته ومن حقوق خدمتي لك إجابتي إلى ترك الجندية ، وملازمة داري والتوفر على أمر الله فقال :لا تقل هذا ، فما اريد الملك إلا لك ، ولا يستقيم لي أمر إلا بك ، وإذا كرهت ملابسة الأمور كرهتها أنا أيضاً ، وانصرفت ، فقبل الأرض وقال : الأمر لك ، فاستوزره واكرمه وعظمه وصدر عن رأيه في جليل الأمور وصغيرها ، وسيرت الخلع من الخليفة إلى فخر الدولة والعهد ، واتفق فخر الدولة ، وصمصام الدولة فصارا يداً واحدة .

ذكر عزل ابي العباس عن خراسان وولاية ابن سيمجور

لما عاد أبو العباس عن بخارى إلى نيسابور كما ذكرناه ، استوزر الأمير نوح عبدالله بن عزيز وكان ضداً لأبي الحسين العتبي ، وأبي العباس . فلما ولي الوزارة بدأ بعزل أبي العباس عن خراسان وإعادة أبي الحسن بن سيمجور إليها . فكتب من بخراسان من القواد إليه يسألونه أن يقر أبا العباس على عمله فلم يجبهم إلى ذلك ، فكتب أبو العباس إلى فخر الدولة بن بويه يستمده فأمده بمال كثير ، وعسكر ، فأقاموا بنيسابور وأتاهم أبو محمد عبدالله بن عبد الرزاق معاضدا لهم على ابن سيمجور ، وكان أبو العباس حينئذ بمرو ، فلما سمع أبو الحسن بن سيمجور ، وفائق بوصول عسكر فخر الدولة إلى نيسابور ، قصدوهم ، فانحاز عسكر فخر الدولة ، وا بن عبد الرزاق ، وأقاموا ينتظرون أبا العباس . ونزل ابن سيمجور ومن معه بظاهر نيسابور ، ووصل أبو العباس فيمن معه واجتمع بعسكر الديلم ، ونزل بالجانب الآخر وجرى بينهم حروب عدة أيام ، وتحصن - ابن سيمجور بالبلد . وأنفذ فخر الدولة إلى أبي العباس عسكرا آخر أكثر من ألفي فارس ، فلما رأى ابن سيمجور قوة أبي العباس ، انحاز عن نيسابور فسار عنها ليلا وتبعه عسكر أبي العباس فغنموا كثيراً من أموالهم ودوابهم ، واستولى أبو العباس على نيسابور وراسل الأمير نوح بن منصور يستميله ويستعطفه ،ولج ابن عزيز في عزله ، ووافقه على ذلك والدة الأمير نوح وكانت تحكم في دولة ولدها ، وكانوا يصدرون عن رأيها ، فقال بعض أهل العصر في ذلك :

ـ شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما رأي النساء وأمرة الصبيان

ـ أما النساء فميلهن إلى الهوى وأخو الصبا يجري بغير عنان

ذكر انهزام أبي العباس إلى جرجان ووفاته

لما انهزم ابن سيمجور ، أقام أبو العباس بنيسابور يستعطف الأمير نوحا ووزير ابن عزيز، وترك اتباع ابن سيمجور وإخراجه من خراسان . فتراجع إلى ابن سيمجور أصحابه المنهزمون ، وعادت قوته وأتته الأمداد من بخاري ، وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة - وهو بفارس - يستمده فأمده بألفي فارس مراغمة لعمه فخر الدولة ، فلما كثف جمعه قصد أبا العباس ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً إلى آخر

النهار . فانهزم أبو العباس وأصحابه وأسر منهم جماعة كثيرة ، وقصد أبو العباس جرجان ، وبها فخر الدولة فأكرمه ، وعظمه وترك له جرجان ، ودهستان ،وأستراباذ صافية له ، ولمن معه . وسار عنها إلى الري ، وأرسل إليه من الأموال والآلات ما يجل عن الوصف ، وأقام ابو العباس بجرجان هو وأصحابه ، وجمع العساكر ، وسار نحو خراسان فلم يصل إليها وعاد إلى جرجان ، وأقام بها ثلاث سنين ، ثم وقع بها وباء شديد ومات فيه كثير من أصحابه ، ثم مات هو أيضاً وكان موته سنة سبع وسبعين ، وقيل : إنه مات مسموماً. وكان أصحابه قد أساؤوا السيرة مع أهل جرجان. فلما مات ثار بهم أهلها ونهبوهم ، وجرت بينهم وقعة عظيمة أجلت عن هزيمة الجرجانية ، وقتل منهم خلق كثير وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم ، وطلب مشايخهم الأمان فكفوا عنهم . وتفرق أصحابه فسار أكثرهم إلى خراسان ، واتصلوا بأبي علي بن أبي الحسن بن سيمجور ، وكان حينئذ صاحب الجيش مكان أبيه . وكان والده قد توفي فجأة ، وهو يجامع بعض حظاياه ، فمات على صدرها ، فلما مات قام بالأمر بعده ابنه أبو علي ، واجتمع إخوته على طاعته ، منهم أخوه أبو القاسم ، وغيره . فنازعه فائق الولاية ، وسنذكر ذلك سنة ثلاث وثمانين عند ملك الترك بخارى إن شاء الله تعالى .

ذكر قتل أبي الفرج محمد بن عمران

وملك أبي المعالي ابن أخيه الحسن

في هذه السنة قتل أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة ،وولي أبو المعالي ابن أخيه الحسن ، وسبب قتله ، أن ابا الفرج قدم الجماعة الذين ساعدوه على قتل أخيه ، ووضع من حال مقدمي القواد ، فجمعهم المظفر بن علي الحاجب - وهو أكبر قواد أبيه عمران ، وأخيه الحسن - وحذرهم عاقبة أمرهم ، فاجتمعوا على قتل أبي الفرج ، فقتله المظفر(أ) وأجلس أبا المعالي مكانه ، وتولى

(1) كيفية قتله - على ما حكاه الوزير ابو شجاع –هو أن أبا الفرج ركب من دار الامارة الى بناء استحدثه وعرف المظفر خبره فتصده الى الموضع ودخل عليه فلما رآه أبو الفرج قال له : فيم حضرت ؟ قال : علمت ركوب الامير فاحببت خدمته . وحضر من اعطاه كتاباً فلما أخذه وتشاغل بقراءته جرد المظفر سيفه وثار إليه فضربه وبادر من كان بين يديه من خواصه الى المظفر بسيوفهم وهو كالجمل الهائج يدافعهم عن نفسه واكب على ابي الفرج ضرباً حق فرغ منه . وقد اصابته جراحة في يده وضربات في ذباب سيفه ونزل الى المنصورة

تدبيره بنفسه ، وقتل كل من كان يخافه من القواد ، ولم يترك معه إلا من يثق به ، وكان أبو المعالي صغيراً .

ذكر استيلاء المظفر على البطيحة

لما طالت أيام على المظفر بن علي الحاجب وقوي أمره طمع في الاستقلال بأمر البطيحة ، فوضع كتابا عن لسان صمصام الدولة إليه ، يتضمن التعويل عليه في ولاية البطيحة ، وسئمه إلى ركابي غريب ، وأمره أن يأتيه إذا كان القواد والأجناد عنده ، ففعل ذلك ، وأتاه وعليه أثر الغبار وسلم إليه الكتاب ، فقبله وفتحه ، وقرأه بمحضر من الأجناد ، وأجاب بالسمع والطاعة ، وعزل أبا المعالي ، وجعله مع والدته ، وأجرى عليهما جراية ثم اخرجهما إلى واسط ، وكان يصلهما بما ينفقانه ، واستبد بالأمر وأحسن السير ، وعدل في الناس مدة ، ثم إنه عهد إلى ابن أخته أبي الحسن علي بن نصر ، الملقب بمهذب الدولة - وكان يلقب حينئذ بالأمير المختار- وبعده إلى أبي الحسن علي بن جعفر- وهو ابن أخته الأخرى - وانقرض بيت عمران بن شاهين ، وكذلك الدنيا دول ، وما أشبه حاله بحال باذ فإنه ملك ، وانتقل الملك إلى ابن أخته ممهد الدولة بن مروان .

ذكر عصيان محمد بن غانم

وفيها عصا محمد بن غانم البرزيكاني بناحية كوردر من أعمال قم على فخر الدولة ، وأخذ بعض غلات السلطان ، وامتنع بحصن الهفتجان ، وجمع البرزيكاني إلى نفسه ، فسارت إليه العساكر في شوال لقتاله فهزمها ، وأعيدت إليه من الري مرة أخرى ، فهزمها ، فأرسل فخر الدولة إلى أبي النجم بدر بن حسنويه ، ينكر ذلك عليه ويأمره بإصلاح الحال معه ، ففعل ، وراسله فاصطلحوا أول سنة أربع وسبعين ،وبقي إلى خمس وسبعين ، فسار إليه جيش لفخر الدولة ، فقاتله فأصابه طعنة ، واخذ أسيرا فمات من طعنته .

التي بها دار الامارة وأخرج ابا المعالي بن أبي محمد بن عمران - وهو صغير السن - فأقامه أميراً واطلق المال وارض الجند . ومض أبو الفرج بعد أخيه سريعاً صرع أخا. فاصبح بعله صريعاً رباع دينه بدنياه فخسرهما جميعاً، وكذلك كل قاتل مقتول وكل خاذل مخذول ، ركن كيف شئت فكما تدين تدان .

ذكر انتقال بعض صنهاجة
من أفريقية إلى الأندلس وما فعلوه

في هذه السنة انتقل أولاد زيري بن مناد - وهم زاوي ، وجلالة ، وما كسن إخوة بلكين إلى الأندلس . وسبب ذلك أنهم وقع بينهم وبين أخيهم حماد حروب وقتال على بلاد بينهم ، فغلبهم حماد ، فتوجهوا إلى طنجة ومنها إلى قرطبة ، فأنزلهم محمد بن ابي عامر وسر بهم ، وأجرى عليهم الوظائف وأكرمهم وسألهم عن سبب انتقالهم ، فاخبروه . وقالوا له : إنما اخترناك على غيرك ، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله ، فاستحسن ذلك منهم ، ووعدهم ووصلهم ، فأقاموا أياماً ثم دخلوا عليه وسألوه إتمام ما وعدهم به من الغزو ، فقال : انظروا ما أردتم من الجند نعطيكم . فقالوا : ما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا إلا الذين معنا من بني عمنا وصنهاجة ومواليينا ، فأعطاهم الخيل ، والسلاح ، والأموال ، وبعث معهم دليلا ، وكان الطريق ضيقا ، فأتوا أرض جليقية ، فدخلوها ليلا وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة ، وقتلوا كل من به وقطعوا أشجاره ، فلما أصبحوا خرج جماعة عن البلد فضربوا عليهم وأخذوهم ، وقتلوهم جميعهم . فرجعوا وتسامع العدو ، فركبوا في أثرهم؛ فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربوة ، فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم ، وضربوا في ساقتهم ، وكبروا ، فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير ، فانهزموا ، وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا إلى قرطبة ، فعظم ذلك عند ابن أبي عامر ورأى من شجاعتهم مالم يره من جند الأندلس ، فاحسن إليهم وجعلهم بطانته .

ذكر غزوة ابن أبي عامر إلى الفرنج بالأندلس

لما رأى أهل الأندلس فعل صنهاجة حسدوهم ، ورغبوا في الجهاد . وقالوا للمنصور بن أبي عامر : لقد نشطنا هؤلاء للغزو ، فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الأقطار وخرج إلى الجهاد ، وكان رأى في منامه تلك الليالي كأن رجلاً أعطاه الأسبراج فأخذه من يده وأكل منه ، فعبره على ابن أبي جمعة فقال له : اخرج إلى بلد أليون فإنك ستفتحها ، فقال : من أين أخذت هذا ؟ فقال : لأن الاسبراج يقال له في المشرق :

الهليون ، فملك الرؤيا قال لك : هاليون ،فخرج إليها ونازلها – وهي من أعظم مدائنهم – واستمد أهلها الفرنج ، فأمدوهم بجيوش كثيرة واقتتلوا ليلاً ونهاراً ، فكثر القتل فيهم ، وصبرت صنهاجة صبراً عظيماً ، ثم خرج قومص كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله فجال بين الصفوف ، وطلب البراز فبرز إليه جلالة بن زيري الصنهاجي ، فحمل كل واحد منهما على صاحبه فطعنه الفرنجي ، فمال عن الطعنة وضربه بالسيف على عاتقه ، فأبان عاتقه فسقط الفرنجي إلى الأرض ، وحمل المسلمون على النصارى ، فانهزموا إلى بلادهم وقتل منهم ما لا يحصى ، وملك المدينة وغنم ابن ابي عامر غنيمة لم ير مثلها ، واجتمع من السبي ثلاثون ألفاً ، وأمر بالقتلى ، فنضد بعضها على بعض ، وأمر مؤذناً فأذن فوق القتلى المغرب. وخرب مدينة قامونة ورجع سالماً هو وعساكره .

ذكر وفاة يوسف بلكين وولاية ابنه المنصور

في هذه السنة لسبع بقين من ذي الحجة ، توفي يوسف بلكين بن زيري (1) صاحب أفريقية بوارقلين ،وسبب مضيه إليها أن خزرون الزناتي دخل سجلماسة ، وطرد عنها نائب يوسف بلكين ، ونهب ما فيها من الأموال والعدد ، وتغلب على فاس زيري بن عطية الزناتي ، فرحل يوسف إليها فاعتل في الطريق بقولنج وقيل : خرج في يده بثرة فمات منها ، فأوصى بولاية ابنه المنصور .

(ا) بلكين بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها نون ، وزيري - بكسر الزاي وبمكون الياء المثناة من تحت وكسر الراء وبعدها ياء - وهو الذي استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على افريقية عند توجهه الى الديار المصرية . وكان استخلافه اياه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة احدى وستين وثلاثمائة . وأمر الناس بالسمع والطاعة له وسلم إليه البلاد وخرجت العمال وجباة الأموال باسمه وأوصاه المعز بأمور كثيرة وأكد على في فعلها . نم تال : إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية . والسيف عن البربر. ولا تول أحداً من أخوتك وبني عمك فانهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك . وافعل مع أهل الحاضرة خيراً وفارقه على ذلك لم وعاد من وادعه وتصرف في الولاية ولم يزل حسن السيرة تام النظر في مصالح دولنه ورجمنه الى أن توفي يوم الأحد لسبع بقين من ذي الحجة بموضع يقال له : واركلان مجاور افريقية؛ وكان له اربعمائة حظية حتى قيل : ان البشائر وفدت عليه في يوم واحد بولادة سبعة عشر

ولداً ، ووارکلان - بفتح الواو وبعد الألف راء مفتوحة أيضاً ثم كاف ساكنة وبعد اللام ألف ونون.

وكان المنصور بمدينة أشير ، فجلس للعزاء بابيه وأتاه أهل القيروان وسائر البلاد يعزونه بابيه ويهنونه بالولاية ، فاحسن إلى الناس وقال لهم : " إن أبي يوسف وجدي زيري كانا يأخذان الناس بالسيف ، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان ، ولست مس يولى بكتاب ويعزل بكتاب " - يعني أن الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكتاب - . ثم سار إلى القيروان وسكن برقادة وولي الأعمال . واستعمل الأمراء وأرسل هدية عظيمة إلى العزيز بالله بمصر قيل : كانت قيمتها ألف ألف دينار . ثم عاد إلى أشير واستخلف على جباية الأموال بالقيروان والمهدية وجميع أفريقية إنسانا يقال له : عبدالله بن الكاتب .

ذكر أمر باذ(1) الكردي

خال بني مروان وملكه الموصل

في هذه السنة قوي أمر باذ الكردي واسمه أبو عبدالله الحسين بن دوستك – وهو من الأكراد الحميدية - وكان ابتداء أمره ، أنه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيراً ، وكان عظيم الخلقة له باس وشدة . فلما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده ،فلما رأى عضد الدولة خافه وقال : ما أظنه يبقي علي ، فهرب حين خرج من عنده ، وطلبه عضد الدولة بعد خروجه ليقبض عليه وقال : له باس وشدة ، وفيه شر ، ولا يجوز الإبقاء على مثله ، فاخبر بهربه ، فكف عن طلبه . وحصل بثغور ديار بكر وأقام بها إلى أن استفحل أمره وقوي ، وملك ميافارقين وكثيراً من ديار بكر بعد موت عضد الدولة . ووصل بعض أصحابه إلى نصيبين فاستولى عليها ، فجهز صمصام الدولة إليه العساكر مع أبي سعد بهرام بن أردشير ، فواقعه ، فانهزم بهرام وأسر جماعة من أصحابه وقوي أمر باذ، فأرسل صمصام الدولة إليه أبا القاسم سعد بن محمد الحاجب في عسكر كثير ، فالتقوا بباجلايا على خابور الحسنية من بلد كواشي ، واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم سد وأصحابه ، واستولى باذ على كثير من الديلم ، فقتل وأسر ثم قتل الأسرى صبراً ، وفي هذه الوقعة يقول ابو الحسين البشنوي .

¬ بباجلايا جلونا عنه غمغمة ونحن في الروع جلاؤن للكرب

(1) وقع هنا "باذ" بباء موحدة مفخمة وذال معجمة، وفي النجوم الزاهرة . وذيل تجارب الامم " باد " بموحدة مفخمة وذال مهملة . وهو لقب له .

¬- يعني باذا -وسنذكر سببه سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة إن شاء الله تعالى ، ولما هزم باذ الديلم وسعداً وفعل بهم ما تقدم ذكره ، سبقه سعد ، فدخل الموصل. وسار باذ في أثره ، فثار العامة بسعد لسوء سيرة الديلم فيهم فنجا منهم بنفسه . ودخل باذ إلى الموصل واستولى عليها ، وقويت شوكته وحدث نفسه بالتغلب على بغداد وإزالة الديلم عنها . وخرج من حد المتطرفين ، وصار في عداد أصحاب الأطراف ، فخافه صمصام الدولة وأهمه أمره وشغله عن غيره ، وجمع العساكر ليسيرها إليه ، فانقضت السنة .

وقد حدثني بعض أصدقائنا من الأكراد الحميدية ممن يعتني بأخبار باذ،أن باذا كنيته أبو شجاع ، واسمه باذ وأن أبا عبدالله الحسين بن دوستك هو أخو باذ ، وكان إبتداء أمره أنه كان يرعى الغنم ، وكان كريما جوادا ، وكان يذبح الغنم التي له ويطعم الناس ، فظهر عنه اسم الجود فاجتمع عليه الناس ، وصار يقطع الطريق ، وكلما حصل له شيء أخرجه فكثر جمعه ، وصار يغزو . ثم إنه دخل أرمينية فملك مدينة أرجيش - وهي أول مدينة ملكها - فقوي بها . وسار منها إلى ديار بكر فملك مدينة آمد ، ثم ملك مدينة ميافارقين وغيرها من ديار بكر ، وسار إلى الموصل ، فملكها كما ذكرناه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة استعمل العزيز بالله الخليفة العلوي على دمشق وأعمالها بكجور التركي مولى قرعويه (1) أحد غلمان سيف الدولة بن حمدان ، وكان له حمص ، فسار منها إلى دمشق وظلم أهلها وعسفهم وأساء السيرة فيهم ، وقد ذكرناه سنة اثنتين وسبعين مستقصى.

وفيها وزر أبو محمد علي بن العباس بن فسانجس لشرف الدولة .

وفيها في ربيع الأول انقض كوكب عظيم اضاءت له الدنيا ، وسمع له مثل دوي الرعد الشديد .

وفيها غلت الأسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد ، وعدمت الأقوات ، فمات في سن الناس جوعاً ، وفيها وزر آبو عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان لصمصام

(1) في تجارب الامم " قرغويه " وفي القلانسي ذيل تاريخ دمشق " قرغويه " وورد في تاريخ الطبري " قرعويه ".

الدولة . وفيها ورد القرامطة إلى قريب بغداد وطمعوا في موت عضد الدولة ، فصولحوا على سال أخذوه وعادوا ، وفيها في جمادى الآخرة توفي سعيد بن سلام أبو عثمان المغربي بنيسابور(ا) ومولده بالقيروان ،ودخل الشام فصحب الشيوخ منهم أبو الخير الأقطع ، وغيره وكان من أرباب الأحوال .

(1) ولد بقرية يقال لها كركنت - وهي بلد على ساحل البحر في جزيرة صقلية- كان أوحد عصره في الزهد والورع والعزلة، قال السلمي : لم نر مثله في علو الدرجة والحال وصون الوقت . واثنى عليه أبو سليمان الخطابي وغيره . جاور بمكة مدة سنين .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

ذكر عود الديلم إلى الموصل وانهزام باذ

لما استولى باذ الكردي على الموصل اهتم صمصام الدولة ، ووزيره ابن سعدان بأمره فوقع الاختيار على انفاذ زيار بن شهراكويه - وهو أكبر قوادهم - فأمره بالمسير إلى قتاله وجهزه ، وبالغ في أمره وأكثر معه الرجال والعدد والأموال ، وسار إلى باذ فخرج إليهم ولقيهم في صفر من هذه السنة . فأجلت الوقعة عن هزيمة باذ وأصحابه وأسر كثير من عسكره وأهله ، وحملوا إلى بغداد فشهروا بها ، وملك الديلم الموصل ، وأرسل زيار عسكراً مع سعد الحاجب في طلب باذ فسلكوا على جزيرة ابن عمر ، وأرسل عسكراً آخر إلى نصيبين فاختلفوا على مقدميهم فلم يطاوعوهم على المسير إليه ، وكان باذ بديار بكر قد جمع خلقا كثيرا ، فكتب وزير صمصام الدولة إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، وبذل له تسليم ديار بكر إليه ، فسير إليها جيشا ، فلم يكن لهم قوة بأصحاب باذ فعادوا إلى حلب ، وكانوا قد حصروا ميافارقين ، فلما شاهد سعد ذلك من عسكره أعمل الحيلة في قتل باذ غيلة، فوضع رجلا على ذلك ، فدخل الرجل خيمة باذ ليلا وضربه بالسيف - وهو يظن أنه يضرب رأسه - فوقعت الضربة على ساقه فصاح وهرب ذلك الرجل ، فمرض باذ من تلك الضربة واشفى على الموت ، وكان قد جمع معه من الرجال خلقا كثيرا فراسل زياراً ، وسعدا يطلب الصفح فاستقر الحال بينهم واصطلحوا على أن تكون ديار بكر لباذ ،والنصف من طور عبدين أيضاً ، وانحدر زيار إلى بغداد ، وأقام سعد بالموصل .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قلد أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجي ،حماية الكوفة وهي أول أمارة بني ثمال .

وفيها خطب أبو الحسين بن عضد الدولة بالأهواز لفخر الدولة ، وخطب له أبو طاهر بن عضد الدولة بالبصرة ، ونقشا اسمه على السكة. وفيها خطب لصمصام الدولة بعمان وكانت لشرف الدولة ونائبه بها أستاذ هرمز ، فصار مع صمصام الدولة ، فلما بلغ الخبر إلى شرف الدولة أرسل إليه جيشا فانهزم أستاذ هرمز ، وأخذ أسيرا وعادت عمان إلى شرف الدولة ، وحبس أستاذ هرمز- في بعض القلاع ، وطولب بمال كثيراً(1).

وفيها توفي علي بن كامة مقدم عسكر ركن الدولة(2) . وفيها أفرج شرف الدولة عن أبي منصور بن صالحان واستوزره ، وقبض كل على وزيره أبي محمد بن فسانجس . وفيها أرسل شرف الدولة رسولا إلى القرامطة ،. فلما عاد قال : إن القرامطة سألوني عن -

(ا) ذكر الوزير أبو شجاع هذه الحادثة بأوسع من هذا وأوضح في ذيله على كتاب الامم . وهاك نصها " كان المتولي بعمان في الوقت أبو جعفر استاذ هرمز بن الحسن من قبل شرت الدولة فما زال ابن شاهويه يفتل له في الذروة والغارب حق أماله إلى الحملة وأزاله عما كان عليه من الانحياز إلى ثرت الدولة وكعان صفوه مع من ببغداد لكون أبي علي الحسن ولده بها فجمع الأولياء والرعية بعمان على طاعة صمصام الدولة وخطب له على منابر تلك الأعمال ، ووصل الخبر الى بغداد فأظهرت المسرة وجلس صمصام الدولة للتهنئة . وكتب كتب الثائر الى أصحاب الاطراف على العادة وانفذ إلى استاذ هرمز العهد بالتقليد مع الخلع والحملات . وأحضر ابنه أبو علي الحسن وخلع عليه ونقله من رتبة النقابة الى رتبة الحجبة؛ ولما عرف شرت الدولة عصيان استاذ هرمز أخرج اليه أبا نصر خراشاذه في عسكر استظهر فيه ووقعت بينهما وقعة أجلت عن ظفر أبي نصر وحصول استاذ هرمز أسيراً تحت اعتقاله واستيلائه على رجاله وأمواله . وعند بلوغ أبي نصر ما أراده من ذلك رتب بعمان من يراعيها ويشحنها بمن يحميها وعاد إلى فارس ومعه استاذ هرمز فشهد بها ثم قرر عليه مالا ثقيلا وحمل إلى بعض القلاع مطالبا بتصحيحه .

(2) مات مسموما وسبب ذلك ان فخر الدولة والصاحب بن عباد عملاً جميعاً على أخذ علي بن كامة والاستيلاء على ماله وأعماله ، وعلما أنهما لا يقدران عليه لجلالة قدره . فعدلا إلى إعمال الحيلة ني أمره ، وهو أنه اجتمع رأيهما على موافقة شرابي -كان له - على سمه فتوصلا إليه وقررا أمور ذلك واتفق ان علي بن كامة عمل دعوة واحتفل بها واحتشد وسأل فخر الدولة

والصاحب الحضور عنده فواعداه بذلك وراسلا الشرابي بنعل ما تقرر معه في هذا اليوم وأعطياه سماً موجياً، ودخل علي بن كامة خزانة الشراب يتخير الأشربة ويذوقها فطرح الشرابي السم في بعض ما ذاقه فأحس في الحال باضطراب جسمه فدخل بيتاً وطرح نفسه فيه ، وألقى عليه كساء وعلم فخر الدولة خبره فتأخر عن الحضور وأطعم الناس وشتوا . وتركه أصحابه في موضعه وعندهم أنه نائم ولم يندموا على انباهه . فلما كان من غد رأوه على خملته فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً فأنفذ فخر الدولة الى داره من توكل بها،وإلى خزانته من استظهر عليها، وإلى قلاعه من أخذها وإلى أعماله من تولاها - وكان لعلي بن كامة أولاد فلم يتم لهم الأمر مع فخر الدولة -

الملك ، فأخبرتهم بحسن سيرته . فقالوا : من ذلك أنه استوزر ثلاثة في سنة لغير سبب فلم يغير شرف الدولة بعد هذا على وزيره أبي منصور بن صالحان .

وفي هذه السنة توفي أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي الحافظ المشهور ، وقيل : ئ سنة تسع وستين ، وكان ضعيفا في الحديث .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة جرت فتنة ببغداد بين الديلم ، وكان سببها أن أسفار بن كردويه -

وهو من أكابر القواد - استنفر من صمصام الدولة ، واستمال كثيرا من العسكر إلى طاعة شرف الدولة . واتفق رأيهم على أن يولوا الأمير بهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة العراق نيابة عن أخيه شرف الدولة . وكان صمصام الدولة مريضا فتمكن أسفار من الذي عزم عليه ، وأظهر ذلك وتأخر عن الدار ، وراسله صمصام الدولة يستميله ويسكنه فما زاده إلا تماديا . فلما رأى ذلك من حاله راسل الطائع يطلب منه الركوب معه . وكان صمصام الدولة قد أبل من مرضه ، فامتنع الطائع من ذلك ، فشرع صمصام الدولة واستمال فولاذ زماندار(ا) وكان موافقا لأسفار إلا أنه كان يأنف من متابعته لكبر شانه . فلما راسله صمصام الدولة أجابه واستحلفه على ما أراد وخرج من عنده ، وقاتل أسفار، فهزمه فولاذ وأخذ الأمير أبو نصر أسيرا ، وأحضر عند أخيه صمصام الدولة فرق له وعلم أنه لا ذنب له ، فاعتقله مكرما ، وكان عمره حينئذ خمس عشرة سنة ، وثبت أمر صمصام الدولة . وسعى إليه بابن سعدان الذي كان وزيره فعزله ، وقيل : إنه كان هواه معهم فقتل (1) . ومضى أسفار إلى الأهواز ، واتصل بالأمير أبي الحسن بن عضد الدولة ، وخدمه وسار باقي العسكر إلى شرف الدولة .

(1) بين الوزير أبو شجاع في ذيله الذي سعى بابن سعدان غد صمصام الدولة حتى قتل قال : لما قبض أسفار على أبي القاسم ، وأبي الحسن بن برمويه ، وأبي الحسن بن عمارة انتهز أبو القاسم الفرصة وأرسل في الحال الى صمصام الدولة يغريه بابن سعدان ويوهمه أن الذى جرئ كان من فعله وتدبيره ، وأنه لا يزمن ما تجدد منه في محبسه فسبق في هذا القول إلى ظنه ، وكان أحمد بن حفص المحري عدوا له فزاد بالاغراء به فأمر حينئذ بقتله وقتل معه أبو سعد بهرام على سبيل الجرف ، وقد كان خليفته وقت نظره وقتل أبو منصور غيظاً لأبي القاسم . وكان أبو بكر بن شاهويه معتقلاً فسلم لحسن اتفاق .

ذكر أخبار القرامطة

في هذه السنة ورد إسحاق وجعفر الهجريان في جمع كثير وهما من الستة القرامطة الذين يلقبون بالسادة ، فملكا الكوفة وخطبا لشرف الدولة ، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وباسهم ، وكان لهم من الهيبة ما ان عضد الدولة ، وبختيار أقطعاهم الكثير . وكان نائبهم ببغداد الذي يعرف بابي بكر بن شاهويه يتحكم تحكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة . فلما ورد القرامطة الكوفة كتب إليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما فذكرا أن قبض نائبهم هو السبب في قصدهم بلاده وبثا أصحابهما وجبيا المال . ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر إلى الجامعين - وهو من أكابرهم - فأرسل صمصام الدولة العساكر ، ومعهم العرب (1) فعبروا الفرات إليه وقاتلوه ، فانهزم عنهم ، وأسر أبو قيس وجماعة من قوادهم فقتلوا . فعاد القرامطة وسيروا جيشا آخر في عدد كثير وعدة فالتقوا هم وعساكر صمصام الدولة بالجامعين أيضاً ، فأجلت الوقعة عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمهم وغيره وأسر جماعة ونهب سوادهم . فلما بلغ المنهزمون إلى الكوفة ، رحل القرامطة وتبعهم العسكر إلى القادسية فلم يدركوهم ،وزال من حينئذ ناموسهم .

ذكر الإفراج عن ورد الروس وما صار أمره إليه ودخول الروس في النصرانية

في هذه السنة أفرج صمصام الدولة عن ورد الرومي ، وقد تقدم ذكر حبسه ، فلما كان الآن أفرج عنه وأطلقه وشرط عليه إطلاق عدد كثير من أسارى المسلمين ، وأن يسئم إليه سبعة حصون من بلد الروم برساتيقها ، وأن لا يقصد بلاد الإسلام لا هو ولا

(ا) في ذيل تجارب الأمم " فجرد اليهم من بغداد أبو الفضل المظفر بن محمود الحاجب في عدة من الديلم والاتراك ، والعرب . وأخرج أبو القاسم بن زعفران إلى ابراهيم بن فرح العقيلي لتسييره في طائفة من قومه وحصل أبو الفضل الحاجب بجسر بابل والقوم بازائه فعقدوا جسراً على الفرات فالى أن فرغ منه وصل ابراهيم وابن زعفران وحصلا مع القرامطة على أرض واحدة وتناوشوا وتطاردوا وفرغ الجسر وعبر سرعان الخير من الاتراك وفرسان الديلم وحملوا مع ابراهيم بن مرح وأصحابه على القوم حملة واحدة انكشفت عن هزيمتهم وأسر أبو قيس زعيمهم " الخ وهو تفصيل لما أجمله المصنف رحمه الله.

أحد من أصحابه ما عاش . وجهزه بما يحتاج إليه من مال وغيره (أ) . فسار إلى بلاد الروم ، واستمال في طريقه خلقا كثيرا من البوادي وغيرهم ، وأطمعهم في العطاء والغنيمة . وسار حتى نزل بملطية فتسلمها وقوي بها وبما فيها من مال وغيره . وقصد ورديس بن لاون ، فتراسلا ، واستقر الأمر بينهما على أن تكون قسطنطينية وما جاورها من شمالي الخليج لورديس ، وهذا الجانب من الخليج لورد . وتحالفا واجتمعا فقبض ورديس على ورد وحبسه . ثم إنه ندم ، فأطلقه عن قريب . وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان ابنا أرمانوس وهما بسيل (2) ، وقسطنطين وضيق عليهما فراسلا ملك الروسية واستنجداه وزوجاه بأخت لهما فامتنعت من تسليم نفسها إلى من يخالفها في الدين فتنصر ، وكان هذا أول النصرانية بالروس . وتزوجها وسار إلى لقاء ورديس ، فاقتتلوا وتحاربوا , فقتل ورديس ، واستقر الملكان في ملكهما ، وراسلا وردا وأقراه على ما بيده ، فبقي مدة مديدة ومات ، قيل : إنه مات مسموما . ؟تقدم بسيل في الملك ، وكان شجاعاً عادلا ، حسن الرأي ، ودام ملكه . وحارب البلغار خمسا وثلاثين سنة ، وظفر بهم وم جلى كثيرا منهم من بلادهم واسكنها الروم . وكان كثير الإحسان إلى المسلمين والميل إليهم.

ذكر ملك شرف الدولة الأهواز

في هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من فارس يطلب الأهواز وأرسل إلى أخيه أبي الحسن - وهو بها - يطيب نفسه ويعده الإحسان وأن يقره

(ا) ذكر الوزير أبو شجاع صفة لقاء ورد لصمصام الدولة بعد ما أفرج عنه وقبل سيره قال : كان الوقت شتاء والدار ومجالسها مملوءة بالفرش الحليلة وستور الديباج النسيحة معلقة على أبوابها وغلمان الخيل بالبزة الحسنة والأقبية الملونة وقوف ساطين بين يدي سدته وكانت قد نصبت ني السدلي الذهب الذي ننتح أبوابه الى البستان والى بعض الصحن والديلم من بعدهم على مثل ترتيبهم وزيهم الى دحلة . وعبر ورد وأخز وابنه في زبزب أنفذ إليهم يمشون بين السماطين الى حضرة صمصام الدولة وبحضرته كوانين من ذهب موضوعة فيها قطع العود نوقد، فلما ترب منه ورد طأطأ رأسه قليلا وقبل يده ورضع له كرسي ومخدة فجلس عليها، وسأله صمصام الدولة عن خبر. فدعا له وشكره بالروسية والترجمان يفسر عنه وله قال قولا معنا : قد تفضلت أيها الملك ما لا استحقه واودعت جميلاً عند من لا يجهله وأرجو أن يعين الله

على طاعتك وتأدية خرق فعلك . وقام ومش الحجاب والأصحاب بين يديه كنعلهم عند مدخله وعبر من الزبزب الى داره .

(2) في زيل تجارب الامم " باسيل " .

على ما بيده من الأعمال ، وأعلمه أن مقصده العراق وتخليص أخيه الأمير أبي نصر من محبسه . فلم يصغ أبو الحسين إلى قوله وعزم على منعه ، وتجهز لذلك ، فاتاه الخبر بوصول شرف الدولة إلى أرجان ، ثم إلى رامهرمز . فتسلل أجناده إلى شرف الدولة ونادوا بشعاره ، فهرب أبو الحسين نحو الري إلى عمه فخر الدولة ، فبلغ أصبهان وأقام بها ، واستنصر عمه فاطلق له مالا ووعده بنصره . فلما طال عليه الأمر قصد التغلب على أصبهان ونادى بشعار أخيه شرف الدولة ، فثار به جندها وأخذوه أسيرا وسيروه إلى الري ، فحبسه عمه وبقي محبوسا إلى أن مرض عمه فخر الدولة مرض الموت . فلما اشتد مرضه أرسل إليه من قتله . وكان يقول شعرا . فمن قوله :

- هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه وأعقب بالحسنى وفك من الأسر
- فمن لي بأيام الشباب التي مضت ومن لي بما قد فات في الحبس من عمري

وأما شرف الدولة فإنه سار إلى الأهواز وملكها ، وأرسل إلى البصرة فملكها ، وقبض على أخيه أبي طاهر وبلغ الخبر إلى صمصام الدولة فراسله في الصلح . فاستقر الأمر على أن يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ، ويكون صمصام الدولة نائبا عنه ، ويطلق أخاه الأمير بهاء الدولة أبا نصر ويسيره إليه وصلح الحال واستقام. وكان قواد شرف الدولة يحبون الصلح لأجل العود إلى أوطانهم . وخطب لشرف الدولة بالعراق ، وسيرت إليه الخلع والألقاب من الطائع لله إلى أن عادت الرسل إلى شرف الدولة ليحلفوه . ألقت إليه البلاد مقاليدها كواسط وغيرها ، وكاتبه القواد بالطاعة ، فعاد عن الصلح وعزم على قصد بغداد والإستيلاء على الملك ، ولم يحلف لأخيه. وكان معه الشريف أبو الحسن محمد بن عمر يشير عليه بقصد العراق وبحثه عليه ويطمعه فيه ، فوافقه على ذلك ، وسنذكر باقي خبره سنة ست وسبعين إن شاء الله تعالى .

ذكر انهزام عساكر المنصور من صاحب سجلماسة

قد ذكرنا استيلاء خزرون وزيري الزناتيين على سجلماسة وفاس ، وموت يوسف بلكين لما قصدهما . فلما مات تمكنا من تلك البلاد . فلما استقر المنصور سير جيشاً كثيفاً إليهما ليردهما إلى طاعته . فلما صار الجيش قريب فاس ، خرج إليهم صاحبها

زيري بن عطية الزناتي المعروف بالقرطاس في عساكر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . فانهزم عسكر المنصور وقتل منهم خلق كثير وأسر جماعة كثيرة وثبت قدمه في ولايته .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خرج بعمان طائر من البحر كبير أكبر من الفيل ، ووقف على تل هناك وصاح بصوت عال ،ولسان فصيح .قد قرب قد قرب قد قرب ثلاثا ثم غاص في البحر فعل ذلك ثلاثة أيام ثم غاب ، ولم ير بعد ذلك .

وفيها جدد صمصام الدولة ببغداد على الثياب الإبريسم والقطن المبيعة ضريبة مقدارها عشر الثمن ، فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على قطع الصلاة ، وكاد البلد يفتن فاعفوا من ذلك . وفيها توفي ابن مؤيد الدولة بن بويه ، فجلس صمصام الدولة للعزاء فاتاه الطائع لله معزيا . وفيها توفي أبو علي الحسين بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعي المشهور(1) ، وأبو القاسم عبد العزيز بن عبدالله الداركي ، وكان رئيس أصحاب الشافعي بالعراق (2) .

(ا) هو أحد مشايخ الشافعية اخذ الفقه عن ابي العباس بن سريج ، وأبي اسحق المروزي. وشرح مختصر المزني وعلق عنه الشرح ابو علي الطبري . وله مسائل في الفروع وله اختيارات كثيرة غريبة في المذهب . ودرس ببغداد ونخرج عليه خلق كثير وانتهت اليه امامة العراقيين وكان معظماً عند السلاطين والرعايا مات في رجب .

(2) نزل نيسابور سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ودرس الفقه بها سنين ثم انتقل الى بغداد وسكنها إلى حين وفاته -وكان ابو محدث اصبهان في وقته - اخذ الفقه عن أبي اسحاق المروزي وعليه تفقه الشيخ أبو حامد الاسفرايني بعد موت أبي الحسن بن المرزبان وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيرهم من اهل الآفاق . وانتهى إليه التدريس ببغداد وانتفع به خلق شهير وكان ثقة امينا وله في المذهب وجوه جيدة دالة على منانة علمه -وأخذ الحديث عن جد. لأمه الحسن بن محمد الداركي . وكان اذا جاءته مسالة تفكر طويلا ثم يفتي فيها وربما فتى على خلاف مذهب الإمامين : الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما فيقال له في ذلك فيقول : وبحكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الامامين . وكان يتهم بالاعتزال - اقول : وغالب من كان يتهم بالاعتزال كان يفتي بكتاب الله عز رجل رشة رسوله صلى الله عليه وسلم وإن خالف

مذهبه ظاهراً . وهكذا في زماننا من كان يفي بكتاب الله والسنة الصحيحة يتهم بأنه وهابي فإنا لله وانا إليه راجعون فالزمان يعيد نفسه -توفي رحمه الله تعالى ببغداد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال عن نيف وسبعين سنة، وقيل : انه توفي في ذي القعدة والأول اصح . والداركي -بفتح الدال المهملة وبعد الالف راء مفتوحة وبعدها كاف -قال السمعاني : هذه النسبة إلى دارك وظني انها قرية من قرى اصبهان .

وتوفي في شوال وله نيف وسبعون سنة ، وأبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن صالح الفقيه الماسي ، ومولده سنة سبع وثمانين ومائتين . وسئل أن يلي قضاء القضاة فامتنع (1). والوليد بن أسمد بن محمد بن الوليد أبو العباس الزوزني الصوفي المحدث ، كان من العلماء في الحقائق وله تصانيف حسنة .

(1) كان شيخ المالكية العراقيين وصاحب تصانيف وسمع الكثير بالشام والعراق والجزيرة وروى عن الباغندي ، وعبد الله بن بدران البجلي وطبقتهما توفي في شوال .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة

ذكر ملك شرف الدولة العراق وقبض صمصام الدولة

في هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من الأهواز إلى واسط فملكها . فأرسل إليه صمصام الدولة أخاه أبا نصر يستعطفه بإطلاقه - وكان محبوسا عنده - فلم يتعطف له . واتسع الخرق على صمصام الدولة ، وشغب عليه جنده فاستشار أصحابه في قصد أخيه والدخول في طاعته فنهوه عن ذلك . وقال بعضهم : "الرأي أننا نصعد إلى عكبرا لنعلم بذلك من هو لنا ممن هو علينا ، فإن رأينا عدتنا كثيرة قاتلناهم ، وأخرجنا الأموال ، لان عجزنا سرنا إلى الموصل فهي وسائر بلاد الجبل لنا فيقوى أمرنا . ولا بد أن الديلم ، والأتراك تجري بينهم منافسة ومحاسدة ويحدث إختلال فنبلغ الغرض " . وقال بعضهم : "الرأي أننا نسير إلى قرميسين تكاتب عمك فخر الدولة وتستنجده وتسير على طريق خراسان ، وأصبهان إلى فارس فتتغلب عليها على خزائن شرف الدولة وذخائره فما هناك ممانع ، ولا مدافع فاذا فعلنا ذلك لا يقدر شرف الدولة على المقام بالعراق ، فيعود حينئذ فيقع الصلح " . فاعرض صمصام الدولة عن الجميع . وسار في طيار إلى أخيه شرف الدولة في خواصه ، فوصل إلى أخيه شرف الدولة فلقيه وطيب قلبه . فلما خرج من عنده قبض عليه وأرسل إلى بغداد من يحتاط على دار المملكة .وسار فوصل إلى بغداد في شهر رمضان ، فنزل بالشفيعي وأخوه صمصام الدولة معه تحت الإعتقال. وكانت إمارته بالعراق ثلاث سنين وأحد عشر شهرا .

ذكر الفتنة بين الأتراك والديلم

في هذه السنة جرت فتنة بين الديلم ، والأتراك الذين مع شرف الدولة ببغداد . وسببها أن الديلم اجتمعوا مع شرف الدولة في خلق كثير، بلغت عدتهم خمسة عشر

ألف رجل . وكان الأتراك في ثلاثة آلاف فاستطال عليهم الديلم ، فجرت منازعة بين بعضهم في دار واصطبل ، ثم صارت إلى المحاربة . فاستظهر الديلم لكثرتهم ، وأرادوا ر إخراج صمصام الدولة وإعادته إلى ملكه . وبلغ شرف الدولة الخبر فوش بصمصام الدولة من يقتله إن هم الديلم بإخراجه . ثم إن الديلم ، لما استظهروا على الأتراك تبعوهم ، فتشوشت صفوفهم ، فعادت الأتراك عليهم من أمامهم وخلفهم ، فانهزموا، وقتل منهم زيادة على ثلاثة آلاف . ودخل الأتراك البلد فقتلوا من وجدوه منهم ، ونهبوا أموالهم . وتفرق الديلم فبعضهم اعتصم بشرف الدولة وبعضهم سار عنه .

فلما كان الغد دخل شرف الدولة بغداد والديلم المعتصمون به معه ، فخرج الطائع لله ولقيه وهنأه بالسلامة، وقبل شرف الدولة الأرض . وأخذ الديلم يذكرون صمصام الدولة ، فقيل لشرف الدولة : اقتله وإلا ملكوه الأمر. ثم ان شرف الدولة أصلح بين الطائفتين وحلف بعضهم لبعض . وحمل صمصام الدولة إلى فارس ، فاعتقل في قلعة هناك . فرد شرف الدولة على الشريف محمد بن عمر جميع أملاكه وزاده عليها . وكان خراج أملاكه كل سنة ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم . ورد على النقيب أبي ع أحمد الموسوي أملاكه . وأقر الناس على مراتبهم ومنع الناس من السعايات ، ولم يقبلها فأمنوا وسكنوا،ووزر له أبو منصور بن صالحان .

ذكر ولاية مهذب الدولة البطيحة

في هذه السنة توفي المظفر بن علي وولي بعده ابن أخته أبو الحسن علي بن نصر بالعهد المذكور. وكتب إلى شرف الدولة يبذل له الطاعة، ويطلب التقليد فأجيب إلى ذلك ولقب بمهذب الدولة . فاحسن السيرة وبذل الخير والإحسان ، فقصده الناس وأمن عنده الخائف ، وصارت البطيحة معقلاً لكل من قصدها. واتخذها الأكابر وطنا وبنوا فيها الدور الحسنة، ووسعهم بره وإحسانه . وكاتب ملوك الأطراف وكاتبوه . وزوجه بهاء الدولة ابنته -وعظم شانه إلى أن قصده القادر بالله فحماه ، وبقي عنده إلى أن أتته لأ الخلافة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي المنجم لعضد

الدولة ، وكان مولده بالري سنة إحدى وتسعين ومائتين .

وفيها كان بالموصل زلزلة شديدة تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس . وفيها قتل المنصور بن يوسف صاحب أفريقية عبدالله الكاتب ، وقام على ولاية الأعمال بافريقية عوضه يوسف بن أبي محمد، وكان والي قفصة قبل ذلك . وفيها كان بالعراق غلاء شديد جلا لشدته أكثر أهله .

. وفيها توفي أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي الأزرق الأنباري الكاتب ، وأحمد بن الحسين بن علي أبو حامد المروزي - ويعرف بابن الطبري - الفقيه الحنفي . تفقه ببغداد على أبي الحسن الكرخي ، وولي قضاه القضاة بخراسان ، ومات في صفر، وكان عابداً محدثاً ثقة . وإسحاق بن المقتدر بالله أبو محمد والد القادر ومولده سنة سبع عشرة وثلاثمائة وصلى عليه ابنه القادر، وهو حينئذ أمير، وأبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي صاحب الإيضاح ،قيل : كان معتزلياً وقد جاوز تسعين سنة، وأبو أحمد محمد بن أحمد بن الحسين بن الغطريف الجرجاني توفي في رجب ، وهو عالي الإسناد في الحديث .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة

ذكر الحرب بين بدر بن حسنويه وعسكر شرف الدولة

في هذه السنة جهز شرف الدولة عسكراً كثيفاً مع قراتكين الجهشياري – وهو مقدم عسكره وكبيرهم - وأمرهم بالمسير إلى بدر بن حسنويه وقتاله . وسبب ذلك أن شرف الدولة كان حنقا على بدر لانحرافه عنه ، وميله إلى عمه فخر الدولة . فلما استقر ملكه ببغداد وأطاعه الناس شرع في أمر بدر. وكان قراتكين قد جاوز الحد في التحكم والإذلال ، وحماية الناس على نواب شرف الدولة ، فرأى أن يخرجه في هذا الوجه ، فإن ظفر ببدر شفى غيظه منه وإن ظفر به بدر استراح منه . فساروا نحو بدر وتجهز بدر، وجمع العساكر وتلاقيا على الوادي بقرميسين ، فلما اقتتلوا ، انهزم بدر حتى توارى عنه ،وظن قراتكين وأصحابه أنه مضى على وجهه ، فنزلوا عن خيولهم وتفرقوا في خيامهم ، فلم يلبثوا إلا ساعة حتى كر بدر راجعاً إليهم ، وأكب عليهم وأعجلهم عن الركوب ، وقتل منهم مقتلة عظيمة، واحتوى على جميع ما في عسكرهم . ونجا قراتكين في نفر من غلمانه ، فبلغ جسر النهروان وأقام به حتى اجتمع إليه المنهزمون ، ودخل بغداد. واستولى بدر بعد ذلك على أعمال الجبل وما والاها ، وقويت شوكته .

وأما قراتكين فإنه لما عاد من الهزيمة زاد إذلاله وتجنيه ، وأغرى العسكر بالشغب والتوثب على الوزير أبي منصور بن صالحان ، فلقوه بما يكره ، فلاطفهم ودفعهم . وأصلح شرف الدولة بين الوزير وبين قراتكين ، وشرع في إعمال الحيلة على قراتكين . فلم تمض غير أيام حتى قبض عليه وعلى جماعة من أصحابه وكتابه ، وأخذ أموالهم . وشغب الجند لأجله ، فقتله شرف الدولة فسكنوا . وقدم عليهم طغان الحاجب ، فصلحت طاعته .

ذكر مسير المنصور بن يوسف لحرب كتامة

في هذه السنة جمع المنصور صاحب أفريقية عساكره ،وسار إلى كتامة قاصدا حربها . وسبب ذلك أن العزيز بالله العلوي بمصر، كان قد أرسل داعيا له إلى كتامة يقال له : أبو الفهم -واسمه حسن بن نصر-يدعوهم إلى طاعته ، وغرضه أن تميل كتامة إليه ، ويرسل إليه جنداً يقاتلون المنصور، ويأخذون أفريقية منه ، لما رأى من قوته . فدعاهم أبو الفهم فكثر تبعه ، وقاد الجيوش وعظم شانه ، وعزم المنصور على قصده . فأرسل إلى العزيز بمصر يعرفه الحال ، فأرسل العزيز رسولين الى المنصور ينهاه عن التعرض لأبي الفهم ، وكتامة ، وأمرهما أن يسيرا إلى كتامة بعد الفراغ من رسالة المنصور. فلفا وصلا إلى المنصور وأبلغاه رسالة العزيز أغلظ القول لهما وللعزيز أيضاً ، وأغلظا له فأمرهما بالمقام عنده بقية شعبان ورمضان ، ولم يتركهما يمضيان إلى كتامة . وتجهز لحرب كتامة ، وأبي الفهم . وسار بعد عيد الأضحى ، فقصد مدينة ميلة ، وأراد قتل أهلها وسبي نسائهم وذراريهم . فخرجوا إليه يتضرعون ويبكون ، فعفا عنهم وخرب سورها . وسار منها إلى كتامة والرسولان معه فكان لا يمر بقصر ولا منزل إلا هدمه ، حتى بلغ مدينة سطيف - وهي كرسي عزهم - فاقتتلوا عندها قتالا عظيما. فانهزمت كتامة وهرب أبو الفهم إلى جبل وعر فيه ناس من كتامة يقال لهم : بنو إبراهيم . فأرسل إليهم المنصور يتهددهم إن لم يسئموه فقالوا : "هو ضيفنا، ولا نسلمه ، ولكن أرسل أنط إليه فخذه ونحن لا نمنعه لما . فأرسل ، فأخذه وضربه ضرباً شديدا ثم قتله وسلخه . وأكلت صنهاجة ، وعبيد المنصور لحمه ، وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة ، وعاد إلى أشير .

ورد الرسولين إلى العزيز فاخبراه بما فعل بابي الفهم وقالا: "جئنا من عند شياطين يأكلون الناس " . فأرسل العزيز إلى المنصور يطيب قلبه ، وأرسل إليه هدية ولم يذكر له أبا الفهم .

ذكر معاودة باذ القتال

في هذه السنة تجدد لباذ الكردي طمع في بلاد الموصل وغيرها. وسبب ذلك أن سعدا الحاجب الذي تقدم ذكره ، توفي بالموصل ، فسير إليها شرف الدولة أبا نصر خواشاذه ، وجهز إليه العساكر. وكتب يستمد من شرف الدولة العساكر والأموال ،

فتأخرت الأموال عنه . فاحضر العرب من بني عقيل وأقطعهم البلاد ليمنعوا عنها. وانحدر باذ فاستولى على طور عبدين (1) ، ولم يقدر على النزول الى الصحراء ، وارسل أخاه في عسكر فقاتلوا العرب ، فقتل أخوه وانهزم عسكره وأقام بعضهم مقابل بعض . فبينما هم كذلك أتاهم الخبر بموت شرف الدولة، فعاد خواشاذه إلى الموصل وأظهر موته. وأقامت العرب بالصحراء تمنع باذا من النزول إليها وباذ بالجبل . وكان خواشاذه يصلح أمره ليعاود حرب باذ، فاتاه إبراهيم ، وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة، على ما نذكره ل ن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة جلس الطائع لله لشرت الدولة جلوسا عاما وحضره أعيان الدولة وخلع عليه ، وحلف كل واحد منهما لصاحبه (1) .

وفيها ويد الأمير ابو علي الحسن بن فخر الدولة في رجب . وفيها سار الصاحب بن عباد الى طبرستان ، فأصلحها ونفى المتغلبين عنها، وفتح عدة حصون ، منها حصن قريم وعاد في سنته . وفيها على الأمير أبو منصور بن كوريكنج صاحب قزوين على فخر الدولة ، فلاطفه فخر الدولة وبذل له الأمان والإحسان ، فعاد إلى طاعته. وفيها في رمضان حدثت فتنة شديدة بين الديلم والعامة بمدينة الموصل قتل فيها مقتلة عظيمة. ثم أصلح الحال بين الطائفتين . وفيها تأخر المطر حش انتصف كانون الثاني ، وغلت الأسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد ، واستسقى الناس مرتين ، فلم يسقوا حتى جاء المطر سابع عشر كانون الثاني ، وزال القنوط وتتابعت الأمطار.

(1) ذكر الوزير ابو شجاع الحادثة مفصلة ولاتمام الفائدة اذكرها كذلك قال : " ركب شرف الدولة في الطيار بعد ان ضربت له القباب على شاطىء دجلة وزينت الدور التي عليها فى الجانبين باحسن زينة وجلس الطائع لله جلوساً عاماً وخلع عليه الخلع السلطانية وتوجه وسوره وطوقه وعقد له بيده لواءين أسود وابيض . وقرىء عهده بين يديه وخرج من حضرته فدخل على اخته المتصلة بالطائع لله وأقام عندها إلى وقت العصر ثم انكفأ إلى داره والناس مقيمون على انتظاره . ولما حمل اللواء تخرق وانفصلت منه قطعة فتطير من ذلك فقال له الطائع لله : انما حملت الريح منه قطعة وتأويل ذلك أن تملك مهب الريح ، وكان أبو عبدالله محمد بن أحمد معروفاً في جملة من حضر مع شرف الدولة فلما رآه الطائع لله قال له :

¬ مرحباً بالأحبة القادمينا أوحشونا وطال ما آنسونا
فتيل الأرض بين يدي الخليفة وشكر ودعا .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

ذكر القبض على شكر الخادم

في هذه السنة قبض شرف الدولة على شكر الخادم ، وكان أخص الناس عند والده عضد الدولة وأقربهم إليه ، يرجع إلى قوله ويعول عليه . وكان سبب قبضه أنه كان أيام والده يقصد شرف الدولة ويؤذيه - وهو الذي تولى إبعاده إلى كرمان من بغداد ، وقام بأمر صمصام الدولة - فحقد عليه شرف الدولة ذلك . فلما ملك شرف الدولة العراق ، اختفى شكر، فطلبه أشد الطلب ، فلم يوجد. وكان له جارية حبشية قد تزوجها، فطلبها إليه فأقامت عنده مدة تخدمه ، وكان قد علق بقلبها غيره ، فصارت تأخذ المأكول وغيره وتحمله إلى حيث شاءت فأحس بها شكر فلم يحتملها، فضربها، فخرجت غضبى إلى باب دار شرف الدولة ، فأخبرت بحال شكر، فأخذه وأحضر عند شرف الدولة ، فأراد قتله ، فشفع فيه تحرير الخادم ، فوهبه له واستأذنه في الحج ، فأذن له . فسار إلى مكة ثم منها إلى مصر فنال هناك منزلة كبيرة . وسيرد خبره إن شاء الله تعالى .

ذكر عزل بكجور عن دمشق

في هذه السنة عزل بكجور عن دمشق . وسبب ذلك أنه أساء السيرة في دمشق وفعل الأعمال الذميمة. وكان الوزير يعقوب بن كلس منحرفاً عنه يسيء الرأي فيه ، وانضاف إلى ذلك ما فعله بأصحابه بدمشق على ما ذكرناه . فلما بلغه فعله بدمشق تحرك في عزله ، وقبح ذكره عند العزيز بالله ، فأجابه إلى ذلك ، فجهزت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم ، فساروا إلى الشام . فجمع بكجور العرب وغيرها، وخرج فلقي العسكر المصري عند داريا، وقاتلهم. فاشتد القتال بينهم فانهزم بكجور وعسكره وخاف من وصول نزال والي طرابلس . وكان قد كوتب من مصر بمعاضدة منير. فلما انهزم بكجور خاف أن يجيء نزال فيؤخذ، فأرسل يطلب الأمان ليسلم البلد إليهم ،

فأجابوه إلى ذلك . فجمع ماله جميعه ، وسار واخفى أثره لئلا يغدر المصريون به وتوجه الى الرقة فاستولى عليها . وتسئم منير البلد، ففرح أهله وسرهم ولايته . وسنذكر سنة إحدى وثمانين باقي أخباره وقتله إن شاء الله تعالى .

ذكر ظفر الأصفر بالقرامطة

في هذه السنة جمع إنسان يعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعاً كثيراً ، وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة، قتل فيها مقدم القرامطة، وانهزم أصحابه وقتل منهم وأسر كثير، وسار الأصفر إلى الإحساء ، فتحصن منه القرامطة . فعدل إلى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم ، وأموالهم ، ومواشيهم ، وسار بها إلى البصرة .

ذكر نكتة حسنة

في هذه السنة أهدى الصاحب بن عباد أول المحرم إلى فخر الدولة دينارا وزنه ألف مثقال. وكان على أحد جانبيه مكتوب :

- وأحمر يحكي الشمس شكلا وصورة فأوصافه مشتقة من صفاته
- فإن قيل دينار فقد صدق اسمه وإن قيل ألف كان بعض سماته
- بديع ولم يطبع على الدهر مثله ولا ضربت أضرابه لسراته
- فقد أبرزته دولة فلكية أقام بها الإقبال صدر قناته
- وصار إلى شاهانشاه انتسابه على أنه مستصغر لعفاته
- يخبر أن يبقى سنين كوزنه لتستبشر الدنيا بطول حياته
- تأنق فيه عبده وابن عبده وغرس أياديه وكافى كفاته

وكان على الجانب الآخر سورة الإخلاص ، ولقب الخليفة الطائع لله ، ولقب فخر الدولة، واسم جرجان . لأنه ضرب بها "قوله : دولة فلكية، يعني أن لقب فخر الدولة كان فلك الأمة . وقوله : وكافي كفاته ، فإن الصاحب كان لقبه كافي الكفاة" .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تتابعت الأمطار وكثرت البروق ، والرعود ، والبرد الكبار، وسالت منه الأودية ، وامتلأت الأنهار والآبار ببلاد الجبل ، وخربت المساكن وامتلأت الأقناء

طيناً وحجارة ، وانقطعت الطرق .

وفيها عصى نصر بن الحسن بن الفيرزان بالدامغان على فخر الدولة ، واجتاز به أحمد بن سعيد الشبيبي الخراساني مقبلاً من الري ، ومعه عسكر من الديلم لمحاربته . فلما رأى الجد في أمره ، راسل فخر الدولة وعاود طاعته ،فأجابه إلى قبول ذلك منه ، وأقره على حاله . وفيها توفي الأمير أبو علي بن فخر الدولة في رجب . رفيها وقع الوباء بالبصرة والبطائح من شدة الحر، فمات خلق كثير حتى امتلأت منهم الشوارع .

وفي شعبان كثرت الرياح العواصف ، وجاءت وقت العصر خامس شعبان ريح عظيمة بفم الصلح ، فهدمت قطعة من الجامع ، وأهلكت جماعة من الناس ، وغرقت كثيراً من السفن الكبار المملوءة، واحتملت زورقا منحدرا فيه دواب وعدة من السفر، وألقت الجميع على مسافة من موضعها.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد، كان محدثاً مكثراً ، ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين (أ)، وأبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن اسحاق الحاكم النيسابوري في ربيع الأول ، وهو صاحب التصانيف المشهورة .

(1) في شذرات الذهب : وهو بين الضعف واتهمه بعضهم . وعاش أربعاً وتسعين سنة 3 /92 .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

ذكر سمل صمصام الدولة

كان نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتل أخيه صمصام الدولة، وشرف الدولة يعرض عن كلامه . فلما اعتل شرف الدولة واشتدت علته ألح عليه نحرير. وقال له : " الدولة معه على خطر فإن لم تقتله فاسمله ". فأرسل في ذلك محمدا الشيرازي الفراش ، فمات شرف الدولة قبل أ.ن يصل الفراش إلى صمصام الدولة . فلما وصل الفراش إلى القلعة التي بها صمصام الدولة لم يقدم على سمله . فاستشار أبا القاسم العلاء بن الحسن الناظر هناك ، فأشار بذلك فسمله . وكان صمصام الدولة يقول : " ما ، أعماني إلا العلاء،لأنه أمضى في حكم سلطان قد مات ".

ذكر وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة

في هذه السنة مستهل جمادى الآخرة، توفي الملك شرف الدولة أبو الفوارس " شيرزيل بن عضد الدولة ،مستسقياً، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام ،فدفن به ، وكانت إمارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر وأياماً. وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر. ولما اشتدت علته سير ولده أبا علي إلى بلاد فارس ، وأصحبه بم الخزائن والعدد وجماعة كثيرة من الأتراك؛ فلما آيس أصحابه منه ، اجتمع إليه أعيانهم ، وسألوه أن يملك أحدا فقال : أنا في شغل عما تدعونني إليه ، فقالوا له : ليأمر أخاه بهاء الدولة أبا نصر أن ينوب عنه إلى أن يعافى ، ليحفظ الناس لئلا تثور فتنة، ففعل ذلك . وتوقف بهاء الدولة، ثم أجاب إليه (ا). فلما مات جلس بهاء الدولة في المملكة وقعد

(1) في ذيل تجارب الأمم " واستقرت الحال على اظهار استخلافه في غير ذلك اليوم ، وغدا الناس الى دار المملكة لذلك ، فجرى من بعض القواد والخواص مطالبة باستحقاقهم خرجوا فيها إلى التشديد فتقوض =

للعزاء(ا)، وركب الطائع لله أمير المؤمنين إلى العزاء في الزبزب ، فتلقاه بهاء الدولة، وقبل الأرض بين يديه . وانحدر الطائع لله إلى داره ، وخلع على بهاء الدولة خلع السلطنة، وأقر بهاء الدولة أبا منصور بن صالحان على وزارته.

ذكر مسير الأمير أبي علي بن شرف الدولة إلى فارس

وما كان منه مع صمصام الدولة

لما اشتد مرض شرف الدولة ، جهز ولده الأمير أبا علي وستره إلى فارس ، ومعه والدته وجواريه ، وسير معه من الأموال ، والجواهر، والسلاح أكثرها . فلما بلغ البصرة أتاهم الخبر بموت شرف الدولة ، فسير ما معه في البحر إلى أرجان ، وسار هو مجدا إلى أن وصل إليها . واجتمع معه من بها من الأتراك ، وساروا نحو شيراز ، وكاتبهم متوليها - وهو أبو القاسم العلاء بن الحسن - بالوصول إليها ليسلمها إليهم . وكان المرتبون في القلعة التي بها صمصام الدولة ، وأخوه أبو طاهر قد أطلقوهما ومعهما فولاذ، وساروا إلى سيراف . واجتمع على صمصام الدولة كثير س ت الديلم . وسار الأمير أبو علي إلي شيراز، ووقعت الفتنة بها بين الأتراك والديلم. وخرج . الأمير أبو علي من داره إلى معسكر الأتراك فنزل معهم . واجتمع الديلم وقصدوا ليأخذوه ويسلموه إلى صمصام الدولة، فرأوه قد انتقل إلى الأتراك فكشفوا القناه ونابذوا الأتراك ، وجرى بينهم قتال عدة أيام .

= الجمع من غير تقرير أمر وعاجلت شرف الدولة منيته فغض نحبه وكتم أمره ليلة واحدة، وأصبح الناس ، وعند أكثرهم خبره واجتمع العسكر فطلبوا الامير أبا نصر برسم البيعة وتردد الخوض معهم في أمر العطاء ومبلغ ما أطلق لكل واحد منهم ، فتولى خطابهم بنفسه واعلمهم خلو الخزائن من المال الذي بعمهم ، ووعدهم بكسر ما فيها من الأواني والصياغات وضربها عيناً وورقاً وصرفها اليهم واطل المساء وراحوا الى منازلهم من غير استقرار وباكروا الغدو إلى الدار فوجدوا الأمير أبا نصر قد أظهر المصيبة وجلس للتعزية فامسكوا عن الخطاب .

(1) قال الوزير أبو شجاع بعد ما ساق موته : ثم بلغ الكتاب أجله ، ودعاه الداعي فاستعجله ، وبزته المنية ثوبي ملكه وشبابه ، واختطفته من بين حشمه وأصحابه ، فمضى غضاً طرياً إما سعيداً وإما شقياً في سبيل لابد للخلائق من سلوكها . ولا فرق فيها بين سوقتها وملوكها، وربما كانت السوقة أخف ظهوراً وأسرع في تلك الغمرات عبوراً . فأف لدار هذه صورة سكانها ولشجرة هذه ثمرة أغصانها، لقد ضل من اتخذ هذه الدار قراراً، واستطاب من هذه

الشجرة ثماراً . فطوبى لمن تصر في الدنيا أمله وأصلح للآخرة عمله قال الله تعالى : { إنما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار }.

ثم سار أبو علي والأتراك إلى فسا فاستولوا عليها ، وأخذوا ما بها من مال وقتلوا من بها من الديلم ، وأخذوا أموالهم ، وسلاحهم فقووا بذلك . وسار أبو علي إلى أرجان وعاد الأتراك إلى شيراز، فقاتلوا صمصام الدولة ومن معه من الديلم ، ونهبوا البلد وعادوا إلى أبي علي بأرجان ، وأقاموا معه مديدة . ثم وصل رسول من بهاء الدولة إلى أبي علي ، وأدى الرسالة، وطيب قلبه ووعده . ثم إنه راسل الأتراك سراً، واستمالهم إلى نفسه ، وأطمعهم ، فحسنوا لأبي علي المسير إلى بهاء الدولة. فسار إليه ، فلقيه بواسط منتصف جمادى الآخرة سنة ثمانين وثلاثمائة، فأنزله وأكرمه وتركه عدة أيام ، وقبض عليه ثم قتله بعد ذلك بيسير(ا). وتجهز بهاء الدولة للمسير إلى الأهواز لقصد بلاد فارس.

ذكر الفتنة ببغداد بين الأتراك والديلم

وفي هذه السنة أيضاً وقعت الفتنة ببغداد بين الأتراك والديلم ، واشتد الأمر ودام القتال بينهم خمسة أيام ، وبهاء الدولة في داره يراسلهم في الصلح ، فلم يسمعوا قوله ، وقتل بعض رسله . ثم إنه خرج الى الأتراك ، وحضر القتال معهم . فاشتد حينئذ الأمر وعظم الشر. ثم انه شرع في الصلح ورفق بالأتراك ، وراسل الديلم . فاستقر الحال بينهم وحلف بعضهم لبعض . وكانت مدة الحرب اثني عشر يوماً . ثم إن الديلم تفرقوا، فمضى فريق بعد فريق وأخرج بعضهم ، وقبض على البعض . فضعف أمرهم وقويت شوكة الأتراك ، واشتدت حالهم .

ذكر مسير فخر الدولة إلى العراق وما كان منه

وفي هذه السنة ، سار فخر الدولة بن ركن الدولة من الري إلى همذان عازما على قصد العراق ، والاستيلاء عليها . وكان سبب حركته ان صاحب بن عباد كان يحب العراق لا سيما بغداد، ويؤثر التقدم بها ويرصد أوقات الفرصة . فلما لوفي شرف الدولة علم أن الفرصة قد أمكنت ، فوضع على فخر الدولة من يعظم عنده ملك العراق ،

(1) في ذيل تجارب الامم " وسار بهاء الدولة الى فارس فلما عادم الى العراق استدعاه وتولى أبو الحسن الكوكبي المعلم قتله خنقاً بيده ".

ويسهل أمرها عليه . ولم يباشر هو ذلك خوفا من خطر العاتبة إلى أن قال له فخر الدولة، ما عندك في هذا الأمر. فأحال على أن سعادته تسهل كل صب ، وعظم البلاد . فتجهز وسار إلى همذان ، وأتاه بدر بن حسنويه وقصده دبيس بن عفيف الأسدي . فاستقر الأمر على أن يسير الصاحب بن عباد وبدر إلى العراق على الجادة ويسير فخر الدولة على خوزستان . فلما صار الصاحب حذر فخر الدولة من ناحيته . وقيل له : ربما استماله أولاد عضد الدولة، فاستعاده إليه وأخذه معه إلى الأهواز، فملكها وأساء السيرة مع جندها، وضيق عليهم ولم يبذل المال . فخابت ظنون الناس فيه . واستشعر منه أيضاً عسكره وقالوا : هكذا يفعل بنا إذا تمكن من إرادته فتخاذلوا . وكان الصاحب قد أمسك نفسه تأثراً بما قيل عنه من إتهامه فالأمور بسكوته غير مستقيمة .

فلما سمع بهاء الدولة بوصولهم إلى الأهواز، سير إليهم العساكر والتقوا هم وعساكر فخر الدولة . فاتفق أن دجلة الأهواز زادت ذلك الوقت زيادة عظيمة ، وانفتحت البثوق منها، فظنها عسكر فخر الدولة مكيدة، فانهزموا، فقلق فخر الدولة من ذلك . وكان قد استبد برأيه ، فعاد حينئذ إلى رأي الصاحب ، فأشار ببذل المال واستصلاح الجند . وقال له : (إن الرأي في مثل هذه الأوقات إخراج المال ، وترك مضايقة الجند فان أطلقت المال ضمنت لك حصول أضافه بعد سنة " . فلم يفعل ذلك ، وتفرق عنه كثير من عسكر الأهواز، واتسع الخرق عليه ، وضاقت الأمور به فعاد إلى الري؛ وقبض في طريقه على جماعة من القواد الرازيين وملك أصحاب بهاء الدولة الأهواز.

ذكر هرب القادر بالله إلى البطيحة

في هذه السنة هرب القادر بالله من الطائع لله إلى البطيحة فاحتمى فيها . وكان سبب ذلك أن إسحاق بن المقتدر والد القادر لما توفي جرى بين القادر وبين أخت (1) له منازعة في ضيعة، وطال الأمر بينهما . ثم إن الطائع لكه مرض مرضا أشفى منه ، ثم أبل ، فسعت إليه بأخيه القادر وقالت له : إنه شرع في طلب الخلافة عند مرضك . فتغير رأيه فيه . فانفذ أبا الحسن بن النعمان وغيره للقبض عليه ، وكان بالحريم الطاهري ، فأصعدوا في الماء إليه .

(1) سماها في ذيل تجارب الامم " آمنه بنت معجبة " .

وكان القادر قد رأى في منامه كان رجلا يقرأ عليه { الذين قال لهم الناس ، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل }(ا) . فهو ، يحكي هذا المنام لأهله ويقول : أنا خائف من طالب يطلبني .

ووصل أصحاب الطائع لله إليه واستدعوه ، فأراد لبس ثيابه فلم يمكنوه من مفارقتهم ، فأخذه النساء منهم قهراً، وخرج عن داره واستتر. ثم سار إلى البطيحة فنزل على مهذب الدولة فأكرم نزله ووسع عليه ، وحفظه وبالغ في خدمته ، ولم يزل عنده إلى . أن أتته الخلافة . فلما وليها جعل علامته ، حسبنا الله ونعم الوكيل .

ذكر عود بني حمدان إلى الموصل

في هذه السنة ملك أبو طاهر إبراهيم ، وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان الموصل . وسبب ذلك أنهما كانا في خدمة شرف الدولة ببغداد. فلما توفي وملك بهاء الدولة، استأذنا في الإصعاد إلى الموصل ، فأذن لهما فأصعدا . ثم علم القواد الغلط في ذلك ، فكتب بهاء الدولة إلى خواشاذه - وهو يتولى الموصل - يأمره بدفعهما عنها . فأرسل إليهما خواشاذه يأمرهما بالعود عنه ، فأعادا جواباً جميلاً وجداً في السير، حتى نزلا بالدير الأعلى بظاهر الموصل . وثار أهل الموصل بالديلم ، والأتراك فنهبوهم وخرجوا إلى بني حمدان . وخرج الديلم إلى قتالهم ، فهزمهم المواصلة، وبنو حمدان ، وقتل منهم خلق كثير، واعتصم الباقون بدار الإمارة، وعزم أهل الموصل على قتلهم والاستراحة منهم ، فمنعهم بنو حمدان عن ذلك . وسيروا خواشاذه ومن معه إلى بغداد،وأقاموا بالموصل وكثر العرب عندهم .

ذكر خلاف كتامة على المنصور

وفي هذه السنة خرج إنسان آخر من كتامة يقال له : أبو الفرج ، لا يعرف من أي موضع هو وزعم أن أباه ولد القائم العلوي جد المعز لدين الله ، فعمل أكثر مما عمله أبو الفهم؛ واجتمعت إليه كتامة واتخذ البنود والطبول ، وضرب السكة، وجرت بينه وبين نائب المنصور وعساكره بمدينة ميلة، وسطيف حروب كثيرة ووقعات متعددة .

فسار المنصور إليه في عساكره ، وزحف هو إلى المنصور في عساكر كتامة . فكان بينهما حرب شديدة . فانهزم أبو الفرج ، وكتامة وقتل منهم مقتلة عظيمة . واختفى أبو الفرج

(1) آل عمران 173 .

في غار في جبل فوثب عليه غلامان كانا له فأخذاه ، وأتيا به المنصور، فسره ذلك وقتله شر قتلة .

وشحن المنصور بلاد كتامة بالعساكر وبث عماله فيها، ولم يدخلها عامل قبل ذلك . فجبوا أموالها وضيقوا على أهلها . ورجع المنصور إلى مدينة أشير فأتاه سعيد بن خزرون الزناتي ، وكان أبوه قد تغلب على سجلماسة سنة خمس وستين وثلاثمائة، وصار في طاعة المنصور واختص به ، وعلت منزلته عنده . فقال له المنصور يوماً : يا سعيد هل تعرف أحدا أكرم مني ؟ -وكان قد وصله بمال كثير-فقال : نعم أنا أكرم منك . فقال المنصور : وكيف ذلك ؟ قال . لأنك جدت علي بالمال ، وأنا جدت عليك بنفسي. فاستعمله المنصور على طبنة وزوج ابنه ببعض بنات سعيد. فلامه على ذلك بعض أهله فقال : كان أبي ، وجدي يستتبعانهم بالسيف ، وأما أنا فمن رماني برمح رميته بكيس ، حتى تكون مودتهم طبعا واختيارا . ورجع سعيد إلى أهله وبقي إلى سنة إحدى وثمانين . ثم عاد إلى المنصور زائراً فاعتل سعيد أياما وتوفي أول رجب . ثم قدم فلفل بن سعيد على المنصور فاحسن إليه ، وحمل إليه مالا كثيرا ، فرده إلى طبنة ولاية أبيه .

ذكر خلاف عم المنصور عليه

في هذه السنة أيضاً خالف أبو البهار عم المنصور بن يوسف بلكين صاحب أفريقية عليه ، لشيء جرى عليه من المنصور لم يحمله له لعزة نفسه . فسار المنصور إليه بتاهرت ، ففارقها عمه إلى الغرب بمن معه من أهلها وأصحابه ، ودخل عسكر المنصور تاهرت فانتهبوها . ثم طلب أهلها الأمان فأمنهم . ثم سار في طلب عمه ، حتى جاوز تاهرت بسبع عشرة مرحلة . ولقي العسكر شدة، وقصد عمه زيري بن عطية صاحب فاس ، فأكرمه وأعلى محنه وبقي جنده يغيرون على نواحي المنصور، وفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة قصدوا النواحي المجاورة لفاس ، فأوقعوا بأصحاب المنصور بها واستولوا عليها؛ ثم ندم أبو البهار فسار إلى المنصور معتذرا مما جرى منه ، فقبله المنصور وأحسن إليه وأكرمه وحمل إليه كل ما يحتاج إليه من مال وغيره .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على أبي الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي ، وكان قد عظم شانه مع شرف الدولة واتسع جاهه ، وكثرت أمواله ، فلما ولي

بهاء الدولة سعى به أبو الحسن المعلم إليه ، وأطمعه في أمواله وملكه. وعظم ذلك عنده وقبض عليه . وفيها أسقط بهاء الدولة ما كان يؤخذ من المراعي من سائر السواد. وفيها ولد الأمير أبو طالب رستم بن فخر الدولة . وفيها خرج ابن الجراح الطائي على الحجاج بين سميراء وفيد، ونازلهم فصالحوه على ثلاثمائة ألف درهم وشيء من الثياب ، فأخذها وانصرف . وفيها بني جامع القطيعة ببغداد(أ). وفيها توفي محمد بن أحمد بن العباس بن أحمد بن جلاد أبو العباس السلمي النقاش (2). كان من متكلمي الأشعرية وعنه أخذ أبو علي بن شاذان الكلام ، وكان ثقة في الحديث .

(1) أي قطيعة ام جعفر. وهو بالجانب الغربي من بغداد، وكان اصل نجاه هذا المسجد ان امرأة رأت في منامة رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في مكانه ووضع يده في جدار هناك فلما اصبحت فذكرت ذلك فوجدوا اثو الكف ني ذلك الموضع فبني مسجداً ثم توفيت تلك المرأة في ذلك اليوم ثم ان الشريف أبا أحمد الموسوي حدده وجعله جامعاً وصلى الناس فيه في هذه السنة . البداية والنهاية 11 /328 .

(2) في شذرات الذهب 3/ 94 " أبو جعفر الجوهرى البغدادي نقاش الفضة . توفي في المحرم وله سبع وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة

ذكر قتل باذ

في هذه السنة قتل باذ الكردي صاحب ديار بكر. وكان سبب قتله أن أبا طاهر، والحسين ابني حمدان لما ملكا بلاد الموصل طمع فيها باذ ، وجمع الأكراد فأكثر، وممن أطاعه الأكراد البشنوية أصحاب قلعة فنك ، وكانوا كثيرا. ففي ذلك يقول الحسين البشنوي الشاعر لبني مروان يعتد عليهم بنجدتهم خالهم باذا من قصيدة :

¬ البشنوية أنصار لدولتكم وليس في ذا خفا في العجم والعرب

¬ أنصار باذ بارجيش وشيعته بظاهر الموصل الحدباء في العطب

¬ بباجلايا جلونا عنه غمغمة ونحن في الروع جلاؤون للكرب

وكاتب أهل الموصل ، فاستمالهم ، فأجابه بعضهم . فسار إليهم ونزل بم الجانب الشرقي ، فضعفا عنه ، وراسلا أبا الذواد محمد بن المسيب ، أمير بني عقيل ، واستنصراه . فطلب منهما جزيرة ابن عمر، ونصيبين ، وبلدا ، وغير ذلك . فأجاباه إلى ما طلب واتفقوا . وسار إليه أبو عبد الله بن حمدان وأقام أبو طاهر بالموصل يحارب باذا؛ فلما اجتمع أبو عبد الله ، وأبو الذواد، سارا إلى بلد وعبرا دجلة ، وصارا مع باذ على أرض واحدة – وهو لا يعلم – فاتاه الخبر بعبورهما ، وقد قارباه . فأراد الانتقال إلى الجبل لئلا يأتيه هؤلاء من خلفه ، وأبو طاهر من أمامه ، فاختلط أصحابه وأدركه الحمدانية فناوشوهم القتال. وأراد باذ الانتقال من فرس إلى آخر فسقط ، واندقت ترقوته؛ فاتاه ابن أخته أبو علي بن مروان ، وأراده على الركوب فلم يقدر، فتركوه وانصرفوا واحتموا بالجبل . ووقع باذ بين القتلى، فعرفه بعض العرب ، فقتله وحمل رأسه إلى بي حمدان ، وأخذ جائزة سنية ، وصلبت جثته على دار الإمارة. فثار العامة وقالوا : رجل غاز ولا يحل فعل هذا به . وظهر منهم محبة كثيرة له وأنزلوه ، وكفنوه وصلوا عليه ، ودفنوه .

لما قتل باذ سار ابن أخته أبو علي بن مروان في طائفة من الجيش إلى حصن كيفا - وهو على دجلة وهو من أحصن المعاقل - وكان به امرأة باذ وأهله . فلما بلغ الحصن قال لزوجة خاله : قد أنفذني خالي إليك في مهم. فظنته حقا، فلما صعد إليها أعلمها بهلاكه ، وأطمعها في التزوج بها فوافقته على ملك الحصن وغيره ، ونزل وقصد حصنا حتى ملك ما كان لخاله . وسار إلى ميافارقين وسار إليه أبوطاهر، وأبوعبد الله ابنا حمدان طمعا فيه ومعهما رأس باذ، فوجدا أبا علي قد أحكم أمره. فتصافوا واقتتلوا وظفر أبو علي وأسر أبا عبد الله بن حمدان ، فأكرمه وأحسن إليه ثم أطلقه . فسار إلى أخيه أبي طاهر- وهو بآمد يحصرها - فأشار عليه بمصالحة ابن مروان فلم يفعل ،. واضطر أبو عبد الله إلى موافقته . وسارا إلى ابن مروان فواقعاه فهزمهما، وأسر أبا عبد الله أيضاً، فأساء إليه وضيق عليه ، إلى أن كاتبه صاحب مصر وشفع إليه فأطلقه . ومضى إلى مصر وتقلد منها ولاية حلب (ا)، وأقام بتلك الديار إلى أن توفي . وأما أبو طاهر فإنه لما وصل إلى نصيبين قصده أبو الذواد فأسره ، وعليا ابنه ، والمزعفر أمير بني نمير، وقتلهم صبراً .

وأقام ابن مروان بديار بكر وضبطها وأحسن إلى أهلها وألان جانبه لهم . فطمع فيه أهل ميافارقين فاستطالوا على أصحابه فأمسك عنهم إلى يوم العيد، وقد خرجوا إلى المصلى ، فلما تكاملوا في الصحراء وافى إلى البلد وأخذ أبا الصقر شيخ البلد فألقاه من على السور، وقبض على من كان معه . وأخذ الأكراد ثياب الناس خارج البلد وأغلق أبواب البلد ، وأه لم أهله أن ينصرفوا حيث شاؤوا . ولم يمكنهم من الدخول فذهبوا كل مذهب. وكان قد تزوج ست الناس ، بنت سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، فأتته من حلب ، فعزم على زفافها بآمد. فخاف شيخ البلد - واسمه عبد البر-أن يفعل بهم مثل فعله بأهل ميافارقين ، فاحضر ثقاته وحلفهم على كتمان سره وقال لهم : " قد صح عزم الأمير على أن يفعل بكم مثل فعله بأهل ميافارقين وهو يدخل من باب الماء، ويخرج من باب الجهاد، فقفوا له في الدركاه ،وانثروا عليه هذه الدراهم ، ثم اعتمدوا بها وجهه ، فانه سيغطيه بكمه ،فاضربوه بالسكاكين في مقتله ". ففعلوا. وجرت الحال

(1) في تاريخ ابن القلانسي أنه في سنة 387 ولي صور من قبل الحاكم صاحب مصر.

كما وصف وتولى قتله إنسان يقال له : ابن دمنة، كان فيه إقدام وجراءة . فاختبط الناس وماجوا فرمى برأسه إليهم ، فأسرعوا السير إلى ميافارقين. وحدث جماعة من الأكراد نفوسهم بملك البلد فاستراب بهم مستحفظ ميافارقين ، لإسراعهم ،قال : "ان كان الأمير حيا فادخلوا معه ، وإن كان قتل فأخوه مستحق لموضعه " . فما كان بأسرع من أن وصل ممهد الدولة أبو منصور بن مروان أخو أبي علي إلى ميافارقين ، ففتح له باب البلد، فدخله وملكه ، ولم يكن له فيه إلا السكة والخطبة لما نذكره .

وأما عبد البر فاستولى على آمد، وزوج ابن دمنة الذي قتل أبا علي ابنته ، فعمل له ابن دمنة دعوة وقتله . وملك آمد وعمر البلد وبنى لنفسه قصرا عند السور، وأصلح أمره مع ممهد الدولة، وهادى ملك الروم ، وصاحب مصر، وغيرهما من الملوك وانتشر ذكره . وأما ممهد الدولة فإنه كان معه إنسان من أصحابه يسمى شروة حاكماً في مملكته . وكان لشروة غلام قد ولاه الشرطة . وكان ممهد الدولة يبغضه ويريد قتله ويتركه احتراما لصاحبه . ففطن الغلام لذلك فافسد ما بينهما. فعمل شروة طعاما بقلعة الهتاخ (أ) - وهي إقطاعه - ودعا إليها ممهد الدولة . فلما حضر عنده ، قتله وذلك سنة اثنتين وأربعمائة . وخرج من الدار إلى بني عم ممهد الدولة . فقبض عليهم وقيدهم وأظهر أن ممهد الدولة أمره بذلك . ومضى إلى ميافارقين وبين يديه المشاعل ففتحوا له ظنا منهم أنه ممهد الدولة، فملكها .

وكتب إلى أصحاب القلاع يستدعيهم . وأنفذ إنسانا إلى أرزن ليحضر متوليها، ويعرف بخواجه أبي القاسم . فسار خواجه نحو ميافارقين ولم يسلم القلعة إلى القاصد إليه . فلما توسط الطريق سمع بقتل ممهد الدولة ، فعاد إلى أرزن (2). وأرسل إلى أسعرد فاحضر أبا نصر بن مروان أخا ممهد الدولة ، وكان أخوه قد أبعده عنه ، وكان يبغضه لمنام رآه . وهو أنه رأى كأن الشمس سقطت في حجره ، فنازعه أبو نصر عليها وأخذها فأبعده لهذا وتركه باسعرد مضيقا عليه . فلما استدعاه خواجة قال له : دبير تفلح قال : نعم . وكان شروة قد أنفذ إلى أبي نصر فوجدوه قد سار إلى ارزن فعلم حينئذ انتقاض

(1) الهتاخ : بالفتح والتشديد : قلعة حصينة في ديار بكر قرب ميافارقين .

(2) أرزن : بالفتح ثم السكون وفتح الزاي ونون : وهى مدينة مشهورة قرب خلاط ، ولها قلعة حصينة، وكانت من أعمر نواحي أرمينية .

أمره. وكان مروان والد ممهد الدولة قد أضر وهو بارزن عند قبر ابنه أبي علي هو وزوجته . فاحضر خواجه أبا نصر عندهما وحلفه على القبول منه والعدل ، وأحضر القاضي الشهود على اليمين وملكه أرزن ، ثم ملك سائر بلاد ديار بكر. فدامت أيامه وأحسن السيرة ، وكان مقصدا للعلماء من سائر الأفاق ، وكثروا ببلاده . وممن قصده أبو عبد الله الكازروني ، وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر. وتصده الشعراء وأكثروا مدحه وأجزل جوائزهم وبقي كذلك من سنة اثنتين وأربعمائة إلى سنة ثلاث وخمسين . فتوفي فيها وكان عمره نيفا وثمانين سنة. وكانت الثغور معه آمنة، وسيرته في رعيته أحسن سيرة ، فلما مات ملك بلاده ولده .

ذكر ملك آل المسيب الموصل

لما انهزم أبو طاهر بن حمدان من أبي علي بن مروان كما ذكرناه ، سار إلى نصيبين في قلة من أصحابه ، وكانوا قد تفرقوا . فطمع فيه ابر الذواد محمد بن المسيب أمير بني عقيل - وكان صاحب نصيبين حينئذ كما ذكرناه - فثار بابي طاهر فأسره وأسر ولده ، وعدة من قوادهم ، وقتلهم وسار إلى الموصل فملكها وأعمالها . وكاتب بهاء الدولة يسأله أن ينفذ إليه من يقيم عنده من أصحابه ، يتولى الأمور. فسير إليه قائداً من قواده . وكان بهاء الدولة قد سار من العراق إلى الأهواز على ما نذكره إن شاء الله تعالى . وأقام نائب بهاء الدولة وليس له من الأمر شيء ولا يحكم إلا فيما يريده أبو الذواد . وسيرد من ذكره وذكر عقبه ما تقف عليه إن شاء الله تعالى.

ذكر مسير بهاء الدولة إلى الأهواز وما كان منه ومن صمصام الدولة

في هذه السنة سار بهاء الدولة عن بغداد إلى خوزستان عازما على قصد فارس واستخلف ببغداد أبا نصر خواشاذه ، ووصل إلى البصرة ودخلها، وسار عنها إلى خوزستان . فاتاه نعي أخيه أبي طاهر، فجلس للعزاء به . ودخل أرجان فاستولى عليها، وأخذ ما فيها من الأموال . فكان ألف ألف دينار وثمانية ألف ألف درهم ، ومن الثياب والجوهر ما لا يحصى، فلما علم الجند بذلك شغبوا شنباً متتابعاً ، فاطلقت تلك

الأموال كلها لهم ، ولم يبق منها إلا القليل (1) .

ثم سارت مقدمته وعليها أبو العلاء بن الفضل إلى النوبندجان ، وبها عساكر صمصام الدولة فهزمهم وبث أصحابه في نواحي فارس .فسيرا إليهم صمصام الدولة عسكراً وعليهم فولاذزماندار(2)، فواقعهم فانهزم أبو العلاء وعاد مهزوما . وكان سبب الهزيمة أنه كان بين العسكرين واد، وعليه قنطرة، وكان أصحاب أبي العلاء يعبرون القنطرة ويغيرون على أثقال الديلم عسكر صمصام الدولة، فوضع فولاذ كمينا عند القنطرة . فلما عبر أصحاب بهاء الدولة خرجوا عليهم ، فقتلوهم جميعهم . وراسل فولاذ آبا العلاء وخدعه ، ثم سار إليه وكبسه ، فانهزم من بين يديه وعاد إلى أرجان مهزوما، وغلت الأسعار بها .

ولما بلغ الخبر إلى صمصام الدولة سار عن شيراز إلى فولاذ وترددت الرسل في الصلح فتم على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس ، وأرجان ، ولبهاء الدولة خوزستان ، والعراق ، وأن يكون لكل واحد منهما أقطاع في بلد صاحبه ، وحلف كل واحد منهما لصاحبه . وعاد بهاء الدولة الى الأهواز. ولما سار بهاء الدولة عن بغداد ثار العيارون بجاني بغداد ، ووقعت الفتن بين أهل السنة والشيعة ، وكثر القتل بينهم وزالت الطاعة وأحرق عدة محال ، ونهبت الأموال وأخربت المساكن . ودام ذلك عدة شهور، إلى أن عاد بهاء الدولة إلى بغداد.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على وزيره أبي منصور بن صالحان ، واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير قبل مسيره إلى خوزستان ، وكان المدبر لدولة بهاء الدولة أبا الحسين المعلم وإليه الحكم .

وفيها توفي أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وزير العزيز صاحب مصر، وكان

(1) في ذيل تجارب الامم " حتى لم يبق منها بعد مديدة غير أربعمائة ألف دينار وأربعمائة ألف درهم حملت الى الأهواز "

(2) في ذيل تجارب الامم " فولاذ بن ماناذر".

كامل الأوصاف متمكنا من صاحبه (1) ، فلما مرض عاده ا لعزيز صاحب مصر وقال : "وددت أنك تباع . فابتاعك بملكي فهل من حاجة توصي بها " . فبكى وقبل يده ووضعها على عينه وقال : " أما فيما يخصني فانك أرعى لحقي من أن أوصيك بمخلفي ولكن فيما يتعلق بدولتك ، سالم الحمدانية ما سالموك واقنع منهم بالدعة لان ظفرت بالمفرج فلا تبق عليه ". فلما مات حزن العزيز عليه وحضر جنازته وصلى عليه ، وألحده بيده في قصره ، وأغلق الدواوين عدة أيام ، واستوزر بعده أبا عبد الله الموصلي ، ثم صرفه وقيد عيسى بن نسطورس النصراني ، فمال إلى النصارى وولاهم ، واستناب بالشام يهوديا يعرف بمنشا بن إبراهيم ففعل مع اليهود مثل ما فعل عيسى بالنصارى، وجرى على المسلمين تحامل عظيم .

وفيها في ربيع الأول قلد الشريف أبو أحمد والد الرضي نقابة العلويين والمظالم وإمارة الحج (ا) . وحج بالناس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي نيابة عن النقيب أبي أحمد الموسوي . وفيها توفي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الفقيه الحنفي ومولده سنة عشرين وثلاثمائة وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري بالأندلس ، والد الإمام أبي عمر بن عبد البر

(1) قال أبو يعلى القلانسي في ذيل تاريخ دفق : " وكان الوزير ابن كلس يهودياً من أهل بغداد خبيثاً ذا مكر وحيلة ودهاء وفطنة، وكان في قديم أمره خرج إلى الشام فنزل بالرملة فجلس وكيلا للتجار، فلما اجتمعت الأموال التي للتجار كسرها وهرب إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي صاحب مصر، فتاجره وحمل إليه متاعا كثيراً ، ويحال بماله على ضياع مصر وكان إذا دخل ضيعة عرف غلتها وارتفاعها وظاهر أمرها وباطنها وكان،ماهراً في اشغاله لا يسأل عن شيء من امورها إلا أخبر به عن صحة . فكبرت حاله وخبر كافور وما فيه من الفطنة والسياسة فقال : لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً فبلغه ما قال كافور فطمع في الوزارة فدخل جامع مصر في يوم الجمعة وقال : أنا أسلم -على يد كافور - فبلغ الوزير أبن خزابة وزير كافور ما هو عليه وما طمع فيه فقصده وخاف فه - فهرب إلى المغرب وقصد يهوداً كانوا هناك مع أبي تميم المعز لدين الله أصحاب أمره فصارت له عندهم حرمة فلم يزل معهم إلى أن أخذ المعز مصر فسار سه إليها فلما توفي المعز وأصحابه اليهود وولي العزيز بالله استوزره في سنة 365، وكان هذا الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس كبير المهمة قوي النفس والمنة عظيم الهيبة الخ اهـ ، وكانت

وفاته في ذي الحجة، ولما مات خلف شيئاً كثيراً، وقيل : إنه كفن بما قيمته عشرة آلاف دينار. ورثاه مائة شاعر.

(1) زاد ابن كثير، وابن تغري بردي : " واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم ، والرضى ابو الحسين على النقابة وخلع عليهما من دار الخلافة ببغداد .

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثلاثمائة

ذكر القبض على الطائع لله

في هذه السنة قبض على الطائع لله قبض عليه بهاء الدولة، وهو الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع لله ابن جعفر المقتدر بالته بن المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل . وكان سبب ذلك أن الأمير بهاء الدولة قلت عنده الأموال ، فكثر شغب الجند فقبض على وزيره سابور، فلم يغن عنه ذلك شيئا. وكان أبو الحسن بن المعلم قد غلب على بهاء الدولة، وحكم في مملكته فحسن له القبض على الطائع ، وأطمعه في ماله ، وهون عليه ذلك وسهله ، فاقدم عليه بهاء الدولة وأرسل إلى الطائع وسأله الاذن في الحضور في خدمته ، ليجدد العهد به . فأذن له في ذلك ، وجلس له كما جرت العادة . فدخل بهاء الدولة ومعه جمع كثير. فلما دخل قبل الأرض ، وأجلس على كرسي . فدخل بعض الديلم كأنه يريد يقبل يد الخليفة، فجذبه فأنزله عن سريره والخليفة يقول : " إنا لله لانا إليه راجعون " . وهو يستغيث ولا يلتفت إليه . وأخذ ما في دار الخليفة من الذخائر. فمشوا به في الحال ، ونهب الناس بعضهم بعضا . وكان من جملتهم الشريف الرضي . فبادر بالخروج فسلم وقال أبياتا من جملتها :

من بعد ما كان رب الملك مبتسماً إلف أدنوه في النجوى ويدنيني

أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العز والهون

ومنظر كان بالسراء يضحكني يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني

هيهات أغتر بالسلطان ثانية قد ضل ولاج أبواب السلاطين

ولما حمل الطائع إلى دار بهاء الدولة أشهد عليه بالخلع . وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة أيام وحمل إلى القادر بالله لما ولي الخلافة، فبقي عنده إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ، ليلة الفطر وصلى عليه القادر بالله ، وكبر عليه خمساً .

وكان مولده سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وكان أبيض مربوعاً حسن الجسم وكان أنفه كبيراً جداً . وكان شديد القوة كثير الإقدام ، اسم أمه عتب ، وعاشت إلى أن أدركت أيامه ، ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته .

ذكر خلافة القادر بالله

لما قبض على الطائع لته ، ذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة، فاتفقوا على القادر بالله . وهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر برت المعتضد، وأمه أم ولد أسمها دمنة، وقيل : تمنى وكان بالبطيحة كما ذكرناه ، فأرسل إليه بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضروه إلى بغداد، ليتولى الخلافة ، فانحدروا إليه وشغب الديلم ببغداد ومنعوا من الخطبة فقيل على المنبر: اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله . ولم يذكروا اسمه ، وأرضاهم بهاء الدولة. ولما وصل الرسل إلى القادر بالله كان تلك الساعة، يحكي مناما رآه تلك الليلة، وهو ما حكاه هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة قال : " كنت أحضر عند القادر بالله كل أسبوع مرتين فكان لم يكرمني ، فدخلت عليه يوما فوجدته قد تأهب تأهباً لم تجر به عادته ، ولم أر منه ما ألفته من إكرامه ، واختلفت بي الظنون . فسألته عن سبب ذلك فإن كان لزلة مني اعتذرت عن نفسي فقال : بل رأيت البارحة في منامي كان نهركم هذا نهر الصليق ، قد اتسع فصار مثل دجلة دفعات ، فسرت على حافته متعجباً منه ورأيت قنطرة عظيمة فقلت : من قد حدث نفسه بعمل هذه القنطرة على هذا البحر العظيم ثم صعدتها- وهي محكمة- فبينا أنا عليها أتعجب منها إذ رأيت شخصاً قد تأملني من ذلك الجانب فقال : أتريد أن تعبر؟ قلت : نعم . فمذ يده حتى وصلت إلي فأخذني وعبرني فهالني وتعاظمني فعله قلت : من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب . وهذا الأمر صائر إليك ويطول عمرك فيه ، فاحسن إلى ولدي وشيعتي " .

فما انتهى القادر إلى هذا القول حتى سمعنا صياح الملاحين وغيرهم . وسألنا عن ذلك وإذا هم الواردون إليه لإصعاده ليتولى الخلافة ، فخاطبته بأمرة المؤمنين وبايعته ، وقام مهذب الدولة بخدمته أحسن قيام ، وحمك إليه من المال وغيره ما يحمله كبار الملوك للخلفاء وشيعه . فسار القادر بالله إلى ب شداد، فلما دخل جبل انحدر بهاء الدولة وأعيان الناس لاستقباله ، وساروا في خدمته . فدخل دار الخلافة ثاني عشر رمضان ، وبايعه بهاء الدولة والناس وخطب له ثالث عشر رمضان ، وجدد أمر الخلافة وعظم

ناموسها. وسيرد من أخباره إن شاء الله تعالى ما يعلم به ذلك . وحمل إليه بعض ما نهب من دار الخلافة . وكانت مدة مقامه في البطيحة سنتين وأحد عشر شهراً . ولم يخطب له في جميع خراسان ، كانت الخطبة فيها للطائع لله .

ذكر ملك خلف بن أحمد كرمان

في هذه السنة أنفذ خلف بن أحمد صاحب سجستان - وهو ابن بانو بنت عمرو بن الليث الصفار- ابنه عمرا إلى كرمان فملكها - وكان سبب ذلك أنه كان لما قوي أمره ، وجمع الأموال الكثيرة، حدث نفسه بملك كرمان ، ولم يتهيأ له ذلك لهدنة كانت بينه وبين عضد الدولة . فلما مات عضد الدولة ، وملك شرف الدولة واستقر أمره وانتظم وأفن ملكه لم يتحرك بشيء من ذلك . فلما توفي شرف الدولة، واضطرب ملوك بني بويه ، ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة، قوي طمعه وانتهز الفرصة . وجهز ولده عمرا، وسيره في عسكر في إلى كرمان ، وبها قائد يقال له : تمرتاش ، كان قد استعمله شرف الدولة . فلم يشعر تمرتاش إلا وعمر وقد قاربه ، فلم يكن له ولمن معه حيلة إلا الدخول إلى بردسير(ا) وحملوا ما أمكنهم حمله ، وغنم عمرو الباقي ، وملك كرمان ما عدا برد سير، وصادر الناس وجبى الأموال . فلما وصل الخبر إلى صمصام الدولة - وهو صاحب فارس - جهز العساكر وسترها إلى تمرتاش . وقدم عليهم قائدا يقال له : أبو جعفر، وأمره بالقبض على تمرتاش عند الإجتماع به ، لأنه اتهمه بالميل إلى أخيه بهاء الدولة . فسار أبو جعفر، فلما اجتمع بتمرتاش أنزله عنده بعلة الاجتماع على ما يفعلانه ، وقبض عليه وحمله إلى شيراز. فسار أبو جعفر بالعسكر جميعه يقصد عمرو بن خلف ليحاربه ، فالتقوا بدارزين (2) واقتتلوا . فانهزم أبو جعفر والديلم -وعادوا على طريق جيرفت . وبلغ الخبر إلى صمصام الدولة ، وأصحابه فانزعجوا لذلك . ثم أجمعوا أمرهم على إنفاذ العباس بن أحمد في عسكر أكثر من الأول . فسيروه في عدد كثير وعدة ظاهرة ، فسار حتى بلغ عمراً ، فالتقوا بقرب السيرجان

(1) قال ياقوت في معجمه : بردسير تعريب أردشير وأهل كرمان يسمونها كواشير. وفي ذيل تجارب الامم " اردشير " بشين معجمة .

(2) هى في سهل من الأرض يتسع فيها لطراد الفرسان .

واقتتلوا. فكانت الهزيمة على عمرو بن خلف وأسر جماعة من قواده وأصحابه (1)؛ وكان هذا في المحرم سنة اثنتين وثمانين .

وعاد عمرو إلى أبيه بسجستان مهزوماً . فلما دخل عليه لامه ووبخه ثم حبسه أياماً ثم قتله بين يديه ، وتولى غسله والصلاة عليه ودفنه في القلعة، فسبحان الله ما كان أقسى قلب هذا الرجل مع علمه ومعرفته (2).

ثم إن صمصام الدولة عزل العباس عن كرمان واستعمل عليها أستاذ هرمز. فلما وصل إلى كرمان خافه خلف بن أحمد فكاتبه في تجديد الصلح ، واعتذر عن فعله فاستقر الصلح ، فانفذ خلف قاضيا كان بسجستان يعرف بابي يوسف ، كان له قبول عند العامة والخاصة ، ووضع عليه إنسانا يكون معه وأمره أن يسقيه سما ، إذا صار عند أستاذ هرمز، ويعود مسرعا ، ويشيع بان أستاذ هرمز قتله ، فسار أبو يوسف إلى كرمان فصنع له أستاذ هرمز طعاما فحضره وأكل منه ، فلما عاد إلى منزله سقاه ذلك الرجل سفا فمات منه وركب جمازة ، وسار مجدا إلى خلف ، فجمع له خلف وجوه الناس ليسمعوا له ، فذكر أن أستاذ هرمز قتل القاضي أبا يوسف . وبكى خلف وأظهر الجزع عليه ، ونادى في الناس بغزو كرمان ، وأخذ بثار أبي يوسف . فاجتمع الناس واحتشدوا . فسيرهم مع ولده طاهر، فوصلوا إلى نرماسير، وبها عسكر الديلم فهزموهم وأخذوا البلد منهم . ولحق الديلم بجيرفت فاجتمعوا بها وجعلوا ببردسير من يحميها - وهي أصل بلاد كرمان مصرها - فقصدها طاهر وحصرها ثلاثة أشهر فضاق بأهلها . وكتبوا إلى أستاذ هرمز يعلمونه حالهم ، وأنه إن لم يدركهم سلموا البلد . فركب الخطر، وسار مجدا في مضايق وجبال وعرة حتى أتى بردسير. فلما وصل إليها رحل طاهر ومن معه عنها، وعادوا إلى سجستان ، واستقرت كرمان للديلم ، وكان ذلك سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

(1) في ذيل تجارب الامم " واسر الفتكين وكان وجيهاً في عسكره . والمعروف بابن أمير الخيل صهر خلف وعدد كثير من السجزية " .

(2) قال الوزير ابو شجاع : " فليت شعري ما كان مراده من قتل ولده اما كان عذره في قطع يده بيده اتراه ظن انه يشفي علته او يجبر وهنه بفت عضده ؟ كلا بل خاب ظنه وزاد وهنه وطال حزنه لقد فعل في الدنيا نكراً وحمل للآخرة وزراً فويل للقاسية قلوبهم ما ابعدهم من الصواب واقربهم من العذاب .

لما وصل بكجور إلى الرقة منهزما من عساكر مصر بدمشق ، وأقام على ما ذكرناه ، واستولى على الرحبة وما يجاور الرقة ، راسل الملك بهاء الدولة بن بويه بالانضمام إليه وكاتب أيضاً باذا الكردي المتغلب على ديار بكر والموصل بالمسير إليه . وراسل سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب بان يعود إلى طاعته على قاعدته الأولى ويقطعه منه مدينة حمص كما كانت له ، فليس فيهم من أجابه إلى شيء مما طلب. فبقي في الرقة يراسل ،جماعة رفقاء من مماليك سعد الدولة، ويستميلهم ، فأجابوه إلى الموافقة على قصد بلد سعد الدولة، وأخبروه أنه مشغول بلذاته وشهواته عن تدبير الملك . فأرسل حينئذ بكجور إلى العزيز بالله صاحب مصر يطمعه في حلب ويقول له : إنها دهليز العراق ومتى أخذت كان ما بعدها أسهل منها ويطلب الإنجاد بالعساكر، فأجابه العزيز إلى ذلك ، وأرسل إلى نزال والي طرابلس ، وإلى ولاة غيرها من البلاد الشامية يأمرهم بتجهيز العساكر مع نزال إلى بكجور، والتصرف على ما يأمرهم به من قتال سعد الدولة وقصد بلاده .

وكتب عيسى بن نسطورس النصراني وزير العزيز إلى نزال يأمره بمدافعة بكجور، وإطماعه في المسير إليه .، فإذا تورط في قصد سعد الدولة تخلى عنه . وكان السبب في فعل عيسى هذا ببكجور أنه كان بينه وبين بكجور عداوة مستحكمة وولي الوزارة بعد وفاة ابن كلس ، فكتب إلى نزال ما ذكرناه .

فلما وصل أمر العزيز إلى نزال بإنجاد بكجور كتب إليه يعرفه ما أمر به من نجدته بنفسه ، وبالعساكر معه وقال له بكجور : مسيرك عن الرقة يوم كذا ومسيري أنا عن طرابلس يوم كذا، ويكون إجتماعنا على حلب يوم كذا . وتابع رسله إليه بذلك ، فسار مغترا بقوله إلى بالس ، فامتنعت عليه فحصرها خمسة أيام فلم يظفر بها فسار عنها . وبلغ الخبر بمسير بكجور إلى سعد الدولة ، فسار عن حلب ومعه لؤلؤ الكبير مولى أبيه سيف الدولة . وكتب إلى بكجور يستميله ويدعوه إلى الموافقة ورعاية حق الرق والعبودية، ويبذل له أن يقطعه من الرقة إلى حمص ، فلم يقبل منه ذلك. وكان سعد الدولة قد كاتب الوالي بانطاكية لملك الروم ، يستنجده . فسير إليه جيشا كثيراً من الروم. وكاتب أيضاً من مع بكجور من العرب يرغبهم في الإقطاع والعطاء الكثير،

والعفو عن مساعدتهم بكجور. فمالوا إليه ووعدوه الهزيمة بين يديه ، فلما التقى العسكران اقتتلوا واشتد القتال ، فلما اختلط الناس في الحرب ، وشغل بعضهم ببعض عطف العرب على سواد بكجور، فنهبوه واستأمنوا إلى سعد الدولة. فلما رأى بكجور ذلك اختار من شجعان أصحابه أربعمائة رجل ، وعزم على أن يقصد موقف سعد الدولة ويلقي نفسه عليه ، فإما له وإما عليه . فهرب واحد مس حضر الحال إلى لؤلؤالكبير، وعرفه ذلك . فطلب لؤلؤ من سعد الدولة أن يتحرك من موقفه ويقف مكانه ، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع . فحمل بكجور ومن معه فوصلوا إلى موقف لؤلؤ بعد قتال شديد عجب الناس منه واستعظموه كلهم . فلما رأى لؤلؤا ألقى نفسه عليه – وهو يظنه سعد الدولة - وضربه على رأسه فسقط إلى الأرض ، فظهر حينئذ سعد الدولة وعاد إلى موقفه ففرح به أصحابه ، وقويت نفوسهم ، وأحاطوا ببكجور وصدقوه القتال . فمضى منهزماً هو وعامة أصحابه وتفرقوا ، وبقي منهم معه سبعة أنفس . وكثر القتل والأسر في الباقين . ولما طال الشوط ببكجور ألقى سلاحه ، وسار فوقف فرسه فنزل عنه ، وسار راجلا فلحقه نفر من العرب فاخذوا ما عليه ، وقصد بعض العرب فنزل عليه وعرفه نفسه ، وضمن له حمل بعير ذهبا ليوصله إلى الرقة، فلم يصدقه لبخله المشهور عنه ، فتركه في بيته وتوجه إلى سعد الدولة، فعرفه أن بكجور عنده . فحكمه سعد الدولة في مطالبه فطلب مائتي فدان ملكا ، ومائة ألف درهم ، ومائة جمل تحمل له حنطة ، وخمسين قطعة ثيابا. فأعطاه ذلك أجمع وزيادة، وسير معه سرية فتسلموا بكجور، وأحضروه عند سعد الدولة . فلما رآه أمر بقتله فقتل ، ولقي عاقبة بغيه وكفره وإحسان مولاه (1).

فلما قتله سعد الدولة سار إلى الرقة فنازلها وبها سلامة الرشيقي ومعه أولاد بكجور، وأبو الحسن علي بن الحسين المغربي وزير بكجور، فسلموا البلد إليه بأمان وعهود ، أكدوها وأخذوها عليه لأولاد بكجور، وأموالهم وللوزير المغربي ولسلامة الرشيقي ولأموالهم . فلما خرج أولاد بكجور بأموالهم رأى سعد الدولة ما معهم فاستعظمه واستكثره . وكان عنده القاضي ابن لم بي الحصين فقال سعد الدولة : ما كنت أظن أن بكجور يملك هذا جميعه . فقال له القاضي : لم لا تأخذه فهو لك لأنه مملوك لا يملك شيئاً ولا حرج عليك ولا حنث ومهما كان فيها من وزر وإثم فعلى دونك .

(ا) هرب بكجور وخذلانه والقبض عليه وقتله ذكره القلانسي في ذيل تاريخ دمشق بأوسع من هذا .

فلما سمع هذا أخذ المال جميعه وقبض عليهم وهرب الوزير المغربي إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام . وكتب أولاد بكجور إلى كل العزيز يسألونه الشفاعة فيهم ، فأرسل إليه يشفع فيهم ، ويأمره أن يسيرهم إلى مصر ويتهدده إن لم يفعل . فأهان الرسول وقال له : قل لصاحبك : أنا سائر إليه وسير مقدمته إلى حمص ليلحقهم .

ذكر وفاة سعد الدولة بن حمدان

فلما برز سعد الدولة ليسير إلى دمشق لحقه قولنج فعاد إلى حلب ليتداوى، فزال ما به وعوفي . وعزم على العود إلى معسكره وحضر عنده إحدى سراريه ، فواقعها فسقط عنها - وقد فلج وبطل نصفه - فاستدعى الطبيب فقال له : اعطني يدك لأخذ مجسك . فأعطاه اليسرى فقال : أعطني اليمين فقال لا تركت لي اليمين يميناً - يعني نكثه بأولاد بكجور هو الذي أهلكه - وقد ذكر ذلك وندم عليه حيث لم تنفعه الندامة . وعاش بعد ذلك ثلاثة أيام ومات بعد أن عهد إلى ولده أبي الفضائل ، ووصى إلى لؤلؤ به وبسائر أهله . فلما توفي قام أبو الفضائل وأخذ له لؤلؤ العهد على الأجناد، وتراجعت العساكر إلى حلب ، وكان الوزير أبو الحسن المغربي قد سار من مشهد علي عليه السلام إلى العزيز بمصر، وأطمعه في حلب . فسير جيشاً وعليهم منجوتكين أحد أمرائه إلى حلب ، فسار إليها في جيش كثيف فحصرها، وبها أبو الفضائل ، ولؤلؤ، فكتبا إلى بسيل ملك الروم يستنجدانه - وهو يقاتل البلغار- فأرسل بسيل إلى نائبه بأنطاكية يأمره بإنجاد أبي الفضائل ، فسار في خمسين ألفا حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصي . فلما سمع منجوتكين سار إلى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بابي الفضائل ، وعبر إليهم العاصي وأوقعوا بالروم فهزموهم ، وونوا الإدبار إلى أنطاكية وكثر القتل فيهم (1) .

(1) في القلانسي " وحصل الناس والروم على أرض واحدة ومنجوتكين يردهم ولا يرتدون " قال سبط ابن الجوزي : " ان بينهم النهر ولم يكن لاحد الفريقين سبيل الى العبور لكثرة الماء . وكان منجوتكين قد حفظ المواضع التي يقل الماء فيها واقام جماعة يمنعون اصحابه من العبور الى وقت يختاره المنجم ، فخرج من الديلم الذين كانوا صحبة منجوتكين شيخ كبير بيده ترس وثلاث زربينات ، فوقف على جانب النهر وبازائه قوم من الروم فرموه بالنشاب - وهو يسخ - حق تطع النهر وصار على الأرض من ذلك الجانب ، والماء في النهر إلى صدره فرمى المسلمون بأنفسهم في الماء فرساناً ورجالة ومنجوتكين يمنعهم ولا يمتنعون فصاروا

مع الروم فى أرض واحدة فانزل الله النصر وولت الروم واعطوا ظهورهم وركبهم المسلمون ، ونكوا فيهم النكاية الوافية قتلاً واسراً وفلاً وقهراً، وافلت البرجي في نفر قليل وملك عسكرهم

وسار منجوتكين إلى انطاكية فنهب بلدها وقراها وأحرقها . وأنفذ ابو الفضائل إلى بلد حلب ، فنقل ما فيه من الغلال وأحرق الباقي إضرارا بعساكر مصر. وعاد منجوتكين إلى حلب فحصرها . فأرسل لؤلؤ إلى أبي الحسن المغربي وغيره وبذل لهم مالا ليردوا منجوتكين عنهم هذه السنة بعلة تعذر الأقوات ففعلوا ذلك ، وكان منجوتكين قد ضجر من الحرب فأجابهم إليه ، وسار إلى دمشق ، ولما بلغ الخبر إلى العزيز غضب ، وكتب بعود العسكر إلى حلب وإبعاد المغربي . وأنفذ الأقوات من مصر في البحر إلى طرابلس ومنها إلى العسكر. فنازل العسكر حلب ، وأقاموا عليها ثلاثة عشر شهراً فقلت الأقوات بحلب ، وعاد إلى مراسلة ملك الروم والإعتضاد به . وقال له : متى أخذت حلب أخذت انطاكية وعظم عليك الخطب . وكان قد توسط بلاد البلغار فعاد وجد في السير- وكان الزمان ربيعا - وعسكر مصر قد أرسل إلى منجوتكين يعرفه الحال ، وأتته جواسيسه بمثل ذلك ، فاخرب ما كان بناه من سوق وحمام وغير ذلك ، وسار كالمنهزم عن حلب . ووصل ملك الروم ، فنزل على باب حلب ، وخرج إليه أبو الفضائل ، ولؤلؤ وعادا إلى حلب ، ورحل بسيل إلى الشام ففتح حمص ، وشيزر ونهبها . وسار إلى طرابلس فنازلها فامتنعت عليه ، وأقام عليها نيفا وأربعين يوما، فلما أيس منها عاد إلى بلاد الروم . ولما بلغ الخبر الى العزيز عظم عليه ونادى في الناس بالنفير لغزو الروم وبرز من القاهرة، وحدث به أمراض منعته ، وأدركه الموت على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل المنصور صاحب أفريقية نم ائبه في البلاد يوسف واستعمل بعده على البلاد أبا عبد الله محمد بن أبي العرب . وفيها توفي القائد جوهر بعد عزله ، وهذا جوهر هو الذي فتح مصر للمعز العلوي (ا)، وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبي نصر سابور بالأهواز، واستوزر أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف (2)، وفيها أيضاً قبض بهاء

= وسوادهم وغنمت منهم الغنائم الوافرة من أموالهم وكراعهم وسوادهم وقد كان معهم الفراجل من رجالة حلب جردهم لؤلؤ مع عدة وافرة من الغلمان فقل منهم تقدير ثلاثمائة غلام وعاد فلهم إلى حلب وجمع من رؤوس قتلى الروم نحو عشرة آلاف رأس أنفذت الى مصر وشهرت بها وتبع منجوتكين الروم إلى انطاكية .

(1) هو القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي أصله أرمني وكان من موالي المعز بن المنصور بن القاني بن المهدي الفاطمي صاحب افريقية .

(2) وسبب ذلك أن بهاء الدولة لما عاد بعد الصلح إلى الأهواز شغب الديلم والترك وطالبوا بإطلاق المال .=

الدولة على أبي نصر خواشاذه ، وأبي عبد الله بن طاهر بعد عوده من خوزستان . وكان سبب قبضهما أن أبا نصر كان شحيحا فلم يواصل ابن المعلم بخدمه وهداياه فشرع في القبض عليه . وفيها هرب فولاذ زماندر من عند صمصام الدولة إلى الري. وكان سبب هربه أنه تحتهم على صمصام الدولة تحتهما عظيماً أنف منه فأراد القبض عليه فعلم به فهرب منه . وفيها كتب أهل الرحبة إلى بهاء الدولة يطلبون إنفاذ من يسلمون إليه الرحبة، فانفذ خمارتكين الحفصي إلى الرحبة فتسلمها . وسار منها إلى الرقة وبها بدر غلام سعد الدولة بن حمدان ، فجرت بينهما وقعات فلم يظفر بها. وبلغه اختلاف ببغداد، فعاد فخرج عليه بعض العرب ، فأخذوه أسيرا ثم افتدى منهم بمال كثير. وفيها حلف بهاء الدولة للقادر بالله على الطاعة والقيام بشروط البيعة ، وحلف له القادر بالوفاء والخلوص ، وأشهد عليه أنه قلده ما وراء بابه . وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيبة السلطنة وتكرر الحريق في المحال واستمر الفساد. وفيها توفي قاضي القضاة عبيد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد، ومولده سنة ست وثلاثمائة، وكان فاضلا عفيفا نزها وكان معتزلياً(l)، ومحمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان أبو بكر المعروف بابن المقري الأصبهاني (2) وله ست وتسعون سنة ، وهو راوي مسند أبي يعلى الموصلي عنه .

= وذكروا أبا الحسن المعلم ، وأبا نصر سابور وأبا الفضل محمد بن احمد عارض الديلم وعلي بن أحمد عارض الأتراك وجاهروا بالشكوى منهم وظاهروا بالكراهية لهم . وترددت بينهم وبين بهاء الدولة مراسلات انتهت الى أن استوهب منهم أبا الحسن المعلم ، وأبا القاسم علي بن أحمد، وأرضاهم بالقبض على أبي نصر سابور ، وأبي الفضل محمد بن أحمد وقلد أبا القاسم عبد العزيز الوزارة وخلع عليه .

(1) قال الخطيب البغدادي ني وصفه : كان من أجلاد الرجال وألبائهم مع تجربة وحنكة وفطنة وعزيمة ماضية . وكان يجمع وسامة في منظره وظرفا في قلبه وطلاقة في مجلسه وبلاغة في خطابه ونهضة بأعباء الاحكام وهيبة في القلوب . ولد سنة ست وثلاثمائة ولي القضاء من الجانين ببغداد وكانت له فزلة عالية من الخلفاء والملوك خصوصاً من الطائع توفي في سفر ودفن في داره .

(2) مسند أصبهان طاف البلاد وسمع الكثير وهو ثقة مأمون ، صاحب أصول له : المعجم الكبير. وكتاب الأربعين . توفي في شوال .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة

ذكر عود الديلم إلى الموصل

كان بهاء الدولة قد أنفذ أبا جعفر الحجاج بن هرمز في عسكر كثير إلى الموصل فملكها آخر سنة إحدى وثمانين . فاجتمعت عقيل وأميرهم أبو الذواد محمد بن المسيب على حربه ، فجرى بينهم عدة وقائع ظهر من أبي جعفر فيها باس شديد حتى أنه كان يضع له كرسيا بين الصفين ، ويجلس عليه فهابه العرب . واستمد من بهاء الدولة عسكراً فأمده بالوزير أبي القاسم علي بن أحمد، وكان مسيره أول هذه السنة. فلما وصل إلى العسكر كتب بهاء الدولة إلى أبي جعفر بالقبض عليه ، فعلم أبو جعفر أنه إن قبض عليه اختلف العسكر، وظفر به العرب فتراجع في أمره .

وكان سبب ذلك أن ابن المعلم كان عدوا له ، فسعى به عند بهاء الدولة فامر بقبضه . وكان بهاء الدولة أذنا يسمع ما يقال له ويفعل به . وعلم الوزيرالخبر، فشرع في صلح أبي الذواد وأخذ رهائنه والعود إلى بغداد . فأشار عليه أصحابه باللحاق بابي الذواد، فلم يفعل أنفة وحسن عهد. فلما وصل إلى بغداد رأى ابن المعلم قد قبض وقتل وكفي شره . ولما أتاه خبر قبض ابن المعلم وقتله ، ظهر عليه الانكسار فقال له خواصه : ما هذا الهم وقد كفيت شر عدوك ؟ فقال : إن ملكا قرب رجلاً كما قرب بهاء الدولة ابن المعلم ، ثم فعل به هذا لحقيق بان تخاف ملابسته ، وكان بهاء الدولة قد أرسل الشريف أبا أحمد الموسوي رسولا إلى أبي الذواد فأسره العرب ثم أطلقوه . فورد إلى الموصل وانحدر إلى بغداد .

ذكر تسليم الطائع إلى القادر وما فعله معه

في هذه السنة في رجب سئم بهاء الدولة الطائع لله إلى القادر بالله ، فأنزله حجرة

من خاص حجره ووش به من ثقات خدمه من يقوم بخدمته ، وأحسن ضيافته . وكان يطلب الزيادة في الخدمة كما كان أيام الخلافة، فيؤمر له بذلك ، حكي عنه أن القادر بالله أرسل إليه طيبا فقال : من هذا يتطيب أبو العباس ؟ - يعني القادر- فقالوا : نعم فقال : قولوا له عني في الموضع الفلاني كندوج فيه مما كنت استعمله ، فليرسل إلي بعضه ، ويأخذ الباقي لنفسه . ففعل ذلك . وأرسل إليه يوما القادر بالله عدسية فقال : ما هذا فقالوا : عدس وسلق فقال : أوقد أكل أبو العباس من هذا؟ قالوا : نعم قال : قولوا له عني لما أردت أن تأكل عدسية ، لم اختفيت فما كانت العدسية تعوزك ، ولم تقلدت هذا الأمر؟ فأمر حينئذ القادر أن يفرد له جارية من طباخاته تطبخ له ما يلتمسه كل يوم . فأقام على هذا إلى أن توفي .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على أبي الحسن بن المعلم ، وكان قد استولى على الأمور كلها وخدمه الناس كلهم حتى الوزراء فأساء السيرة مع الناس فشغب الجند في هذا الوقت ، وشكوا منه وطلبوا منه تسليمه إليهم ، فراجعهم بهاء الدولة ووعدهم كف يده عنهم ، فلم يقبلوا منه ، فقبض عليه وعلى جميع أصحابه ، فظن أن الجند يرجعون فلم يرجعوا فسئمه إليهم فسقوه السم مرتين ، فلم يعمل فيه شيئاً فخنقوه ودفنوه (1).

وفيها في شوال تجددت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم ، واشتد الحال ، فركب أبو الفتح محمد بن الحسن الحاجب فقتل وصلب فسكن البلد. وفيها غلت الأسعار ببغداد، فبيع الرطل الخبز بأربعين درهما . وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبي القاسم علي بن أحمد المذكور. وكان سبب قبضه أن بهاء الدولة اتهمه بمكاتبة الجند

(1) في ذيل تجارب الأمم (فسلم حينئذ إلى أنجي حرب شيرزيل وسقي السم دفعتين فلم يعمل فيه فخنق بحبال الستارة ودهمه أحد الغلمان بسكين فقض نحبه وخرج ودفن ثم عاد الجند إلى منازلهم .وسكنت الفتنة، ولو أن بهاء الدولة . اقتصد في أمر هذا المعلم لكان ذلك أحسن بداية وأجمل توسطاً أحمد عاقبة وآمن مغبة وأطيب احدوثة ولكنه أخطأ لاختيار من لا خير فيه ثم أفرط في تقريبه ثم أسرف في تمكينه لا جرم ان السمعة ساءت والرقية رفعت والحشمة ذهبت والوصمة بقيت ولم يسلم المعلم مع ذلك كله . فيا قرب ما بين ذلك العز وهذا الهوان وذلك الاكرام

وهذا الاسلام (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين).

في أمر ابن المعلم ، واستوزر أبا نصر بن سابور، وأبا منصور بن صالحان جمع بينهما في الوزارة(ا) . وفيها قبض صمصام الدولة على وزيره أبي القاسم العلاء بن الحسن بشيراز؛ وكان غالبا على أمره وبقي محبوسا إلى سنة ثلاث وثمانين ، فأخرجه صمصام الدولة واستوزره . وكان يدبر الأمر مدة حبسه أبو القاسم المدلجي (2)، وفيها نزل ملك الروم بأرمينية وحصر خلاط ، وملازكرد وأرجيش. فضعفت نفوس الناس عنه ، ثم هادنه أبو علي الحسن بن مروان مدة عشر سنين ، وعاد ملك الروم . وفيها في شوال ولد الأمير أبو الفضل بن القادر بالله(3) . وفيها سار بغراجان ايلك ملك الترك بعساكره إلى بخارى فسير إليه الأمير نوح بن منصور جيشا كثيرا ولقيهم إيلك ، وهزمهم فعادوا إلى بخارى مفلولين – وهو في أثرهم – فخرج نوح بنفسه وسائر عسكره ، ولقيه فاقتتلوا شديدا . أجلت المعركة عن هزيمة إيلك ، فعاد منهزماً إلى بلاساغون وهي كرسي مملكته . وفيها توفي أبو عمرو محمد بن العباس بن حسنويه الخراز(4)، ومولده سنة خمس وتسعين ومائتين .

(1) وخلع عليهما جميعا وطرح لهما دستا كاملا وكانا يتناوبان في تقديم اسم احدهما على الآخر في المكاتبات .

(2) في ذيل تجارب الأمم " فقبض عليه وعلى كتابه وحواشيه وعلى ابنته زوجة العلوي الرازي وطولبوا أشد مطالبة وعوقبوا أشد معاقبة حتى تلفت ابنته وجماعة من اصحابه تحت الضرب وبقي العلاء معتقلا في بعض المطامير لا يعرف له خبر الى أن فسد امر أبي القاسم الدلجي فتغير رأي السيدة والدة صمصام الدولة وقبض عليه في سنة ثلاث وثمانين وافرج عن العلاء بن الحسن ورد اليه النظر.

(3) سماه ابوه الغالب بالمد وولاه العهد من بعده فلم يتم له الأمر.

(4) في النجوم الزاهرة " ابو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز " وفي شذرات الذهب 3/ 104 " ابو عمرو " بواو، وفي البداية والنهاية 11 / 332 " ابو عمر القزاز المعروف بابن حيرة " .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

ذكر خروج أولاد بختيار

في هذه السنة ظهر أولاد بختيار من محبسهم ، واستولوا على القلعة التي كانوا معتقلين بها . وكان سبب حبسهم أن شرف الدولة أحسن إليهم بعد والده ، وأطلقهم وأنزلهم بشيراز وأقطعهم . فلما مات شرف الدولة حبسوا في قلعة ببلاد فارس ،فاستمالوا مستحفظها ومن معه من الديلم ، فافرجوا عنهم . وأنفذوا إلى أهل تلك النواحي - ،أكثرهم رجالة - فجمعوهم تحت القلعة . وعرف صمصام الدولة الحال فسير أبا علي بن أستاذ هرمز في عسمكر، فلما قاربهم تفرق من معهم من الرجالة وتحصن بنو بختيار وكانوا ستة ومن معهم من الديلم بالقلعة . وحصرهم أبو علي وراسل أحد وجوه الديلم ، وأطمعه في الإحسان ، فأصدهم إلى القلعة سرا فملكوها، وأخذوا أولاد بختيار أسرى . فأمر صمصام الدولة بقتل إثنين منهم ، وحبس الباقين ، ففعل ذلك بهم .

ذكر ملك صمصام الدولة خوزستان

في هذه السنة ملك صمصام الدولة خوزستان . وكان سبب نقض الصلح أن بهاء الدولة سير أبا العلاء عبد الله بن الفضل إلى الأهواز، وتقدم إليه بأن يكون مستعدا لقصد بلاد فارس ، وأعلمه أنه يسير إليه العساكر متفرقين . فاذا اجتمعوا عنده سار بهم إلى بلاد فارس بغتة، فلا يشعر صمصام الدولة إلا وهم معه في بلاده . فسار أبو العلاء ولم يتهيأ لبهاء الدولة إمداده بالعساكر، وظهر الخبر، فجهز صمصام الدولة عسكره ، وسيرهم إلى خوزستان . وكتب أبو العلاء إلى بهاء الدولة بالخبر ويطلب إمداده بالعساكر فستر إليه عسكراً كثيراً ، ووصلت عساكر فارس ، فلقيهم أبو العلاء فانهزم هو وأصحابه،وأخذ أسيرا وحمل إلى صمصام الدولة، فألبس ثياباً مصبغة وطيف به . وسألت فيه والده

صمصام الدولة، فلم يقتله واعتقله . ولما سمع بهاء الدولة بذلك أزعجه وأقلقه . وكانت خزانته قد خلت من الأموال ، فأرسل وزيره أبا نصر بن سابور إلى واسط ليحصل ما أمكنه وأعطاه رهوناً من الجواهر والأعلاق النفيسة ليقترض عليها من مهذب الدولة صاحب البطيحة فلما وصل إلى واسط تقرب منها إلى مهذب الدولة وترك ما معه من الرهون بحاله ، وأرسل بهاء الدولة ورهنها ، واقترض عليها .

ذكر ملك الترك بخارى

في هذه السنة ملك مدينة بخارى شهاب الدولة هارون بن سليمان ايلك المعروف ببغراخان التركي - وكان له كاشغر، وبلاساغون إلى حد الصين - وكان سبب ذلك أن أبا الحسن بن سيمجور لما مات وولي ابنه أبو علي خراسان بعده ، كاتب الأمير الرضي نوح بن منصور يطلب أن يقر على ما كان أبوه يتولاه . فأجيب إلى ذلك . وحملت إليه الخلع ، وهو لا يشك أنها له . فلما بلغ الرسول طريق هراة عدل إليها وبها فائق ، فأوصل الخلع والعهد بخراسان إليه . فعلم أبو علي أنهم مكروا به وأن هذا دليل سؤ يريدونه به . فلبس فائق الخلع ، وسار عن هراة نحو أبي علي . فبلغه الخبر، فسار جريدة في نخبة أصحابه وطوى المنازل حتى سبق خبره ، فأوقع بفائق فيما بين بوشنج وهراة، فهزم فائقا وأصحابه وقصدوا مرو الروذ . وكتب أبو علي إلى الأمير نوح يجدد طلب ولاية خراسان ، فأجابه إلى ذلك . وجمع له ولاية خراسان جميعها بعد أن كانت هراة لفائق . فعاد أبو علي إلى نيسابور ظافرا وجبى أموال خراسان . فكتب إليه نوح يستنزله عن بعضها ليصرفه في أرزاق جنده ، فاعتذر إليه ولم يفعل . وخاف عاقبة المنع فكتب إلى بغراخان المذكور يدعوه إلى أن يقصد بخارى، ويملكها على السامانية ، وأطمعه فيهم واستقر الحال بينهما على أن يملك بغراخان ما وراء النهر كله ، ويملك أبو علي خراسان . فطمع بغراخان في البلاد وتجدد له إليها حركة . وأما فائق فإنه أقام بمرو الروذ، حتى انجبر كسره واجتمع إليه أصحابه ، وسار نحو بخارى وسار من غير إذن . فارتاب الأمير نوح له ، فسير إليه الجيوش ، وأمرهم بمنعه . فلما لقوه قاتلوه . فانهزم فائق وأصحابه وعاد على عقبيه وقصد ترمذ .

فكتب الأمير نوح إلى صاحب الجوزجان من قبله - وهو أبو الحرث أحمد بن

محمد الفريغوني - وأمره بقضد فائق ، فجمع جمعا كثيرا ، وسار نحوه . فأوقع بهم فائق فهزمهم ، وغنم أموالهم . وكاتب أيضاً بغراخان يطمعه في البلاد، فسار نحو بخارى وقصد بلاد السامانية، فاستولى عليها شيئا بعد شيء . فسير إليه نوح جيشا كثيرا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من قواده ، اسمه أنج ، فلقيهم بغراخان فهزمهم ، وأسر انج وجماعة من القواد فلما ظفر بهم قوي طمعه في البلاد، وضعف نوح ا وأصحابه ، وكاتب الأمير نوح أبا علي بن سيمجور يستنصره ، ويأمره بالقدوم إليه بالعساكر فلم يجبه إلى ذلك ولا لبى دعوته وقوي طمعه في الاستيلاء على خراسان ، ؟سار بغراخان نحو بخارى، فلقيه فائق واختص به ، وصار في جملته ، ونازلوا بخارى فاختفى الأمير نوح وملكها بغراخان ونزلها، وخرج نوح منها مستخفياً، فعبر النهر إلى آمل الشط ، وأقام بها ، ولحق به أصحابه فاجتمع عنده منهم جمع كثير، وأقاموا هناك . وتابع نوح كتبه إلى أبي علي ورسله يستنجده ، ويخضع له فلم يصغ إلى ذلك ، وأما فائق فانه استأذن بغراخان في قصد بلخ ، والإستيلاء عليها، فأمره بذلك فسار نحوها ونزلها .

ذكر عود نوح إلى بخارى وموت بغراخان

لما نزل بغراخان بخارى وأقام بها استوخمها ،فلحقه مرض ثقيل فانتقل عنها نحو بلاد الترك فلما فارقها ثار أهلها بساقة عسكره ، ففتكوا بهم وغنموا أموالهم . ووافقهم الأتراك الغزية على النهب والقتل لعسكر بغراخان . فلما سار بغراخان عن بخارى أدركه أجله فمات . ولما سمع الأمير نوح بمسيره عن بخارى، بادر إليها فيمن معه من أصحابه ، فدخلها وعاد إلى دار ملكه وملك آبائه ، وفرح أهلها به وتباشروا بقدومه . وأما بغراخان فإنه لما مات عاد أصحابه إلى بلادهم وكان ديناً، خيراً ، عادلاً ،حسن السيرة ، محبا للعلماء وأهل الدين ، مكرما لهم . وكان يحب أن يكتب عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولي أمر الترك بعده أيلك خان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كثر شغب الديلم على بهاء الدولة، ونهبوا دار الوزير أبي نصر بن سابور، واختفى منهم . واستعفى ابن صالحان من الانفراد بالوزارة فأعفي . واستوزر أبا القاسم علي بن أحمد ثم هرب ، وعاد سابور إلى الوزارة بعد أن أصلح الديلم . وفيها جلس القادر بالله لأهل خراسان بعد عودهم من الحج ،وقال لهم في معنى الخطبة له ،

وحملوا رسالة وكتبا إلى صاحب خراسان في المعنى . وفيها عقد النكاح للقادر على بنت بهاء الدولة(ا) بصداق مبلغه مائة ألف دينار. وكان العقد بحضرته والولي النقيب أبر أحمد الحسين بن موسى والد الرضي وماتت قبل النقلة .

وفيها كان بالعراق غلاء شديد بيعت الكارة الدقيق بمائتين وستين درهما، والكر الحنطة بستة آلاف وستمائة درهم غياثية(2) . وفيها بنى أبو نصر سابور بن اردشير ببغداد دارا للعلم ، ووقف فيها كتبا كثيرة على المسلمين المنتفعين بها(3). وفيها توفي أبو الحسن محمد بن علي بن سهل الماسرجسي الفقيه الشافعي شيخ أبي الطيب الطبري بنيسابور(4) ، وأبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر( ) ، وأبو طالب عبد

(1) في تاريخ الاسلام ان اسمها سكينة . وكذلك في البداية والنهاية 11 /333 .

(2) الدراهم الغياثية منسوبة الى غياث الدين وهو لقب بهاء الدولة بن بويه .

(3) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية 11 /333 : " واظن ان هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء وكانت قبل النظامية بمدة طويلة " زاد في شذرات الذهب 3/104 " ورد النظر ني أمرها إلى أبي الحسين بن السنبة . وأبي عبد الله الضبي القاضي " .

(4)وقع في الاصل " أبو الحسن علي بن سهل بن مصلح الماسرجسي ابن بنت الحسين بن عيسى بن ماسرجس ، أحد أئمة الشافعيين بخراسان وكان من أعرت أصحابنا بالمذهب وترتيبه وفروع المسائل : ننته بخراسان والعراق والحجاز . صحب أبا اسحاق المروزي الى مصر ولزمه إلى أن دقه ثم انصرف الى بغداد وكان خليفة أبي علي بن أبي هريرة القاضي في مجالسه ، وكان المجلس له بعد قيام القاضي أبى علي وانصرف إلي خراسان سنة . وعقد له مجلس للدرس والنظر وسمع الحديث من المؤمل بن الحسن بن عيسى ،وأبي حامد الرقي ، ومكي بن عبدان وأقرانهم . وبمصر من أصحاب يونس بن عبد الأعلى ، وأبي ابراهيم المزني وأقرانهما، وبالشام أصحاب يوسف بن سعيد بن مسلم وسليمان بن سيف ، وبالبصرة من ابن داسة، وبواسط من ابن شوذب سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وأبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري وغيرهما توفي عشية الأربعاء . ودفن عشية الخميس السادس من جمادى الآخرة سنة 384، وهو ابن

قي وسبعين سنة، وماسرجس - بفتح السين المهملة وسكون الراء وكسر الجيم - جد.

(5) ويقال له : الطبرخي أيضاً لأن اباه كان من خوارزم وأمه من طبرستان فركب له من الاسمين نسبة . وهو ابن أخت ابي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ . كان إماما في اللغة والانساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان مشاراً إليه في عصره . ويحكى انه قصد حضرة الصاحب بن جماد- وهو بأرجان – فلما وصل لبابه قال لأحد حجابه : قل للصاحب على الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول فدخل الحاجب واعلمه فقال الصاحب : قل له قد ألزمت نفسي أنه لا يدخل علي من الادباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج إليه الحاجب واعلمه بذلك فقال له ابو بكر : ارجع اليه وقل له :

هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل عليه الحاجب فأعاد عليه ما قال فقال الصاحب : هذا

السلام بن الحسن المأموني - وهو من أولاد المأمون - وكان فاضلاً حسن الشعر.

= يؤيد أن يكون ابا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول عليه فعرفه وانبسط معه ، ولكنه لم يجزل له العطاء ففارقه غير راض " وعمل فيه :

- لا تحمدن ابن عباد وان هطلت يداه بالجود حتى اخجل الديما
- فانها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً

فبلغ ذلك ابن عباد فلما ابلغه خبر موته انشد:

- أقول لركب من خوارزم قافل امات خوارزميكم قبل لي نعم
- فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره الا لعن الرحمن من كفر النعم

ولصاحب الترجمة ديوان رسائل ، وديوان شعر، ومن شعره :

- رأيتك إن أيسرت خيمت غدنا مقيماً وإن أعسرت زرت لماما
- فما أنت إلا البدر إن قل ضوءه أغب وان زاد الضياء اقاما

وملحه ونوادره كثيرة مات بنيسابور في منتصف رمضان.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

ذكر ولاية محمود بن سبكتكين خراسان وإجلاء أبي علي عنها

في هذه السنة ولي الأمير نوح محمود بن سبكتين خراسان . وكان سبب ذلك أن نوحا لما عاد إلى بخارى، على ما تقدم ذكره ، سقط في يد أبي علي وندم على ما فرط فيه من ترك معونته عند حاجته إليه. وأما فائق فإنه لما استقر نوح ببخارى حدث نفسه بالمسير إليه ،والاستيلاء عليه ، والحكم في دولته ، فسارعن بلخ إلى بخارى . فلما علم نوح بذلك سير إليه الجيوش لترده عن ذلك ، فلقوه واقتتلوا قتالا شديدا . فانهزم فائق وأصحابه ولحقوا بابي علي. ففرح بهم وقوي جنانه بقربهم ، واتفقوا على مكاشفة الأمير نوح بالعصيان . فلما فعلوا ذلك كتب الأمير نوح إلى سبكتكين – وهو حينئذ بغزنة -يعرفه الحال ، ويأمره بالمسير إليه لينجده ، وولاه خراسان ، وكان سبكتكين في هذه الفتن مشغولا بالغزو غير ملتفت إلى ما هم فيه؛ فلما أتاه كتاب نوح ، ورسوله أجابه إلى ما أراد، وسار نحوه جريدة واجتمع به وقررا بينهما ما يفعلانه ، وعاذ سبكتكين ، فجمع العساكر وحشد. فلما بلغ أبا علي ، وفائقاً الخبر جمعا، وراسلا فخر الدولة بن بويه يستنجدانه ويطلبان منه عسكراً . فأجابهما إلى ذلك . وسير إليهما عسكراً كثيراً . وكان وزيره الصاحب بن عباد هو الذي قرر القاعدة في ذلك .

وسار سبكتكين من غزنة ومعه ولده محمود نحو خراسان ،وسار نوح فاجتمع هو وسبكتكين ، فقصدوا أبا علي ، وفائقا فالتقوا بنواحي هراة، واقتتلوا . فانحاز دارا بن قابوس بن وشمكير من عسكر أبي علي إلى نوح ، ومعه أصحابه فانهزم أصحاب أبي علي ، وركبهم أصحاب سبكتكين يأسرون ويقتلون ويغنمون ، وعاد أبو علي ، وفائق نحو نيسابور وأقام سبكتكين ، ونوح –بظاهر هراة حتى استراحوا ، وساروا نحو نيسابور. فلما علم ،بهم أبو علي سار هو وفائق نحو جرجان ، وكتبا إلى فخر الدولة بخبرهما.

فأرسل إليهما الهدايا والتحف والأموال ، وأنزلهما بجرجان، واستولى نوح على نيسابور، واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ، ولقبه سيف الدولة، ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة، فاحسنا السيرة . وعاد نوح إلى بخارى وسبكتكين إلى هراة، وأقام محمود بنيسابور.

ذكر عود الأهواز إلى بهاء الدولة

في هذه السنة ملك بهاء الدولة الأهواز، وكان سببه أنه أنفذ عسكراً إليها عدتهم سبعمائة رجل ، وقدم عليهم طغان التركي . فلما بلغوا السوس ، رحل عنها أصحاب صمصام الدولة فدخلها عسكر بهاء الدولة، وانتشروا في أعمال خوزستان - وكان أكثرهم من الترك - فعلت كلمتهم على الديلم ، وتوجه صمصام الدولة إلى الأهواز ومعه عساكر الديلم ، وتميم ، وأسد . . فلما بلغ تستر رحل ليلا ليكبس الأتراك من عسكر بهاء الدولة فضل الادلاء في الطريق ، فاصبح على بعد منهم ورآهم طلائع الأتراك ، فعادوا بالخبر فحذروا واجتمعوا واصطفوا . وجعل مقدمهم - واسمه طغان - كمينا فلما التقوا واقتتلوا خرج الكمين على الديلم ، فكانت الهزيمة، وانهزم صمصام الدولة ومن معه من الديلم وكانوا ألوفاً كثيرة، استأمن منهم أكثر من ألفي رجل ، وغنم الأتراك من أثقالهم شيئا كثيراً. وضرب طغان للمستأمنة خيما يسكنونها. فلما نزلوا اجتمع الأتراك وتشاوروا وقالوا : هؤلاء أكثر من عدتنا، ونحن نخاف أن يثوروا بنا واستقر رأيهم على قتلهم ، فلم يشعر الديلم إلا وقد القيت الخيام عليهم ، ووقع الأتراك فيهم بالعمد حتى أتوا عليهم فقتلوا كلهم ، وورد الخبر على بهاء الدولة -وهو بواسط قد اقترض مالا من مهذب الدولة - فلما سمع ذلك سار إلى الأهواز. وكان طغان والأتراك قد ملكوها قبل وصوله إليها؛ وأما صمصام الدولة فإنه لبس السواد وسار إلى شيراز، فدخلها فغيرت والدته ما عليه من السواد، وأقام يتجهز للعود إلى أخيه بهاء الدولة بخوزستان .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عقد النكاح لمهذب الدولة على ابنة بهاء الدولة . وللأمير أبي . منصور بويه بن بهاء الدولة على ابنة مهذب الدولة . وكان الصداق من كل جانب مائة

ألف دينار(1). وفيها قبض بهاء الدولة على أبي نصر خواشاذه (2) . وفيها عاد الحجاج من الثعلبية ولم يحج من العراق والشام أحد، وسبب عودهم أن الأصيفر أمير العرب اعترضهم وقال : إن الدراهم التي أرسلها السلطان عام أول ، كانت نقرة مطلية ، وأريد العوض . فطالت المخاطبة والمراسلة وضاق الوقت على الحجاج فرجعوا(3) .

وفيها توفي أبو القاسم النقيب الزينبي وولي النقابة بعده ابنه أبو الحسن . وفيها ولي نقابة الطالبيين أبو الحسن النهر سابسي وعزل عنها أبو أحمد الموسوي : وكان ينوب عنه فيها ابناه المرتضى، والرضي . وفيها توفي عبد الله بن محمد بن نافع بن مكرم أبو العباس البستي الزاهد، وكان من الصالحين حج من نيسابور ماشيا وبقي سبعين سنة لا يستند إلى حائط ولا إلى مخدة، وعلي بن الحسين بن جموية بن زيد أبو الحسين الصوفي سمع الحديث وحدث وصحب أبا الخير الأقطع وغيره ، وعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني (4) ، ومولده سنة ست وتسعين

(ا) قال في ذيل تجارب الأمم " وحمل المهذب بالمبلغ مالأ وغلة وخطب له بواسط وأعمالها واحتسب له من مال ضماناته بأسفل واسط بألف ألف وثلاثمائة ألف درهم غياثية منسوبة الى الاقطاع . وكان عيار الدرهم الغياثى ثمانية ونصف حرفا في كل عشرة

(2) قال في ذيل تجارب الأمم " كان بين أبي نصر خواشاذه وبين ابي نصر سابور صداقة ومخالطة فلما انحدر أبو نصر سابور إلى واسط هرب إلى البطيحة فوجد اعداء أبي نصر خواشاذة طريقاً الى السعي فحسنوا لبهاء الدولة القبض عليه . فتأمل هذه الآراء الطريفة والاهواء العجيبة في تقارب ما بين القبض والاطلاق والعزل والتولية حتى صار الأمر عجباً والجد لعبا على أن الحياة الدنيا لعب ولهو ولكن في اللعب مستقيم ومختل وهذا من المختل الذي تخالفت اعجازه وبواديه وتناقضت أواخره ومباديه فهل ترى في جميع ما سرد من أخبار الدولة البهائية نظاماً مستقيماً تحمد سلوك مذاهبه وتدبيرا جيداً ينتفع بمعرفة تجاربه ؟ كلا فجميعه واهي الاسباب وما يجري فيه من صواب فانما هو بالاتفاق " .

(3) قال في البداية والنهاية 11 / 334 " وانما جمع أهل مصر والمغرب خاصة " .

(4) ويعرف أيضاً بالإخشيدي . وبالوراق - وهو بالرماني اشهر، واصله من سر من رأى كان اماماً في العربية علامة في الأدب في طبقة السيرافي والفارس معتزلياً . ولد ببغداد كما قال المنصف وأخذ عن الزجاج ،وابن السراج ، وابن دريد ، قال أبو حيان التوحيدي : لم ير مثله قط علما بالنحو وغزارة بالكلام وبصرا بالمقالات واستخراجاً للعويص وإيضاحاً للمشكل مع قاله وتنزه ودين وفصاحة وعفاف ، ونظافة، وكان يمزج النحو بالمنطق له قريب من مائة مصنف منها الحدود الأكبر، والاصغر، شرح أصول ابن السراج ،شرح موجزه ، شرح سيبويه ، شرح مختصر الجرمي ، شرح الألف واللام للمازني ،شرح المقتضب ، شرح الصفات . وله تفسير كبير وهو كثير الفرائد إلا أنه صرح فيه بالاعتزال ، وسلك الزمخشري مسلكه وزاد عليه ، مات ليلة الاحد حادي عشر جمادى الاولى ببغداد ودفن بالشونيزية والرماني - بضم الراء وتشديد =

ومائتين ، روى عن ابن دريد وغيره وله تفسير كبير، ومحمد بن العباس بن أحمد بن القزار أبو الحسن ، سمع الكثير وكتب الكثير وخطه حجة في صحة النقل ، وجودة الضبط (ا) . وأبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني الكاتب (2)، والمحسن بن علي بن علي بن محمد بن أبي الفهم أبو علي التنوخي القاضي ، ومولده سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وكان فاضلاً(3) .

وفيها توفي أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب المشهور. وكان عمره إحدى وتسعين سنة . وكان قد زمن وضاقت به الأمور وقلت عليه الأموال . وفيها اشتد أمر العيارين ببغداد، ووقعت الفتنة بين أهل الكرخ ، وأهل باب البصرة ، واحترق كثير من المحال ثم اصطلحوا(4).

= الميم وبعد ألف نون ، هذه النسبة يجوز أن تكون إلى الرمان وبيعه . ويمكن أن تكون الى قصر الرمان – وهو قصر بواسط معروف -وقد نسب إلى هذا خلق كثير. ولم يذكر السمعاني أن نسبة ابي الحسن المذكور الى أيهما . البداية والنهاية 11 / 4 33 وشذرات الذهب 3/109 .

(1)ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة . كان عنده عن علي بن محمد المصري وحده ألف جزء . وكتب مائة تفسير. ومائة تاريخ وخلف ثمانية غر صندوقا مملوءة كتبا غير ما سرق منه أو حرق وممرها بخطه وكانت له جارية تعارض معه بما يكتبه . قال الخطيب . كان حجة ثقة مات ببغداد في شوال. وقع في الاصول " بن القزاز " بقات وزايين بينهما ألف . وكذلك في البداية والنهاية 11 / 334 وفي شذرات الذهب - 3/ 110 والنجوم الزاهرة " بن الفرات " بناء بعدها راء . ولعل ما هنا مصحف تنبه .

(2)هو محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله الاخباري العلامة المعتزلي روى عن البغوي ، وابن دريد وغيرهما ولد في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين شذرات الذهب 3/ 111 والبداية والنهاية 11/ 335 .

(3) ولد بالبصرة وسمع بها من أبي العباس الأثرم وطائفة وببغداد من الصولي وغيره . وكان أديبا شاعرا له كتاب الفرج بعد الشدة ذكر في اوائل هذا الكتاب أنه كان على المعيار بدار الضرب بسوق الاهواز سنة ست واربعين وثلاثمائة. وذكر بعد ذلك بقليل أنه كان على القضاء بجزيرة ابن عمر. وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه ، وكتاب نشوان المحاضرة ، وكتاب المستجاد من فعلات الأجواد، كان أول سماعه الحديث في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

وأول ما تقلد القضاء من قبل أي السائب عتبة بن عبيد الله بالقصر. وبابل ،وما والاها سنة تسع واربعين .

(4) وقد أوضح ابن كثير هذا في البداية والنهاية 11 /333.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

ذكر عود أبي علي إلى خراسان

لما عاد الأمير نوح إلى بخارى وسبكتكين إلى هراة وبقي محمود بنيسابور، وطمع أبو علي ، وفائق في خراسان . فسار محمود عن جرجان إلى نيسابور في ربيع الأول . فلما بلغ محمودا خبرهما كتب إلى أبيه بذلك ، وبرز هو فنزل بظاهرنيسابور، وأقام ينتظر المدد فأعجلاه فصبر لهما فقاتلاه - وكان في قلة من الرجال - فانهزم عنهما نحو أبيه ، وغنم أصحابهما منه شيئاً كثيراً . وأشار أصحاب أبي علي عليه باتباعه وإعجاله ووالده ، عن الجمع والاحتشاد فلم يفعل . وأقام بنيسابور، وكاتب الأمير نوحا يستميله ويستقيل من عثرته وزلته . وكذلك كاتب سبكتكين مثل ذلك ، وأحال بما جرى على فائق فلم يجيباه إلى ما أراد. وجمع سبكتكين العساكر فأتوه على كل صعب وذلول ، وسار نحو أبي علي فالتقوا بطوس في جمادى الآخرة فاقتتلوا عامة يومهم ، وأتاهم محمود بن سبكتكين في عسكر ضخم من ورائهم ، فانهزموا ، وقتل من أصحابهم خلق كثير . ونجا . أبو علي ، وفائق فقصدا أبيورد فتبعهم سبكتكين ، واستخلف ابنه محمودا بنيسابور.

فقصدا مرو ثم آمل الشط وراسلا الأمير نوحا يستعطفانه . فاجاب أبا علي إلى ما طلب من قبول عذره ، إن فارق فائقا ونزل بالجرجانية ، ففعل ذلك . فحذره فائق وخوفه من مكيدتهم به ومكرهم ، فلم يلتفت لأمر يريده الله عز وجل ففارق فائقا، وسار نحر الجرجانية فنزل بقرية بقرب خوارزم تسقى هزار أسف . فأرسل إليه أبو عبد الله خوارزمشاه من أقام له ضيافة ووعده أنه يقصده ليجتمع به فسكن إلى ذلك . فلما كان الليل أرسل إليه خوارزمشاه جمعاً من عسكره ،فأحاطوا به وأخذوه أسيرا في رمضان من هذه السنة فاعتقله في بعض دوره ، وطلب أصحابه فاسر أعيانهم وتفرق الباقون . وأما فائق فإنه سار إلى أيلك خان بما وراء النهر، فأكرمه وعظمه ووعده أن يعيده إلى قاعدته ،وكتب إلى نوح يشفع في فائق وأن يولى سمرقند. فأجابه إلى ذلك ، وأقام بها.

ذكر خلاص أبي علي وقتل خوارزمشاه

لما أسر أبو علي بلغ خبره إلى مأمون بن محمد والي الجرجانية، فقلق لذلك وعظم عليه ، وجمع عساكره وسار نحو خوارزمشاه ، وعبر إلى كاث - وهي مدينة خوارزمشاه فحصروها وقاتلوها وفتحوها عنوة ، وأسروا أبا عبدالله خوارزمشاه ، وأحضروا أبا علي ، ففكوا عنه قيده وأخذوه وعادوا إلى الجرجانية . واستخلف مأمون بخوارزم بعض أصحابه ، وصارت في جملة ما بيده . وأحضر خوارزمشاه ، وقتله بين يدي أبي علي بن سيمجور.

ذكر قبض أبي علي بن سيمجور وموته

لما حصل أبو علي عند مأمون بن محمد بالجرجانية، كتب إلى الأمير نوح يشفع فيه ،ويسأل الصفح عنه فأجيب إلى ذلك . وأمر أبا علي بالمسير إلى بخارى، فسار إليها فممن بقي معه من أهله وأصحابه . فلما بلغوا بخارى لقيهم الأمراء والعساكر. فلما دخلوا على الأمير نوح أمر بالقبض عليهم ، وبلغ سبكتكين أن ابن عزيز وزير الأمير نوح يسعى في خلاص أبي علي فأرسل إليه يطلب أبا علي إليه ، فحبسه ، فمات في حبسه سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . وكان ذلك خاتمة أمره وآخر حال بيت سيمجور جزاء لكفران إحسان مولاهم فتبارك الحي الدائم الباقي الذي لا يزول ملكه . وكان ابنه أبو، الحسن قد لحق بفخر الدولة بن بويه فاحسن إليه ، وأكرمه فسار عنه سراً إلى خراسان لهوى كان له بها، وظن أن أمره يخفى ، فظهر حاله فأخذ أسيرا وسجن عند والده . وأما أبو القاسم أخو أبي علي فانه أقام في خدمة سبكتكين مدة يسيرة، ثم ظهر منه خلاف الطاعة ، وقصد نيسابور فلم يتم له ما أراد . وعاد محمود بن سبكتكين إليه فهرب منه ، وقصد فخر الدولة وبقي عنده . وسيرد باقي أخباره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة الصاحب بن عباد

في هذه السنة مات الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة بالري . وكان واحد زمانه علما، وفضلا، وتدبيرا ، وجودة رأي وكرما، عالما بأنواع العلوم ، عارفا بالكتابة وموادها، ورسائله مشهورة مدونة ، وجمع من الكتب ما لم يجمعه غيره حق أنه كان يحتاج في نقلها إلى أربعمائة جمل . ولما مات وزر بعده لفخر الدولة

أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي الملقب بالكافي . ولما حضره الموت قال لفخر الدولة: "قد خدمتك خدمة استفرغت فيها وسعي ، وسرت سيرة جلبت لك حسن الذكر، فإن أجريت الأمور على ما كانت عليه نسب ذلك الجميل إليك وتركت أنا لان عدلت عنه كنت أنا المشكور ونسبت الطريقة الثانية إليك وقدح ذلك في دولتك " . فكان هذا نصحه له إلى أن مات . فلما توفي أنفذ فخر الدولة من احتاط على ماله وداره ، ونقل جميع ما فيها إليه فقبح الله خدمة الملوك هذا فعلهم مع من نصح لهم ، فكيف مع غيره . ونقل الصاحب بعد ذلك إلى أصبهان (أ)، وكثير ما بين فعل فخر الدولة مع ابن عباد، وبين العزيز بالله العلوي مع وزيره يعقوب بن كلس وقد تقدم (2) .

وكان الصاحب بن عباد قد أحسن إلى القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي ،وقدمه وولاه قضاء الري وأعمالها . فلما توفي ، قال عبد الجبار : "لا أرى الترحم عليه ، لأنه مات عن غير توبة ظهرت منه " . فنسب عبد الجبار إلى قلة الوفاء (3). ثم إن فخر الدولة قبض على عبد الجبار وصادره ، فباع في جملة ما باع الف طيلسان (4) وألف ثوب صوف رفيع ، فلم لا نظر لنفسه وتاب عن أخذ مثل هذا وادخاره من غير حله ،ثم إن فخر الدولة قبض على أصحاب ابن عباد، وأبطل كل مسامحة كانت منه وقرر هو ووزراؤه المصادرات في البلاد، فاجتمع له منها شيء كثير، ثم تمزق بعد وفاته في أقرب مدة، وحصل بالوزر وسوء الذكر .

(1) قال في ذيل تجارب الامم " فانفذ فخر الدولة ثقاته وخواصه حتى احتاطوا على الدار والخزائن ووجدوا كيساً فيه رقاع أقوام بمائة وخمسين ألف دينار مودوعة له عندهم ، فاستدعاهم وطالبهم بالمال فأحضروه وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة فرجمت الظنون ني ذلك فمن مقبح لآثاره ينسبه الى الخيانة فيه ، ومحسن لذكر. ينول : انما أودعه مؤيد الدولة لأولاده . ونقل جميع ما كان في الدار والخزائن الى دار فخر الدولة وجهز ابن عباد وأخرج تابوته وقد جلس أبو العباس الضبي للصلاة عليه والعزاء به فلما بدأ على أيدي الحمالين قامت الجماعة اعظاماً له وتبلوا الأرض ثم صلوا عليه وعلق بالسلاسل في بيت إلى أن نقل الى تربة له بأصفهان .

(2) انظر أحداث سنة 380 .

(3) في ذيل تجارب الأمم " فنسب عبد الجبار في هذا القول إلى قلة الرعاية " .

(4) في ذيل تجارب الامم " وقرر امرهم على ثلاثة آلات ألف درهم نجاع في جملة ما باع ألف طيلسان " الخ .

ذكر إيقاع صمصام الدولة بالأتراك

في هذه السنة أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الأتراك فقتل منهم جماعة وهرب الباقون فعاثوا في البلاد وانصرفوا إلى كرمان ، ثم منها إلى بلاد السند واستأذنوا ملكها في دخول بلاده فأذن لهم . وخرج إلى تلقيهم ورافق أصحابه على الإيقاع بهم . فلما رآهم جعل أصحابه صفين . فلما حصل الأتراك في وسطهم اطبقوا عليهم وقتلوهم فلم يفلت منهم إلا نفر جرحى، وقعوا بين القتلى وهربوا تحت الليل .

ذكر وفاة خواشاذه

في هذه السنة توفي أبو نصر خواشاذه بالبطائح ، وكان قد هرب إليها بعد أن قبض .

وكاتبه بهاء الدولة وفخر الدولة ، وصمصام الدولة ، وبدر بن حسنويه كل منهم يستدعيه ، ويبذل له ما يريده ، وقال له فخر الدولة : لعلك تسيء الظن بما قدمته في خدمة عضد الدولة، وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قدمك ومناصحته ، وقد علمت ما عملته مع الصاحب بن عباد وتركنا ما فعله معنا . فعزم على قصده فأدركه أجله قبل ذلك ، وتوفي وكان من أعيان قواد عضد الدولة .

ذكر عود عسكر صمصام الدولة إلى الأهواز

في هذه السنة جهز صمصام الدولة عسكره من الديلم ، وردهم إلى الأهواز مع العلاء بن الحسن ، واتفق أن طغان نائب بهاء الدولة بالأهواز توفي وعزم من معه من الأتراك على العود إلى بغداد. وكتب من هناك إلى بهاء الدولة بالخبر فأقلقه ذلك ، وأزعجه ، فسير أبا كاليجار المرزبان بن شهفيروز إلى الأهواز نائبا عنه وأنفذ أبا محمد الحسن بن مكرم إلى الفتكين ، وهو برامهرمز، قد عاد من بين يدي عسكر صمصام الدولة إليها بأمره بالمقام بموضعه ، فلم يفعل وعاد إلى الأهواز فكتب إلى أبي محمد بن مكرم بالنظر في الأعمال ، وسار بعدهم بهاء الدولة نحو خوزستان . فكاتبه العلاء وسلك طريق اللين والخداع . ثم سار على نهر المسرقان إلى أن حصل بخان طوق ووقعت الحرب بينه وبين أبي محمد بن مكرم ، والفتكين وزحف الديلم بين البساتين حتى دخلوا البلد وانزاح عنه ابن مكرم ، والفتكين وكتبا إلى بهاء الدولة يشيران عليه بالعبور اليها فتوقف عن ذلك ، ووعدهما به . وسير إليهما ثمانين غلاما من الأتراك ، فعبروا

وحملوا على الديلم من خلفهم ، فافرج لهم الديلم . فلما توسطوا بينهم اطبقوا عليهم فقتلوهم . فلما عرف بهاء الدولة ذلك ضعفت نفسه ، وعزم على العود، ولم يظهر ذلك . فأمر بإسراج الخيل ، وحمل السلام ففعل ذلك ، وسار نحو الأهواز يسيرا ثم عاد إلى البصرة، فنزل بظاهرها. فلما عرف ابن مكرم خبر بهاء الدولة عاد إلى عسكر مكرم ، وتبعهم العلاء والديلم فأجلوهم عنها فنزلوا براملان بين عسكر مكرم وتستر. وتكررت الوقائع بين الفريقين مدة وكان بيد الأتراك أصحاب بهاء الدولة من تستر إلى رامهرمز، ومع الديلم منها إلى أرجان ، وأقاموا ستة أشهر ثم رجعوا إلى الأهواز ثم عبر بهم النهر إلى الديلم ، واقتتلوا نحو شهرين . ثم رحل الأتراك وتبعهم العلاء فوجدهم قد سلكوا طريق واسط فكف عنهم وأقام بعسكر مكرم .

ذكر حادثة غريبة بالأندلس

في هذه السنة سير المنصور محمد بن أبي عامر أمير الأندلس لهشام المؤيد عسكراً إلى بلاد الفرنج للغزاة ، فنالوا منهم وغنموا وأوغلوا في ديارهم وأسروا غرسية - وهو ملك للفرنج ابن ملك من ملوكهم يقال له شانجة- وكان من أعظم ملوكهم وأمنعهم ، وكان من القدر أن شاعرا للمنصور يقال له : أبو العلاء صاعد بن الحسر الربعي قد قصده من بلاد الموصل ، وأقام عنده وامتدحه قبل هذا التاريخ . فلما كان الأن أهدى أبو العلاء إلى المنصور أيلا ، وكتب معه أبياتا منها :

ـ يا حرز كل مخوف وأمان كل مشرد ومعز كل مذلل

ـ جدواك ان تخصص به فلأهله وتعم بالإحسان كل مؤمل

يقول فيها :

ـ مولاي مؤنس غربتي متخطفي من ظفر أيامي ممنع معقلي

ـ عبد رفعت بضبعه وغرسته في نعمة أهدي إليك بآيل

ـ سميته غرسية وبعثته في حبله ليتاح فيه تفاؤلي

ـ فلئن قبلت فتلك أسنى نعمة أسدى بها ذو نعمة وتطول

فسمي هذا الشاعر الايل غرسية تفاؤلاً بأسر ذلك غرسية . فكان أسره في اليوم الذي أهدي فيه الايل فانظر إلى هذا الاتفاق ما أعجبه .

في هذه السنة ورد الوزير أبو القاسم علي بن أحمد الأبرقوهي من البطيحة إلى بهاء الدين بعد عوده من خوزستان ، وكان قد التجأ إلى مهذب الدولة فأرسل بهاء الدولة يطلبه ليستوزره ، فحضر عنده فلم يتم له ذلك فعاد إلى البطيحة(ا) . وكان الفاضل وزير بهاء الدولة معه بواسط ، فلما علم الحال استأذن في الإصعاد إلى بغداد فأذن له فأصعد ، فعاد بهاء الدولة وطلبه ليرجع إليه فغالطه ولم يعد .

وفي هذه السنة فى ذي الحجة توفي أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد ج ت أيوب المعروف بابن شاهين الواعظ ، مولده في صفر سنة سبع وتسعين ومائتين ، وكان مكثرا من الحديث ثقة(2) .

وفيها في ذي القعدة توفي الإمام أبو الحسن علي بن محمر بن أحمد بن مهدي المعروف بالدارقطني الإمام المشهور(3) . وفيها في ربيع الأول توفي محمد بن عبدالله بن سكرة الهاشمي من ولد علي بن المهدي بالله ، وكان منحرفا عن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان خبيث اللسان يتقى سفهه ، ومن جيد شعره :

(1) وكان قد اشترط على بهاء الدولة،أنه ان مشى الأمر على يديه والا أعاده محروساً إلى البطيحة . وكان السفير بينهما الشريف أبو أحمد الموسوي . ولما تولى أمر الوزارة عامل أبا العباس الوكيل بما أوحشه به واستشعر أبو عبد الله العارض ، وأبو الفرج الخازن منه واجتمعت كلمة الحاشية عليه وتطابقوا على فساد أمره خوفاً من بوادره وعول بهاء الدولة على القبض عليه فذكره الشريف أبو أحمد الموسوي العهد الذي استقر مع مهذب الدولة بالقبيح وأخرج عن اليد فعند ذلك فسح في عوده مع الشريف أبي أحمد إلى بغداد.

(2) صاحب التصانيف وأحد أوعية العلم ولد سنة سبع وتسعين ومائتين وسمع من الباغندي ، ومحمد بن المجدر والكبار- ورحل إلى الشام ، والبصرة وفارس . قال أبو الحسين بن المهتدي بالله : قال لنا ابن شاهين : صنفت ثلاثمائة وثلاثين مصنفا منها التفسير الكبير ألف جزء، والمسند ألف وثلاثمائة جزء، والتاريخ مائة وخمسون جزءا.

(3) هو الحافظ الكبير والنقادة القدير شيخ الاسلام والذي إليه النهاية في معرفة الحديث وعلومه وكان يدعى فيه أمير المؤمنين - وحقاً هذا - فانه لم يخلنه الدهر، قال الخطيب في

وصفه : كان فريد عصره وقريع دهره ونسخ وحده وامام وفنه انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق وصحة الاعتقاد والاضطلاع من علوم سوى علم الحديث ، منها القراءات وقد صنف فيها مصنفاً . ومنها المعرفة بالأدب والشعر فتيل انه كان يحفظ دواوين جماعة ومنها المعرفة بمذاهب الفقهاء وبلتي أنه درس فقه الشافعي على أبي سعيد الاصطخري .

¬ في وجه إنسانة كلفت بها أربعة ما اجتمعن في أحد

¬ الوجه بدر والصدغ غالية والريق خمر والثغر من برد

وفيها توفي يوسف بن عمر بن مسروق أبو الفتح القواس الزاهد في ربيع الأول وله خمس وخمسون سنة .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة

ذكر وفاة العزيز بالله وولاية ابنه الحكم

وما كان من الحروب إلى أن استقر أمره في هذه السنة توفي العزيز أبو منصور نزار بن المعز أبي تميم معد العلوي صاحب مصر لليلتين بقيتا من رمضان ، وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر ونصف ، بمدينة بلبيس ، وكان برز إليها لغزو الروم ، فلحقه عدة أمراض ، منها النقرس ، ، والحصار ، والقولنج ، فاتصلت به إلى أن مات . وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا ، ومولده بالمهدية من أفريقية ، وكان أسمر طويلا ، أصهب الشعر ، عريض المنكبين ،عارفا بالخيل ، والجوهر . قيل : إنه ولى عيسى بن نسطورس النصراني كتابته ، واستناب بالشام يهوديا اسمه منشا فاعتز بهما النصارى ، واليهود وآذوا المسلمين ، فعمد أهل مصر وكتبوا قصة ، وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس فيها : بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتي ، وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز ، والرقعة بيدها ، فلما رآها أمر بأخذها . فلما قرأ ما فيها ورأى الصورة من قراطيس علم ما أريد بذلك فقبض عليهما وأخذ من عيسى ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليهودي شيئا كثيرا . وكان يحب العفو ويستعمله . فمن حلمه أنه كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقي ، وكان كثير الهجاء فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز ، وكاتب الإنشاء من جهته أبا نصر عبدالله الحسين القيرواني فقال :

قل لأبي نصر صاحب المصر والمتأتى لنقض ذا الأمر

انقض عرا الملك للوزير تفز منه بحسن الثناء والذكر

واعط أو امنع ولا تخف أحداً فصاحب القصر ليس في القصر

وليس يدري ماذا يراد به وهو اذا مادرى فما يدري

فشكاه ابن كلس إلى العزيز وأنشده الشعر فقال له : هذا شيء إشتركنا فيه في الهجاء فشاركني في العفو عنه ،ثم قال هذا الشاعر أيضاً وعرض بالفضل القائد :

- تنصر فالتنصر دين حق عليه زماننا هذا يدل
- وقل بثلاثة عزوا وجلوا وعطل ماسواهم فهو عطل
- فيعقوب الوزير أب وهذا العزيز ابن وروح القدس فضل

فشكاه أيضاً إلى العزيز ، فامتعض منه إلا أنه قال : اعف عنه ، فعفا عنه ، ثم دخل الوزير على العزيز فقال : لم يبق للعفو عن هذا معنى ، وفيه غض من السياسة ونقض لهيبة الملك فإنه قد ذكرك وذكرني ، وذكر ابن زبارج نديمك ، وسلك بقوله :

- زبارجي نديم وكلسي وزير نعم على قدر الكلب يصلح

الساجور فغضب العزيز وأمر بالقبض عليه فقبض عليه لوقته ، ثم بدا للعزيز إطلاقه فأرسل إليه يستدعيه ، وكان للوزير عين في القصر ، فاخبره بذلك فأمر بقتله فقتل . فلما وصل رسول العزيز في طلبه أراه رأسه مقطوعا فعاد إليه فاخبره ، فاغتم له (1) ، ولما مات

(1) لا بأس من ايراد نبذة في تاريخ حياة العزيز نزار العبيدي الفاطمي ملك مصر وأعماله : ولد بالمهدية من القيروان ببلاد المغرب في يوم عاشوراء سنة أربع وأربعين . وقيل : سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة . وخرج مع أبيه المعز من المغرب الى القاهرة ودام بها الى أن مات أبو المعز معد بعد ان عهد إليه بالخلافة فولي بعده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وعمره اثنتان وعشرون سنة وملك مصر وخطب له بها وبالشام وبالمغرب والحجاز وحسنت أيامه ، وكان القائم بتدبير مملكته مولى ابيه جوهر القائد . وكان العزيز كريماً شجاعاً سيوساً وفيه رفق بالرعية . وزادت مملكته على مملكة أبيه وفتحت له حمص ، وحماة وشيزر، وحلب . وخطب له المقلد العقيلي صاحب الموصل واعمالها بالموصل في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وضرب اسمه على السكة والبنود. وخطب له باليمن وهو الذي رتب الفطرة في عيد شوال وكانت تعمل على غير هذه الهيئة وكانت الفطرة تعمل وتفرق بالايوان ثم نقلت في عدة أمكن وكان مصروفها في كل سنة عشر آلاف دينار، وفي أيامه بني نصر البحر بالقاهرة الذي لم يكن مثله لا في الشرق ولا في الغرب -وكان يدخل إليه من باب البحر المنسوب لهدا القصر. وموضعه اليوم

مجموعة المباني الواقعة خلف دار بشتاك التي بشارع بين القصرين بين درب فرمز وحارة بيت القاضي في الجزء الواقع خلف الدار المذكورة -وتصر الذهب ويقال له : قاعة الذهب – وهو أحد قاعات القصر الكبير الشرقي وكان يدخل اليه من باب الذهب ويدخل اليه أيضاً من باب البحر. وموضع هذا القصر اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف مدرسة النحاسين الاميرية التي بشارع بين القصرين بين شارع بيت القاضي وحارة بيت القاضي في الجزء الواقع خلف المدرسة المذكورة - وجامع القرافة . ولما اشتد مرضه استدعى القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامي الملقب امين الدولة- وهو أول من تلقب من =

العزيز ولي بعده ابنه أبو علي المنصور ، ولقب الحاكم بأمر الله بعهد من أبيه فولي وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر ، وأوصى العزيز إلى أرجوان الخادم ، وكان يتولى أمر داره وجعله مدبر دولة ابنه الحاكم ، فقام بأمره وبايع له وأخذله البيعة على الناس وتقدم الحسن بن عمار شيخ كتامة وسيدها وحكم في دولته ، واستولى عليها وتلقب بأمين الدولة - وهو أول من تلقب في دولة العلويين المصريين - فأشار عليه ثقاته بقتل الحاكم ، وقالوا: لا حاجة إلى من يتعبدنا ، فلم يفعل إحتقاراً له واستصغاراً لسنه ، وانبسطت كتامة في البلاد وحكموا فيها ، ومدوا أيديهم إلى أموال الرعية وحريمهم ، وأرجوان مقيم مع الحاكم في القصر يحرسه . واتفق معه شكر خادم عضد الدولة ، وقد ذكرنا قبض شرف الدولة عليه ومسيره الى مصر ، فلما اتفقا وصارت كلمتهما واحدة ، وكتب أرجوان إلى منجوتكين يشكو ما يتم عليه من ابن عمار ، فتجهز وسار من دمشق نحو مصر، فوصل الخبر إلى ابن عقار فأظهر أن منجوتكين قد عصى على الحاكم ، وندب العساكر إلى قتاله وسير إليه جيشا كثيراً وجعل عليهم أبا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي ، فساروا إليه فلقوه بعسقلان فانهزم منجوتكين ، وأصحابه وقتل منهم ألفا رجل وأسر منجوتكين ، وحمل إلى مصر فأبقى عليه ابن عمار ، وأطلقه استمالة للمشارقة بذلك .

واستعمل ابن عمار على الشام أبا تميم الكتامي - واسمه سليمان بن جعفر –فسار إلى طبرية . فاستعمل -على دمشق أخاه علياً فامتنع أهلها عليه . فكاتبهم أبو تميم يتهددهم فخافوا ، وأذعنوا بالطاعة واعتذروا من فعل سفهائهم ، وأخرجوا إلى علي فلم يعبأ بهم . وركب ودخل البلد فاحرق ، وقتل وعاد إلى معسكره ، وقدم عليهم أبو

= المغاربة . وكان شيخ كتامة وسيدها -ثم خاطبهما في أمر ولده الملقب بالحاكم ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضاً بذلك ولما مات لم ينكتم تاريخ كي ته ساعة واحدة وترتب موضعه ولده الحاكم أبو علي منصور. وبلغ الخبر أهل القاهرة فخرج الناص غداة الاربعاء لتلقى الحاكم . فدخل البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة يحملها ريدان الصقلي فدخل القصر غد اصفرار الشمس . ووالده العزيز بين يديه ني عمارية وقد خرجت رجلا. منها وأدخلت العمارية القصر وتولى غسله القاضي محمد بن النعمان . دفن عند ابيه المعز في حجرة من القصر. وكان عند العشاء الاخيرة، وحدثت ست الملك ابنة العزيز نفسها بالوثوب

على الأمر واحلاس ابن عمتها عبد الله وكانت مشتهاة عليه فأحس برجوان بذلك فقبض عليها وحملها مع ألف فارس إلى قصرها بالقاهرة ودعا الناس إلى بيعة الحاكم وأحلفهم على الطاعة واطلق الأرزاق وذلك في شهر رمضان .

تميم ،فأحسن إليهم ، وأمنهم وأطلق المحبسين ، ونظر في أمر الساحل . واستعمل أخاه علياً على طرابلس وعزل عنها جيش بن الصمصامة الكتامي ، فمض إلى مصر واجتمع مع أرجوان عله ، الحسن بن عمار فانتهز أرجوان الفرصة ، ببعد كتامة عن مصر مع أبي تميم ، فوضع المشارقة على الفتك بمن بقي بمصر منهم وبابن عمار معهم ، فبلغ ذلك ابن عمار فعمل على الإيقاع بأرجوان ،وشكر العضدي ، فاخبرهما عيون لهما على ابن عمار بذلك فاحتاطا ، ودخلا قصر الحاكم باكين ، وثارت الفتنة ، واجتمعت المشارقة ، ففرق فيهم المال وواقعوا ابن عمار ومن معه ، فانهزم واختفى ، فلما ظفر أرجوان ، أظهر الحاكم ، وأجلسه وجدد له البيعة ، وكتب إلى وجوه القواد والناس بدمشق ، بالإيقاع بابي تميم ، فلم يشعر إلا وقد هجموا عليه ، ونهبوا خزائنه . فخرج هاربا وقتلوا من كان عنده من كتامة ، وعادت الفتنة بدمشق ، واستولى الأحداث.

ثم إن أرجوان أذن للحسن بن عقار في الخروج من استتاره ، وأجراه على أقطاعه وأمره بإغلاق بابه . وعصى أهل صور ، وأمروا عليهم رجلا ملاحا يعرف بالعلاقة، وعصى أيضاً المفرج بن دغفل بن الجراح ، ونزل على الرملة وعاث في البلاد . واتفق أن الدوقس صاحب الروم نزل على حصن أفامية ، فاخرج أرجوان جيش ابن الصمصامة في عسكر ضخم . فسار حتى نزل بالرملة فأطاعه واليها ، وظفر فيها بابي تميم ، فقبض عليه ، وستر عسكراً إلى صور وعليهم أبو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان ، فغزاها براً وبحراً . فأرسل العلاقة إلى ملك الروم يستنجده ، فسير إليه عدة مراكب مشحونة بالرجال ، فالتقوا بمراكب المسلمين على صور ، فاقتتلوا وظفر المسلمون ، وانهزم الروم وقتل منهم جمع ، فلما انهزموا انخذل اهل صور ، وضعف نفوسهم فملك البلد أبو عبد الله بن حمدان ونهبه وأخذت الأموال وقتل كثير من جنده ، وكان أول فتح كان على يد أرجوان ، وأخذ العلاقة أسيرا فسيره إلى مصر ، فسلح وصلب بها. وم قام بصور. وسار جيش بن الصمصامة لقصد المفرج بن دغفل ، فهرب من بين يديه ، وأرسل يطلب العفو فأمنه . وسار جيش أيضاً إلى عسكر الروم ، فلما وصل إلى دمشق تلقاه أهلها مذعنين . فاحسن إلى رؤساء الأحداث وأطلق المؤن وأباح دم كل مغربي يتعرض لأهلها فاطمأنوا إليه.

وسار إلى أفامية فصاف الروم عندها فانهزم هو وأصحابه ما عدا بشارة الإخشيدي ، فإنه ثبت في خمسائة فارس ، ونزل الروم إلى سواد المسلمين يغنمون ما فيه ، والدوقس واقف على رايته ، وبين يديه ولده وعدة غلمان فقصده كردفي يعرف بأحمد بن الضحاك من أصحاب بشارة ومعه خشت ، فظنه الدوقس مستأمناً فلم يحترز منه . فلما دنا منه حمل عليه وضربه بالخشت ، فقتله . فصاح المسلمون : قتل عدو الله . وعادوا ونزل النصر عليهم ، فانهزمت الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة .

وسار جيش إلى باب أنطاكية يغنم ويسبي ويحرق ، وعاد إلى دمشق فنزل بظاهرها(ا) ، وكان الزمان شتاء فسأله أهل دمشق ليدخل البلد فلم يفعل ونزل ببيت لهيا(2) وأحسن السيرة في أهل دمشق واستخص رؤساء الأحداث ، واستحجب جماعة منهم وجعل يبسط الطعام كل يوم لهم ولمن يجيء معهم من أصحابهم ، فكان يحضر كل إنسان منهم في جمع من أصحابه وأشياعه ، وأمرهم إذا فرغوا من الطعام أن يحضروا إلى حجرة له يغسلون أيديهم فيها فعبر على ذلك برهة من الزمان . فأمر أصحابه أن رؤساء الأحداث إذا دخلوا الحجرة لغسل أيديهم أن يغلقوا باب الحجرة عليهم ويضعوا السيف في أصحابهم. فلما كان الند حضروا الطعام ، وقام الرؤساء إلى الحجرة فأغلقت الأبواب عليهم ، وقتل من أصحابهم نحو ثلاثة آلاف رجل . ودخل دمشق فطافها فاستغاث الناس وسألوه العفو. فعفا عنهم . وأحضر أشراف أهلها وقتل

(ا) في القلانسي : " وكانت الوقعة في مرج أفيح يطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه الا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة أفامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة وتصرم النهار وقد احتز من رؤوس القتلى غرة آلاف رأس وبات المسلمون مبيت المنصور بن الغانمين المسرورين بما منحهم الله اياهم من الكفاية ووهب لهم من الظفر. ووافى العرب من غد بما نهبوه من دواب المسلمين عند الهزيمة ومنهم من

رد ومنهم من باع بالثمن البخس لأن جيش بن الصمصامة المقدم نادى في معسكره بالا يبتاع أحد من العرب إلا اما عرفه وكان مأخوذاً منه فلم يجد الا ما أخذه أصحابه . وحصل ولدا الدوقس في أسر بعض المسلمين فابتاعهما جيش بن الصمصامة المقدم منه بستة ألف دينار وأخذهما اليه وأقام على حصن أفامية أسبوعا وحمل الى مصر عشرة آلاف رأس وألفي رجل من الاسرى الى باب انطاكية ونهب الرساتيق وأحرق القرى وانصرف منكفياً إلى دمشق " .

(2) في القلانسي " والنمس أن يخلوا له تربة على باب دمشق تعرف ببيت لهيا ليكون نزوله بها فأجابوه الى ذلك ".

رؤساء الأحداث بين أيديهم وسير الأشراف إلى مصر، وأخذ أموالهم ونعمهم (1) ثم مرض بالبواسير وشدة الضربان فمات . وولي بعده ابنه محمد ، وكانت ولايته هذه تسعة أشهر .

ثم إن أرجوان بعد هذه الحادثة راسل بسيل ملك الروم وهادنه عشر سنين واستقامت الأمور على يد أرجوان ، وسير أيضاً جيشا إلى برقة ، وطرابلس الغرب ففتحها ، واستعمل عليها انساً الصقلبي ، ونصح الحاكم وبالغ في ذلك ولازم خدمته فثقل مكانه على الحاكم ، فقتله سنة تسع وثمانين ، وحان خصياً أبيض . وكان لأرجوان وزير نصراني اسمه فهد بن إبراهيم فاستوزره المحاكم ، ثم إن الحاكم رتب الحسين بن جوهر موضع أرجوان ولقبه قائد القواد . ثم قتل الحسين بن عمار المقدم ذكره ، ثم قتل الحسين بن جوهر ، ولم يزل يقيم الوزير بعد الوزير ويقتلهم .

ثم جهز يارختكين للمسير إلى حلب وحصرها وسير معه العساكر الكثيرة فسار عنها فخافه حسان بن المفرج الطائي ، فلما رحل من غزة إلى عسقلان كمن له حسان ووالده وأوقعا به وبمن معه وأسراه ، وقتلاه. وقتل من الفريقين قتلى كثيرة وحصرا الرملة ونهبوا النواحي ، وكثر جمعهما وملكوا الرملة وما والاها . فعظم ذلك على الحاكم ، وأرسل يعاتبهما وسبق السيف العذل ، فأرسلا إلى الشريف أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي الحسني أمير مكة وخاطباه بأمير المؤمنين وطلباه إليهما ليبايعا له بالخلافة ، فحضر ، واستناب بمكة وخوطب بالخلافة ، ثم إن الحاكم راسل حسانا وأباه وضمن لهما الأقطاع الكثيرة والعطاء الجزيل ، واستمالهما ، فعدلا عن أبي الفتوح ورداه إلى مكة ، وعادا إلى طاعة الحاكم .

ثم إن الحاكم جهز عسكرا إلى الشام واستعمل عليهم علي بن جعفر بن فلاح ،فلما وصل إلى الرملة أزاح حسان بن المفرج وعشيرته عن تلك الأرض ، وأخذ ما كان له من الحصون بجبل الشراة ، واستولى على أمواله وذخائره ، وسار إلى دمشق والياً عليها ، فوصل إليها في شوال سنة تسعين وثلاثمائة .وأما حسان فإنه بقي شريداً نحو سنتين ،ثم أرسل والده إلى الحاكم فأمنه ،واقطعه فسار حسان إليه بمصر فأكرمه

(1) زاد القلانسي " ووظف على أهل البلد خمسمائة ألف دينار " .

وأحسن إليه ، وكان المفرج والد حسان قد توفي مسموما وضع الحاكم عليه من سفه فبموته ضعف أمر حسان ، على ما ذكرناه .

ذكر استيلاء عسكر صمصام الدولة على البصرة

في هذه السنة سار قائد كبير من قواد صمصام الدولة، اسمه لشكرستان إلى البصرة ، فأجلى عنها نواب بهاء الدولة ، وسبب ذلك أن الأتراك لما عادوا عن العلاء كما ذكرناه ، كان هذا لشكرستان مع العلاء . فاتاهم من الديلم الذين مع بهاء الدولة أربعمائة رجل ، مستأمنين . فأخذهم لشكرستان وسار بهم وبمن معه إلى البصرة ، فكثر جمعه . فنزلوا قريب البصرة بين البساتين يقاتلون أصحاب بهاء الدولة ، ومال إليهم بعض أهل البصرة ومقدمهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلوي . وكانوا يحملون إليهم الميرة . وعلم بهاء الدولة بذلك ، فانفذ من يقبض عليهم فهرب كثير منهم إلى لشكرستان ، فقوي بهم ، وجمعوا السفن ، وحملوه فيها ونزلوا إلى البصرة . فقاتلوا أصحاب بهاء الدولة بها وأخرجوهم عنها ، وملك لشكرستان البصرة ، وقتل من أهلها كثيرا وهرب كثير منهم ، وأخذ كثيراً من أموالهم .

فكتب بهاء الدولة إلى مهذب الدولة صاحب البطيحة يقول : " أنت أحق بالبصرة " فسير إليها جيشا مع عبدالله بن مرزوق ، فأجلى لشكرستان عن البصرة . وقيل : إنه سار عن البصرة بغير حرب ودخلها ابن مرزوق . وقيل : إنما فارقها بعد أن حارب فيها وضعف عن المقام بين يديه وصفت البصرة لمهذب الدولة . ثم إن لشكرستان عمل على العود إلى البصرة ، فهجم عليها في السفن ، ونزل أصحابه بسوق الطعام ، واقتتلوا فاستظهر لشكرستان ، وكاتب بهاء الدولة يطلب المصالحة ويبذل الطاعة ويخطب له بالبصرة. فأجابه مهذب الدولة إلى ذلك ، وأخذ ابنه رهينة . وكان لشكرستان يظهر طاعة صمصام الدولة ، وبهاء الدولة ، ومهذب الدولة ، وعسف أهل البصرة مدة فتفرقوا . ثم إنه أحسن إليهم وعدل فيهم ، فعادوا .

ذكر ولاية المقلد الموصل

في هذه السنة ملك المقلد بن المسيب مدينة الموصل ، وكان سبب ذلك أن أخاه

أبا الذواد توفي هذه السنة . فطمع المقلد في الإمارة ، فلم تساعده عقيل على ذلك وقلدوا أخاه عليا لأنه أكبر منه . فشرع المقلد واستمال الديلم الذين كانوا معه مع أبي جعفر الحجاج بالموصل ، فمال إليه بعضهم . وكتب إلى بهاء الدولة يضمن منه البلد بألفي ألف درهم كل سنة . ثم حضر عند أخيه علي وأظهر له أن بهاء الدولة قد ولاه الموصل ، وسأله مساعدته على أبي جعفر، لأنه قد منعه عنها . فساروا ونزلوا على الموصل ، فخرج إليهم كل من استماله المقلد من الديلم . وضعف الحجاج ، وطلب منهم الأمان فأمنوه وواعدهم يوما يخرج إليهم فيه ، ثم إنه انحدر في السفن قبل ذلك اليوم ، فلم يشعروا به إلا بعد انحداره فتبعوه ، فلم ينالوا منه شيئا ، ونجا بما له منهم وسار إلى بهاء الدولة . ودخل المقلد البلد واستقر الأمر بينه وبين أخيه على أن يخطب لهما ويقدم علي لكبره ، ويكون له معه نائب يجبي المال ، واشتركا في البلد والولاية ، وسار علي إلى البر ، وأقام المقلد وجرى الأمر على ذلك مديدة ، ثم تشاجروا واختصموا وكان ما نذكره إن شاء الله. وكان المقلد يتولى حماية غربي الفرات من أرض العراق -وكان له ببغداد نائب فيه تهور ، فجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة . فكتب إلى المقلد يشكو، فانحدر من الموصل في عساكره وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة حرب انهزموا فيها .

وكتب إلى بهاء الدولة يعتذر وطلب إنفاذ من يعقد عليه ضمان القصر وغيره .

وكان بهاء الدولة مشغولا بمن يقاتله من عسكر أخيه فاضطر إلى المغالطة ، ومد المقلد يده فاخذ الأموال . فبرز نائب بهاء الدولة ببغداد - وهو حينئذ أبو علي بن إسماعيل - وخرج إلى حرب المقلد فبلغ الخبر إليه ، فانفذ أصحابه ليلا فاقتتلوا وعادوا إلى المقلد.

فلما بلغ الخبر إلى بهاء الدولة بمجيء أصحاب المقلد إلى بغداد أنفذ أبا جعفر الحجاج إلى بغداد وأمره بمصالحة المقلد والقبض على أبي علي بن إسماعيل فسار إلى بغداد في آخر ذي الحجة . فلما وصل إليها راسله المقلد في الصلح ، فاصطلحا على أن يحمل إلى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار ، ولا يأخذ من البلاد إلا رسم الحماية ،ويخطب لأبي جعفر بعد بهاء الدولة ، وأن يخلع على المقلد الخلع السلطانية ، ويلقب بحسام الدولة ويقطع الموصل ، والكوفة ، والقصر ، والجامعين . واستقر الأمر على

ذلك ، وجلس القادر بالله له ولم يف المقلد من ذلك بشيء إلا بحمل المال ، واستولى على البلاد ومد يده في المال ، وقصده المتصرفون والأماثل ، وعظم قدره وقبض أبو جعفر على أبي علي ، ثم هرب أبو علي نائب بهاء الدولة ، واستتر وسار إلى البطيحة مستتراً ملتجئاً إلى مهذب الدولة .

ذكر وفاة المنصور بن يوسف وولاية ابنه باديس

في هذه السنة توفي المنصور بن يوسف بلكين أمير أفريقية أوائل ربيع الأول خارج صبرة ودفن بقصره . وكان ملكاً كريماً شجاعاً ، حازما ولم يزل مظفرا منصورا حسن السيرة ، محبا للعدل والرعية ، أو سعهم عدلا وأسقط البقايا عن أهل أفريقية ، وكانت مالا جليلا . ولما توفي ولي بعده ابنه باديس ويكنى أبا مناد . فلما استقر في الأمر ، سار إلى سردانية وأتاه الناس من كل ناحية للتعزية والتهنئة ، وأراد بنو زيري أعمام أبيه أن يخالفوا عليه ، فمنعهم أصحاب أبيه وأصحابه . وكان مولد باديس سنة اربع وسبعين وثلاثمائة ، وأتته الخلع والعهد بالولاية من الحاكم بأمر الله من مصر فقرىء العهد وبايع للحاكم هو وجماعة بني عمه والأعيان من القواد.

وفيها ثار على باديس رجل صنهاجي اسمه خليفة بن مبارك فأخذ وحمل إلى باديس ، فأركب حمارا وجعل خلفه رجل أسود يصفعه ، وطيف به ، ولم يقتل احتقارا به وسجن .

وفيها استعمل باديس عمه حماد بن يوسف بلكين على أشير ، وأقطعه إياها وأعطاه من الخيل والسلاح ، والعدد شيئاً كثيراً فخرج إليها ، وهذا حماد هو جذ بني حماد الذين كانوا ملوك أفريقية ، والقلعة المنسوبة إليهم مشهورة بافريقية ومنهم أخذها عبد المؤمن بن علي .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على الفاضل وزيره ،وأخذ ماله واستوزر بهاء الدولة سابور بن أردشير ، فأقام نحو شهرين وفرق الأموال ، ووقع بها للقواد قصداً ليضف بهاء الدولة . ثم هرب إلى البطيحة وبقي منصب الوزراة فارغاً . واستوزر أبو العباس بن سرجسر .

وفيها استكتب القادر بالله أبا الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان .

وفيها توفي أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق أبو حامد بن أبي إسحاق المزكي النيسابوري في شعبان ، وكان إماما ، ومولده سنة ثلاث وعشرين (1) . وفيها توفي علي بن عمر بن محمد بن الحسن أبو إسحاق الحميري المعروف بم السكري وبالحربي وبالكيال (2) ، ومولده سنة ست وتسعين ومائتين . وفيها توفي أبو الأغر دبيس بن عفيف الأسدي بخوزستان؛ وأبو طالب محمد بن علي بن عطية المكي صاحب قوت القلوب ، روي أنه صنف قوت القلوب وكان قوته عروق البردي (3) .

(ا) سمع الأصم وطبقته . وكان كثير العبادة من صغره الى كبره وصام في عمره سرداً تسعاً وعشرين سنة . قال الحاكم : وعندي ان الملائكة لم تكتب عليه خطيئة .

(2) في شذرات الذهب 3/ 120 "ويعرف أيضاً بالصيرفي " روى عن أحمد بن الصوفي . وعباد بن علي السيريني . والباغندي وطبقتهم توفي في شوال .

(3) اصله من الجبل ونشأ بمكة وتزهد وسلك ولقي الصوفية وصنف ووعظ . وكان له لسان حلو في الوعظ والتصوف . وكان صاحب رياضة ومجاهدة نفس قال العتيقي : كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة وصنف كتابا سماه قوت القلوب وذكر فيه أحاديث لا أمل لها وكان يعظ الناس في جامع بغداد .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

ذكر موت الأمير نوح بن

منصور(1) وولاية ابنه منصور

في هذه السنة توفي الأمير الرضا نوح بن منصور السامانى في رجب واختل بموته ملك آل سامان وضعف أمرهم ضعفاً ظاهراً ، وطمع فيهم أصحاب الأطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة . ولما توفي قام بالملك بعده ابنه أبو الحرث منصور بن نوح ، وبايعه الأمراء والقواد وسائر الناس ، وفرق فيهم بقايا الأموال فاتفقوا على طاعته ، وقام بأمر دولته وتدبيرها بكتوزون . ولما بلغ خبر موته إلى إيلك خان سار إلى سمرقند ، وانضم إليه فائق الخاصة ، فسيره جريدة إلى بخارى . فلما سمع بمسير، الأمير منصور تحير في أمره وأعجله عن التجهز. فسار عن بخارى وقطع النهر ودخل فائق بخارى ، وأظهر أنه إنما قصد المقام بخدمة الأمير منصور رعاية لحق أسلافه عليه ، إذ هو مولاهم . وأرسل إليه مشايخ بخارى ومقدمهم في العود إلى بلده وملكه ، وأعطاه من نفسه ما يطمئن إليه من العهود والمواثيق ، فعاد إليها ودخلها ، وولي فائق أمره وحكم في دولته ، وولي بكتوزون أمرة الجيوش بخراسان ، وكان محمود بن سبكتكين حينئذ مشغولا بمحاربة أخيه إسماعيل على ما نذكره إن شاج الله تعالى . وسار بكتوزون إلى خراسان فوليها ، واستقرت القواعد بها.

(ا) هو الامير ابو القاسم نوح بن الملك منصور بن الملك نوح بن الملك نصر بن الملك أحمد بن اسماعيل السامانى .سلطان بخارى وسمرقند . وولي نوح هذا وله ثلاث غرة سنة وتعصب له عضد الدولة بن بويه وأخذ له العهد والخلع من الخليفة الطائع على خراسان فأقام على خراسان وما حولها احدى وغرين سنة وتسعة أشهر وتوفي في شهر رجب .

ذكر موت سبكتكين (1) وملك ولده إسماعيل

وفي هذه السنة توفي ناصر الدولة سبكتكين في شعبان ، وكان مقامه ببلخ وقد ابتنى بها دوراً ومساكن ، فمرض وطال مرضه وانزاح إلى هواء غزنة ، فسار عن بلخ إليها فمات في الطريق فنقل ميتا إلى غزنة ودفن فيها . وكان مدة ملكه نحو عشرين سنة . وكان عادلا ، خيراً ،كثير الجهاد ، حسن الاعتقاد ، ذا مروءة تامة ، وحسن عهد ووفاء ، لا جرم بارك الله في بيته ، ودام ملكهم مدة طويلة جازت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم . وكان ابنه محمود أول من لقب بالسلطان ، ولم يلقب به أحد قبله. ولما حضرته الوفاة عهد إلى ولده إسماعيل بالملك بعده . فلما مات بايع الجند لإسماعيل وحلفوا له ، وأطلق لهم الأموال ، وكان أصغر من أخيه محمود فاستضعفه الجند فاشتطوا في الطلب حتى أفنى الخزائن التي خنفها أبوه .

ذكر استيلاء أخيه محمود بن سبكتكين على الملك

لما توفي سبكتكين وبلغ الخبر إلى ولده يمين الدولة محمود بنيسابور جلس للعزاء . ثم أرسل إلى أخيه إسماعيل يعزيه بأبيه ويعرفه أن أباه إنما عهد إليه لبعده عنه ، ويذكره ما يتعين من تقديم الكبير، ويطلب منه الوفاق وإنفاذ ما يخصه من تركة أبيه ، فلم يفعل . وترددت الرسل بينهما فلم تستقر القاعدة . فسار محمود عن نيسابور إلى هراة عازما على قصد أخيه بغزنة، واجتمع بعمه بغراجق بهراة، فساعده على أخيه اسماعيل . وسار نحو بست وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه إلى غزنة . وبلغ الخبر إلى إسماعيل وهو ببلخ فسار عنها مجدا فسبق أخاه محمودا إليها . وكان الأمراء الذين مع إسماعيل كاتبوا أخاه محمودا يستدعونه ووعدوه الميل إليه فجذ المسير. والتقى هو

(1) كان سبكتكين ورد بخارى ني ايام الامير نوح بن نصر الساماني المذكور وفاته في هذه السنة، فعرفه " كراء تلك الدولة بالشجاعة والشهامة وتوسموا في الرفعة وكان قدومه صحبة ابن السكين . فخرج ابن السكير إلى غزنة أميراً عليها وحرج سبكتكين في خدمته فلم يلبث ابن السكين ان توفي واحتاج الناس إلى من يتولى امرهم فاتفقوا على سبكتكين وامروه عليهم فتمكن واخذ في الإغارات على أطراف الهند وجرت بينه وبين الهنود حروب . وعظمت سطرته وافتتح قلاعاً منيعة وفتح ناحية بست واتصل به أبو الفتح البستي الكاتب فاعتمد عليه واسر إليه اموره . ثم مرض سبكتكين ببلخ فاشتاق إلى غزنة فسافر إليها فمات في الطريق .

وإسماعيل بظاهر غزنة واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم إسماعيل وصعد إلى قلعة غزنة فاعتصم بها فحصره أخوه محمود واستنزله بأمان . فلما نزل إليه أكرمه وأحسن إليه وأعلى منزلته ، وشركه في ملكه ، وعاد إلى بلخ واستقامت الممالك له ، وكانت مدة ملك إسماعيل سبعة أشهر. وهو فاضل حسن المعرفة له نظم ونثر، وخطب في بعض الجمعات فكان يقول بعد الخطبة للخليفة:{ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة ،توفني مسلماً وألحقني بالصالحين }(أ) .

ذكر وفاة فخر الدولة بن بويه وملك ابنه مجد الدولة

في هذه السنة توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه ، بقلعة طبرق (2) في شعبان . وكان -سبب ذلك أنه أكل لحما شمويا، وأكل بعده عنبا فأخذه المغس ،ثم اشتد مرضه فمات منه. فلما مات كانت مفاتيح الخزائن بالري عند أم ولده مجد الدولة فطلبوا له كفنا فلم يجدوه . وتعذر النزول إلى البلد لشدة شغب الديلم فاشتروا له من قيم الجامع ثوبا كيفنوه فيه . وزاد شغب الجند فلم يمكنهم دفنه فبقي حتى انتن ثم دفنوه (3). وحين توفي قام بملكه بعده ولده مجد الدولة أبو طالب رستم ، وعمره أربع سنين أجلسه الأمراء في الملك وجعلوا أخاه شمس الدولة بهمذان وقرميسين إلى حدود العراق . وكان المرجع إلى والدة أبي طالب في تدبير الملك وعن رأيها يصدرون وبين يديها في مباشرة الأعمال صاحب فخر الدولة، وأبو العباس الضبي الكافي .

(أ)سورة يوسف 101 .

(2) في المعجم " طبرك " بالكاف قلعة على رأس جبل بقرب مدينة الري على يمين القاصد الى خراسان .

(3) توفي السلطان فخر الدولة أبو الحسن في ابن السلطان ركن الدولة الحسين بن بوله بن فناخسرو الديلمي بالري بقلعة طبرك . وكان ابن اخيه بهاء الدولة بواسط فجلس للعزاء وجلس ابنه أبو منصور ببغداد ، وقيل : ان فخر الدولة سم وسم ولدا. من بعده فمات الكل في هذه السنة . وزر له الصاحب بن عباد .

وكان شجاعاً لقبه الخليفة الطائع لله بملك الأمة أو بفلك الأمة . وكان أجل من بقي من ملوك بني بويه .

ذكر وفاة مأمون بن محمد وولاية ابنه علي

وفيها توفي مأمون بن محمد صاحب خوارزم والجرجانية . فلما توفي اجتمع أصحابه على ولده علي وبايعوه واستقر ما كان لأبيه . وراسل يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، وخطب إليه أخته فزوجه واتفقت كلمتهما وصارا يدا واحدة إلى أن مات علي. وقام بعده أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون واستقر في الملك ، فأرسل إلى يمين الدولة يخطب أخته أيضاً فأجابه إلى ذلك ، وزوجه ، فداما أيضاً على الاتفاق والاتحاد مدة، وسيرد من أخباره معه سنة سبع وأربعمائة إن شاء الله تعالى ما تقف عليه .

ذكر وفاة العلاء بن الحسن وما كان بعده

في هذه السنة توفي أبو القاسم العلاء بن الحسن نائب صمصام الدولة بخوزستان ، وكان موته بعسكر مكرم وكان شهما، شجاعا، حسن التدبير. ونفذ صمصام الدولة أبا علي بن أستاذ هرمز ومعه المال ففرقه في الديلم ، وسار إلى جنديسابور، فدفع أصحاب بهاء الدولة عنها وجرت له معهم وقائع كثيرة، كان . الظفر فيها له . وأزاح الأتراك عن خوزستان ، وعادوا إلى واسط . وخلت لأبي علي البلاد، ورتب العمال وجبى الأموال . وكاتب أتراك بهاء الدولة واستمالهم ، فأتاه بعضهم فاحسن إليهم (ا) واستمر حال أبي علي في أعمال خوزستان . ثم إن أبا محمد بن مكرم والأتراك عادوا من واسط ، واستعد أبو علي للحرب وجرى بينهم وقائع . ولم يكن للأتراك قوة على الديلم فعزموا على العود إلى واسط ثانيا . واتفق مسير بهاء الدولة من البصرة إلى القنطرة البيضاء، وكان ما نذكره إن شاء الله.

ذكر القبض على علي بن المسيب وما كان بعد ذلك

في هذه السنة قبض المقلد على أخيه علي . وكان سبب ذلك ما ذكرناه من الإختلاف الواقع بين أصحابهما بالموصل . واشتغل المقلد ، بما ذكرناه بالعراق ، فلما خلا وجهه وعاد إلى الموصل عزم على الإنتقام من أصحاب أخيه . ثم خافه وعمل الحيلة في قبض أخيه ، فاحضر عسكره من الديلم والأكراد وأعلمهم أنه يريد قصد

(1) في ذيل تجارب الأمم " فأجابه بعضهم وصار اليه من حملتهم قراتكين الريحي فملأ عينه وقلبه بالاحسان "

دقوقا، وحلفهم على الطاعة . وكانت داره ملاصقة دار أخيه ، فنقب في الحائط ودخل إليه - وهو سكران - فأخذه وأدخله الخزانة وقبض عليه ، وأرسل إلى زوجته يأمرها بأخذ ولديه قرواش ، وبدران واللحاق بتكريت قبل أن يسمع أخوه الحسن الخبر. ففعلت ذلك وخلصت . وكانت في الحلة التي له على أربعة فراسخ من تكريت . وسمع الحسن الخبر فبادر إلى الحلة ليقبض أولاد أخيه فلم يجدهم ، وأقام المقلد بالموصل يستدعي رؤساء العرب ،ويخلع عليهم واجتمع عنده زهاء ألفي فارس .وسار الحسن في حلل أخيه ومعه أولاد أخيه علي وحرمه ، ويستنفرهم على المقلد واجتمع معهم نحو عشرة آلاف ، وراسل المقلد يؤذنه بالحرب فسار عن الموصل وبقي بينهم منزل واحد ، ونزل بإزاء العلث (ا) فحضره وجوه العرب ، واختلفوا عليه فمنهم من أشار بالحرب ، منهم رافع بن محمد بن مقن ،ومنهم من أشار بالكف عن القتال وصلة الرحم ، منهم غريب بن محمد بن مقن . وتنازع هو وأخوه . فبينما هم في ذلك ، قيل للمقلدان أختك رهيلة بنت المسيب تريد لقاءك وقد جاءتك . فركب ، وخرج إليها فلم تزل معه حتى أطلق أخاه عليا ورد إليه ماله ، ومثله معه وأنزله في خيم ضربها له . فسر الناس بذلك وتحالفا، وعاد علي إلى حلته ، وعاد المقلد إلى الموصل ، وتجهز للمسير إلى أبي الحسن علي بن مزيد الأسدي لأنه تعصب لأخيه علي وقصد ولاية المقلد بالأذى، فسار إليه . ولما خرج علي من محبسه ، اجتمع العرب إليه وأشاروا عليه بقصد أخيه المقلد؛ فسار إلى الموصل وبها أصحاب المقلد، وامتنعوا عليه فافتتحا، فسمع المقلد بذلك فعاد إليه ، واجتاز في طريقه بحلة أخيه الحسن . فخرج إليه ورأى كثرة عسكره فخاف على أخيه علي منه ، فأشار عليه بالوقوف ليصلح الأمر، وسار إلى أخيه علي وقال له : إن الأعور – يعني المقلد – قد أتاك بحده وحديده ،وأنت غافل . وأمر بإفساد عسكر المقلد ، فكتب إليهم فظفر المقلد بالكتب فأخذها . وسار مجدا إلى الموصل فخرج إليه أخواه علي والحسن وصالحاه ودخل الموصل وهما معه . ثم خاف علي فهرب من الموصل ليلاً وتبعه الحسن . وترددت الرسل بينهم فاصطلحوا على أن يدخل أحدهما البلد في

(ا) نقل في ذيل تجارب الأمم ما قالته اخته له : " يا مقلد قد ركبت مركباً وضيعاً وقطعت رحمك وعتقت ابن ابيك فراجع الأولى بك وخل عن الرجل واكفف هذه الفتنة ولا تكن سبباً لهلاك العشيرة ومع هذا فإنني أختك ونصيحتي لاحقة بك ومتى لم تقبل قولي فضحتك وفضحت نفسي بين هذا الخلق من العرب فلان في يدها ووعدها باطلاق علي وعاد في رقته بأمر بفك قيده " .

غيبة الأخر، وبقوا كذلك إلى سنة تسع وثمانين . ومات علي سنة تسعين ، وقام الحسن مقامه فقصده المقلد ومعه بنو خفاجة . فهرب الحسن إلى العراق وتبعه المقلد فلم يدركه فعاد ولما استقر أمر المقلد بعد أخيه علي وسار إلى بلد علي بن مزيد الأسدي ، فدخله ثانية . والتجأ ابن مزيد إلى مهذب الدولة فتوسط ما بينه وبين المقلد، وأصلح الأمر معه وسار المقلد إلى دقوقا فملكها .

ذكر ملك جبرئيل دقوقا

في هذه السنة ملك جبرئيل بن محمد دقوقا. وهذا جبرئيل كان من الرجالة الفرس ببغداد وخدم مهذب الدولة بالبطيحة، فهم بالغزو وجمع جمعا كثيرا واشتروا السلاح ، وسار. فاجتاز في طريقه بدقوقا،فوجد المقلد بن المسيب يحاصرها . فاستغاث أهلها بجبرئيل ، فحماهم ومنع عنهم ، وكان بدقوقا رجلان نصرانيان قد تمكنا في البلد وحكما فيه واستعبدا أهله ، فاجتمع جماعة من المسلمين إلى جبرئيل وقالوا له : إنك تريد الغزو ولست تدري أتبالغ غرضا أم لا؟ وعندنا من هذين النصرانيين من قد تعبدنا وحكم علينا فلو أقمت عندنا وكفيتنا أمرهما ساعدناك على ذلك ، فأقام وقبض عليهما وأخذ مالهما وقوي أمره ، فملك البلد في شهر ربيع الأول وثبت قدمه . وأحسن معاملة أهل البلد وعدل فيهم وبقي مدة على اختلاف الأحوال . ثم ملكها المقلد وملكها بعده محمد بن عناز ثم أخذها بعده قرواش ، ثم انتقلت إلى فخر الدولة أبي غالب . فعاد هذا جبرئيل حينئذ إلى دقوقا واجتمع مع أمير من الأكراد يقال له : موصك بن جكويه ، ودفعا عمال فخر الدولة عنها وأخذاها فقصدها بدران بن المقلد وغلبهما وأخذها منهما .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خرج أبو الحسن علي بن مزيد عن طاعة بهاء الدولة فسير إليه عسكرا فهرب من بين يديهم إلى مكان لا يقدرون على الوصول إليه فيه . ثم أرسل بهاء الدولة وأصلح حاله معه وعاد إلى طاعته (1) .

(ا) وسبب خروج أبي الحسن علي بن مزيد عن طاعة بهاء الدولة أنه تأخر بمال فطولب به فكاشفه بالخطاب وانتسب الى طاعة صمصام الدولة وأنام الخطبة له وأطلق لسانه بكل ما يوجب السياسة الامساك عنه =

وفيها توفي أبو الوفاء محمد بن المهندسي الحاسب . وفيها في المحرم توفي عبيدالله بن محمد بن حمران أبو عبدالله العكبري - المعروف بابن بطة الحنبلي -وكان مولده في شوال سنة أربع وثلاثمائة وكان زاهدا ، عابدا ، عالما ، ضعيفا في الروية(1) . وفيها في ذي القعدة توفي أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل - المعروف بابن سمعون - الواعظ الزاهد له كرامات ، وكان مولده سنة ثلاثمائة(2). وفيها في تاسع ذي الحجة توفي الحسن بن عبدالله بن سعيد أبو أحمد العسكري الراوية العلامة صاحب التصانيف الكثيرة في الأدب ، واللغة ، والأمثال ، وغيرها (3) .

= وانبسطت بنو أسد في الغارة على نواحي واسط فغاظ بهاء الدولة فعله وعرض عن أمر المقلد ما استقل به عن غير. فلما استترت الحال معه كتب بهاء الدولة الى ابي جعفر بالمسير الى ابن مزيد من بغداد وسير أبا العباس بن ماسرجس من واسط فاجتمعا واندفع ابو الحسن عش بن مزيد من بين أيديهما معتصما بالآجام وتتبعاه فراسلهما واستعطفهما وسأل اصلاح أمر. مع بهاء الدولة وبذل على ذلك بذلاً .

(1) هو الامام الكبير الحافظ ولد يوم الاثنين لأربع خلون من شوال سنة أربع وثلاثمائة وافتى وهو ابن خمس عشرة سنة روى عن البغوي وأبي ذر بن الباغندي وابن صاعد وسمع من خلائق لا يحصون فانه سافر الكثير الى مكة والثغور والبصرة وغير ذلك وصحبه جماعة من شيوخ المذهب منهم أبو حفص البرمكي ، وأبو عبد الله بن حامد، وأبو إسحاق البرمكي ومن مؤلفاته : الرد على من قال الطلاق ثلاث لا يقع . صلاة النافلة في شهر رمضان بعد المكتوبة وذم البخل . تحريم الخمر. ذم الغناء والاستماع اليه . التفرد والعزلة . ترجمه الخطيب البغدادي وطعن عليه بسبب بعض الجرح في ابن بطة الذي اسنده .

(2) قال القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان : 4 /304 - 305 : كان وحيد دهر. في الكلام على الخواطر وحسن المواعظ وحلاوة الاشارة ولطف العبارة . وادرك جماعة من حلة المشايخ وروى عنهم منهم الشيخ ابو بكر الشبلي وانظاره . وكان الباقلاني والاسفرائيني يقبلان يده ويجلانه . وكان يقال له : الناطق بالحكمة ، وسمعون - بفتح السين المهملة وسكون الميم وضم العين المهملة وسكرن الواو بعدها نون.

(3) ولد يوم الخميس لست غرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين قال السلفي : كان من الأئمة المذكورين

في التصرف في أنواع العلوم والتبحر في فنون الفهوم سمع ببغداد ، والبصرة وأصبهان ، وغيرها من ابي القاسم البغوي ، وأبي بكر بن دريد ونفطويه وغيرهم وأكثر وبالغ في الكتابة واشتهر في الأفاق بالدراية والاتقان وانتهت إليه رياسة التحديث والاملاء للآداب والتدريس بقصر خوزستان ورحل اليه الأجلاء روى عنه أبو نعيم الأصبهاني وأبي سعد الماليني .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

ذكر عود أبي القاسم السيمجوري إلى نيسابور

قد ذكرنا مسير أبي القاسم بن سيمجور أخي أبي علي إلى جرجان ومقامه بها .

فلما مات فخر الدولة أقام عند ولده مجد الدولة، واجتمع عنده جماعة كثيرة من اصحاب أخيه . وكان قد أرسل إلى شمس المعالي يستدعيه من نيسابور ليسلمها إليه فسار إليه حتى وافى جرجان . فلما بلغها رأى أبا القاسم قد سار عنها فعاد شمس المعالي إلى نيسابور. فكتب فائق من بخارى إلى أبي القاسم يغريه ببكتوزون ، ويأمره بقصد خراسان وإخراج بكتوزون عنها لعداوة بينهما . فسار أبو القاسم عن جرجان نحو نيسابور وسير سرية إلى أسفراين ، وبها عسكر لبكتوزون . فقاتلوهم وأجلوهم عن أسفراين واستولى أصحاب أبي القاسم عليها . وسار أبو القاسم إلى نيسابور فالتقى هو وبكتوزون بظاهرها في ربيع الأول واقتتلوا واشتد القتال بينهم ، فانهزم أبو القاسم وقتل من أصحابه ، وأسر خلق كثير. وسار أبو القاسم إلى قهستان وأقام بها حتى اجتمع إليه أصحابه . وسار إلى بوشنج واحتوى عليها وتصرف فيها فسار إليه بكتوزون ، وترددت الرسل بينهما حتى اصطلحا وتصاهرا ، وعاد بكتوزون إلى نيسابور.

ذكر استيلاء محمود بن سبكتكين على نيسابور وعودهم عنها

لما فرغ محمود من أخيه وملك غزنة وعاد إلى بلخ ، رأى بكتوزون قد ولي خراسان على ما ذكرناه . فأرسل إلى الأمير منصور بن نوح يذكر طاعته والمحاماة عن دولته ، ويطلب خراسان . فأعاد الجواب يعتذر عن خراسان ويأمره بأخذ ترمذ ، وبلخ وما وراءها من أعمال بست وحراة، فلم يقنع بذلك وأعاد الطلب فلم يجبه إلى ذلك . فلما تيقن المنع سار إلى نيسابور، وبها بكتوزون . فلما بلغه خبر مسيره نحوه ، رحل عنها، فدخلها محمود وملكها. فلما سمع الأمير منصور بن نوح ، سار عن بخارى نحو

نيسابور . فلما علم محمود بذلك سار عن نيسابور إلى مرو الروذ ونزل عند قنطرة راعول ينتظر ما يكون منهم .

ذكر عود قابوس إلى جرجان

في هذه السنة عاد شمس المعالي قابوس بن وشمكير إلى جرجان وملكها . ولما ملك فخر الدولة بن بويه جرجان ، والري ، أراد أن يسلم جرجان إلى قابوس فرده عن ذلك الصاحب بن عباد وعظمها في عينه ، فاعرض عن الذي أراده ، ونسي ما كان بينهما من الصحبة بخراسان ، وأنه بسببه خرجت البلاد عن يد قابوس والملك عقيم . وقد ذكرنا كيف أخذت منه ومقامه بخراسان وإنفاذ ملوك السامانية الجيوش في نصرته مرة بعد أخرى فلم يقدر الله تعالى عود ملك إليه . ولما ولي سبكتكين خراسان اجتمع به ، ووعده أن يسير معه الجيوش ليرده إلى مملكته . فمضى إلى بلخ ومرض ومات .

فلما كانت هذه السنة بعد موت فخر الدولة سير شمس المعالي قابوس الأصبهبذ شهريار بن شروين إلى جبل شهريار وعليه - رستم بن المرزبان خال مجد الدولة بن فخر الدولة - فاقتتلا. فانهزم رستم واستولى أصبهبذ على الجبل ، وخطب لشمس المعالي. وكان باتي بن سعيد بناحية الإستندارية وله ميل إلى شمس المعالي ، فسار إلى آمل وبها عسكر لمجد الدولة، فطردهم عنها واستولى عليها، وخطب لقابوس ، وكتب إليه بذلك . ثم إن أهل جرجان كتبوا إلى قابوس يستدعونه . فسار إليهم من نيسابور وسار أصبهبذ، وباتي بن سعيد إلى جرجان ، وبها عسكر لمجد الدولة ، فالتقوا واقتتلوا . فانهزم عسكر مجد الدولة إلى جرجان . فلما بلغوها صادفوا مقدمة قابوس قد بلغتها فايقنوا بالهلاك وانهزموا من أصحاب قابوس هزيمة ثانية ، وكانت قرحا على قرح . ودخل شمس المعالي جرجان في شعبان من هذه السنة . وبلغ المنهزمون الري فجهزت العساكر من الري نحو جرجان . فساروا وحصروها، فغلت الأسعار بالبلد، وضاقت الأمور بالعسكر أيضاً ، وتوالت عليهم الأمطار والرياح ، فاضطروا إلى الرحيل . فتبعهم شمس المعالي فلحقهم وواقعهم ، فاقتتلوا . وانهزم عسكر الري وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة وقتل أكثر منهم . فاطلق شمس المعالي الأسرى، واستولى على تلك الأعمال ما بين جرجان وأستراباذ . ثم إن الأصبهبذ حدث نفسه بالاستقلال والتفرد

عن قابوس ، واغتر بما اجتمع عنده من الأموال والذخائر . فسارت إليه العساكر من الري وعليها المرزبان خال مجد الدولة، فهزموا أصبهبذ وأسروه ، ونادوا بشعار شمس المعالي لوحشة كانت عند المرزبان من مجد الدولة . وكتب إلى شمس المعالي بذلك . وانضافت مملكة الجبل جميعها إلى ممالك جرجان ، وطبرستان فولاها شمس المعالي ولده منوجهر، ففتح الرويان ، وسالوس . وراسل قابوس يمين الدولة محمودا ، وهاداه وصالحه واتفقا على ذلك .

ذكر مسير بهاء الدولة إلى واسط وما كان منه

فى هذه السنة عاد أبو علي بن إسماعيل إلى طاعة بهاء الدولة –وهو بواسط –فوزر له ودبر أمره وأشار عليه بالمسير إلى أبي محمد بن مكرم ، ومن معه من الجند ومساعدتهم ، ففعل ذلك . وسار على كره وضيق فنزل بالقنطرة البيضاء، وثبت أبو علي بن أستاذ هرمز وعسكره وجرى لهم معه وقائع كثيرة . وضاق الأمر ببهاء الدولة وتعذرت عليه الأقوات ، فاستمد بدر بن حسنويه فانفذ إليه شيئاً قام ببعض ما يريده ، وأشرف بهاء الدولة على الخطر. وسعى أعداء أبي علي بن إسماعيل به حتى كاد يبطش به . فتجدد من أمر ابني بختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتي ذكره ، وأتاه الفرج من حيث لم يحتسب . وصلح أمر أبي علي عنده واجتمعت الكلمة عليه . وسيأتي شرح ذلك إن شاء الله تعالى .

في هذه السنة في ذي الحجة قتل صمصام الدولة بن عضد الدولة . وسبب ذلك أن جماعة كثيرة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة لأنه أمر بعرضهم وإسقاط من ليس بصحيح النسب فاسقط منهم مقدار ألف رجل ، فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون . واتفق أن أبا القاسم ، وأبا نصر ابني عز الدولة بختيار كانا مقبوضين فخدعا الموكلين بهما في القلعة ، فافرجوا عنهما فجمعا لفيفا من الأكراد واتصل خبرهما بالذين أسقطوا من الديلم ، فأتوهم وقصدوا إلى أرجان فاجتمعت عليها العساكر. وتحير صمصام الدولة ولم يكن عنده من يدبره .

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز مقيما بنسا ، فأشار عليه بعض من عنده بتفريق ما عنده من المال في الرجال والمسير إلى صمصام الدولة ، وأخذه إلى عسكره بالأهواز وخوف إن لم يفعل ذلك . فشح بالمال ، فثار به الجند ونهبوا داره ، وهربوا . فاختفى فاخذ وأتي به إلى ابني بختيار فحبس ثم احتال فنجا . وأما صمصام الدولة فإنه أشار عليه أصحابه بالصعود إلى القلعة التي على باب شيراز والامتناع بها إلى أن يأتي عسكره ومن يمنعه ، فأراد الصعود إليها فلم يمكنه المستحفظ بها . وكان معه ثلاثمائة رجل فقالوا له : الرأي أننا نأخذك ووالدتك ونسير إلى أبي علي ابن أستاذ هرمز.

وأشار بعضهم بقصد الأكراد وأخذهم والتقوي بهم ففعل ذلك . وخرج معهم بخزائنه وأمواله فنهبوه وأرادوا أخذه فهرب . وسار إلى الدودمان غلى مرحلتين من شيراز. وعرف أبو نصر بن بختيار الخبر فبادر إلى شيراز. ووثب رئيس الدودمان - واسمه طاهر - بصمصام الدولة فأخذه وأتاه أبو نصر بن بختيار، وأخذه منه فقتله في ذي الحجة. فلما حمل رأسه إليه قال : هذه سنة سنها أبوك . يعني ما كان من قتل عضد الدولة بختيار- وكان عمر صمصام الدولة خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر. ومدة إمارته بفارس تسع سنين وثمانية أيام (ا) . وكان كريماً حليماً، وأما والدته فسلمت إلى بعض

(1) قال في ذيل تجارب الأمم : " وما أقلها من مدة واسوأها من عاقبة امر فلقد كانت حلاوة دولته يسيرة ومرارة مصائبه في ملكه ونفسه كثيرة فما وفى شهده بصابه ولا عوافيه بأوصابه ولم يكن له في ايامه يوم زاهر ولا في ملكه نصيب وافر .

وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك فيها بحبل غرور

قواد الديلم فقتلها، وبنى عليها دكة في داره . فلما ملك بهاء الدولة فارس أخرجها ودفنها في تربة بني بويه .

ذكر هرب ابن الوثاب

في هذه السنة هرب أبو عبدالله بن جعفر المعروف بابن الوثاب من الاعتقال في دار الخلافة. وكان هذا الرجل يقرب بالنسب من الطائع وكان مقيما في داره ، فلما خلع الطائع هرب هذا وصار عند مهذب الدولة . فأرسل القادر بالله في أمره فأخرجه فسار إلى المدائن . وأتى خبره إلى القادر فأخذه وحبسه فهرب هذه السنة ومضى إلى كيلان وادعى أنه هو الطائع لله وذكر من أمور الخلافة ما كان يعرفه . وزوجه محمد بن العباس مقدم كيلان وشد منه ، وأقام له الدعوة ، وأطاعه أهل نواح أخر وأدوا إليه العشر على عادتهم . وورد من هؤلاء القوم جماعة يحجون فأحضرهم القادر، وكشف لهم حاله وكتب على أيديهم كتبا في المعنى فلم يقدح ذلك فيه . وكان أهل كيلان يرجعون إلى القاضي أبي القاسم بن كج ، فكوتب من بغداد في المعنى، فكشف لهم الأمر فأخرجوا أبا عبدالله عنهم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عظم أمر بدر بن حسنويه وعلا شانه ولقب من ديوان الخليفة ناصر الدين والدولة ، وكان كثير الصدقات بالحرمين ويكثر الخرج على العرب بطريق مكة ليكفوا عن أذى الحجاج ومنع أصحابه من الفساد وقطع الطريق ،فعظم محله وسار د كره .

وفيها نظر أبو علي بن أبي الريان في الوزارة بواسط . وفيها مات أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الجكار(1).

= وقبض على والدته وعلى الرضيع وقوم من الحوافي وجاءت امرأة من الدودمان تسس فاطمة فغسلت جثته وكفنتها ودفنتها واحضر رأسه ني طست بين يدي ابي نصر بن بختيار فلما رآه قال مشيراً اليه : " هذه سنة سنها ابوك " وأمر برفعها ، وأما والدته فانها سلمت الى لشكر لستان كور فطالبها وعذبها فلم تعطه درهما واحدا فقتلها وبنى عليها دكة . وأما الرضيع فانه قتل بعد ذلك وبعد ان صودر واستصفي ماله " .

(1)في البداية والنهاية 11 /347 " عبد العزيز بن يوسف بن الحطان أبو القاسم كاتب الانشاء لعضد الدولة ثم وزر لابنه بهاء الدولة خمسة أشهر وكان يقول الشعر توفي في شعبان منها .